الدبلوماسي

السنة السابعة والعشرون - العدد 276
فبراير 2019 الثمن 10 جنيهات

رئاسة مصر للإتحاد الإفريقى
تعاون.. تنمية

Housing & Development Bank
بنك التعمير و الإسكان

مع فلوسي فون App

الحياة بقت أسهل
بلمسة زرار

ادفع فواتيـرك.. حـول فلوسـك لأي حـد ...
اشتري اونلاين بلمسة زرار من وانت في مكانك

19995 HDBankOfficial | www.hdb-egy.com

Taweel Mobile Money | Fawry

مجلة شهرية منوعة تصدر منذ مارس 1992 عن

النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها

السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى

سفير خالد طه

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسى

سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى

رجائى عطية

مستشار التحرير

عادل عبد الصمد

المستشار الفنى

جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى

شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفيـــر أشـــرف عقـــل

سفيـــر يـــوسف الشرقـــاوى

سكرتير أول أحمد أبو المجد

سكرتير ثـان هنـــد منـــذر

سكرتير ثـان عمرو الشاذلـى

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:

مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820

تليفاكس +202 27735457

www.diplomategypt.com

facebook.com/diplomat.magazine.egypt

diplomatmagazine92@gmail.com

فى هذا العدد

النمو الأخضر: رفاهية فكرية أم ضرورة تنموية؟ ... بقلم السفير رضا الطايفى 4

الحقيبة الدبلوماسية 7

رئاسة مصر للإتحاد الإفريقى تعاون.. تنمية 14

دبلوماسيون مبدعون 18

سياسة

تركيا: أرض المتناقضات وأسطورة النموذج الإسلامى .... سفير عبد الرحمن صلاح 20

المسألة الكورية :مابين التأزم والانفراج ..... سفير رضا الطايفى 26

سوريا الشقيقة... لماذا وإلى متى؟..... سفير حازم خيرت 28

فنزويلا : إلى اين ؟ ..... سفير عبدالفتاح عزالدين 32

لماذا ألتباس التاريخ 3 ؟..... سفير د. محمد بدرالدين زايد 34

المصالحة الإثيوبية الإريترية ..... سفير د .عادل السالوسي 36

ميدان التحرير من ميدان التحرير..... سفير أسامة توفيق بدر 40

الثورة فى التاريخ ..... سكرتير أول: أحمد أبوالمجد 42

مصر والتجربة الصينية..... سفير يوسف الشرقاوى 44

اقتصاد

قراءة فى أجواء ونتائج القمة الاقتصادية العربية الرابعة ... سفير رخا أحمد حسن 46

الضرائب على التجارة والإعلانات الإلكترونية .....د. عادل عبد الصادق 50

الأزمة الاقتصادية الفنزويلية وتداعياتها .....سفير على مراد 56

ما بعد قمة بيروت الاقتصادية.. الفرص والتحديات ..... أحمد عبد السلام 58

مفاتيح النجاح الاقتصادى فى الصين .....أبو اليزيد عمارة 60

الدبلوماسي

عدد 276

الغلاف للفنان
جمال عبد النبى

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

توجه المراسلات والمقالات
باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات السادة أعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية

جميع الحقوق محفوظة

فبراير - 2019

مصر والتنمية

ترشيد المياه ... فى الشريعة الإسلامية والقانون الدولى .....د.حسام الإمام 64

الطب الصينى بين الإبداع والفهلوة ..... د. عبير النجار 66

الشـــخـصـية المـــصـريـــة..... عبير الروح سعيد 68

قراءات ودراسات

فصل من كتاب «تاريخ لا يحكونه فى المدارس»..... سوسن رحمى 70

تـــأمـــــــلات - القـــوة النـــاعـــمة..... سفير أشرف عقل 73

ذكـــــــــريـــات مـــعـــه.....ميسا جيوسى 74

ألعقد الفريد لإبن عبد ربه درة الأدب.....عـادل عبدالصمـــــــد 76

الرجوع إلى الله.....سفير د. فتحى مرعى 79

بنت النيل

رابطة زوجات الدبلوماسيين.....اعداد : نادية الريس 80

قصة

استقبلونى بفروع شجر الموز ..... سفيرة د.عبير بسيونى 82

ثقافـــة وفنـــون

فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان 84

الفن المعمارى فى قلاع العرب، وحصونهم، وقصورهم (4).....د. يـوســف نـوفـل 86

منـارة الإسكندرية أعجـوبـة العـالم الـقـديـمسفير محمد عبدالمنعم الشاذلى 90

كـلمـــــــــة شـــــــــــــــرف ..... سفير د. هادى التونسى 92

صورة قلمية.....سفير محمود عزت 93

توفيق عبد اللطيف وإثراء مسيرة المسرح المصرى....سفير د. وليد محمود عبد الناصر 94

افتتاحية العدد

النمو الأخضر: رفاهية فكرية أم ضرورة تنموية؟

جاء اهتمام وتركيز منتدى دافوس الاقتصادى لهذا العام الذى بدأت فعالياته فى الثانى والعشرين من يناير 2019 على مناقشة المخاطر البيئية الجسيمة التى تشهدها الكرة الأرضية، إلى جانب بحث سبل مواكبة الاقتصاد الدولى للثورة التكنولوجية، بمثابة تذكير ودق لناقوس الخطر تجاه تداعيات الانتهاكات المتواصلة للبيئة التى واكبت الثورات والطفرات الاقتصادية التى بلغت ذروتها فى القرن العشرين تكنولوجياً وصناعياً وتجارياً، فضلاً عن تطور مذهل فى صناعة الأسلحة ورط البشرية ولايزال فى حروب عالمية وإقليمية ومحلية متعددة زادت وضاعفت مخاطر التلوث البيئى.

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

إذ بقدر ما أحدثت هذه التطورات المتعاظمة «مدنية وعسكرية» من نقلات نوعية فى تاريخ البشرية، بقدر ما أدت هذه الطفرات إلى استنزاف الموارد وتلوث البيئة أرضاً وبحراً وجواً بصورة تدعو إلى القلق. الأمر الذى استدعى العمل على وضع ضوابط لحماية البيئة ولإعادة ضبط إيقاع الحياة فوق الكوكب الأرضى والحفاظ على ما تبقى من عذريته، وبما يحدد نوعية هذا النهم الصناعى الذى جاء فى مجمله على حساب الثوابت الكونية والمظاهر والموارد الطبيعية المختلفة. وأصبح من الضرورى التدخل لفض هذا الاشتباك القائم بين الإنسان والطبيعة الذى أفضى إلى التغير فى الغلاف الغازى للأرض، وما ارتبط بذلك من احتباس حرارى وثقب فى طبقة الأوزون وتغير فى المناخ من خلال انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو وذوبان جبال الجليد وخاصة القطبية وارتفاع مناسيب مياه البحار والمحيطات بصورة تهدد بغرق واختفاء مساحات شاسعة من الجزر واليابس فى بعض المناطق والمدن الساحلية حول العالم، فضلاً عن التدهور البيئى للأرض ومذابح الغابات والتصحر والزحف العمرانى على الأراضى الزراعية والنزوح السكانى المتواصل من الريف إلى المدن وتلوث المسطحات المائية. وضعاً فى الاعتبار أن مثل هذه الأعراض السلبية واستمرار استنزاف الموارد سوف يؤدى - وفق العديد من التقديرات - إلى معاناة أكثر من أربعة مليارات نسمة حول العالم من نقص شديد وشح فى المياه بحلول عام 2050، واستمرار ثبات ارتفاع معدل غازات الصوب فى دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OCED، وارتفاع هذه النسبة فى دول مجموعة البريكس بنسبة 50٪ مما سوف يؤدى إلى رفع درجة حرارة الأرض من 3 - 6 درجات مئوية بنهاية هذا القرن، وانخفاض نسبة تنوع الكائنات الحية بنسبة 10٪ بما لذلك من تبعات كارثية.

حقيقة إن جهوداً دولية عديدة قد بذلت من أجل تحقيق تنمية مستدامة لا تكون على حساب الأرض ومواردها الطبيعية ويكون النمو الأخضر أو الاقتصاد الأخضر أهم معالمها ومقوماتها، ابتداء من قمة الأرض فى استوكهولم (قمة البيئة البشرية 5 - 16 يونيو 1972) وما شكله إعلان استوكهولم من منعطف مهم وبداية انطلاق حقيقية لبدء الاهتمام بالبيئة الإنسانية، والذى تمخض عنه إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) - ثم قمة الأرض فى نيروبى 1982 والتى كانت بمثابة أول قمة للمناخ تقام فى القارة الإفريقية - تقرير برنتلاند 1987 الصادر عن اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية المستدامة تحت عنوان «مستقبلنا المشترك» - قمة الأرض فى ريو دى جانيرو (البيئة والتنمية 1992) والتى تمثلت أهم نتائجها فى: إعلان ريو حول البيئة والتنمية، أجندة القرن الواحد والعشرين حول البيئة والتنمية، معاهدة الأمم المتحدة الإطارية حول تغير المناخ (UNFCCC)، معاهدة التنوع البيولوجى (CBD)، إنشاء مفوضية التنمية المستدامة CDS، الاتفاق على مناقشة معاهدة عالمية لمكافحة التصحر، إعلان مبادئ إدارة الغابات المستدامة، التأكيد على مبادئ إعلان استوكهولم على أن الإنسان هو محور التنمية المستدامة. ثم قمة الأرض للتنمية المستدامة 2002 فى جوهانسبرج فى جنوب إفريقيا والتى ركزت على أهمية تقليص الفجوة بين دول الشمال والجنوب وأهمية تضافر الجهود العالمية وتوفير كل الإمكانيات المادية والبشرية للقضاء على آفة الفقر. قمة الأرض الثانية فى البرازيل ريو20+ حول الاقتصاد الأخضر 2012، حيث برز مفهوم الاقتصاد الأخضر على المستوى العالمى خلال هذا المؤتمر ودارت موضوعاته حول اقتصاد أخضر فى سياق التنمية المستدامة والقضاء على الفقر.

وفى إبريل 2013 دشن برنامج الأمم المتحدة للبيئة مشروعاً بعنوان

استضافت العاصمة البرازيلية ريو دى جانيرو من 20 إلى 22 يونيو 2012 مؤتمر الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة

«تعزيز التعاون بين بلدان الجنوب»، بناء قدرات البلدان النامية لتعزيز الاقتصاديات الخضراء المراعية للبيئة. تنظيم المعرض الإنمائى لبلدان الجنوب فى نيروبى 2013. برنامج مؤتمر بالى بإندونيسيا فى ديسمبر 2014 الذى دار حول آسيان وبناء القدرات وتيسير تبادل المعلومات بين دول رابطة جنوب شرق آسيا وما أعقب ذلك من فعاليات مثل مؤتمر كانكون فى المكسيك فى مارس 2015 حول مكافحة التصحر فى البلدان التى تعانى من الجفاف الشديد والتصحر وخاصة فى إفريقيا، والمنتدى الإقليمى للاقتصاد الأخضر فى كارتا خينا فى كولومبيا، كمبادرة مشتركة ما بين منظمة العمل الدولية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، بهدف نشر وتبادل المعارف والخبرات والأدوات والسياسات والإستراتيجيات الرامية لاعتماد اقتصاديات خضراء ومستدامة وشاملة فى أمريكا اللاتينية.

برغم كل ما سبق وما لحقه من فعاليات وخاصة تلك التى نظمتها واستضافتها الأمم المتحدة ومنظماتها ذات الصلة، وبرغم كل ما اتخذ من إجراءات وخطوات لإقامة مصالحة مستدامة بين الإنسان والبيئة، إلا أنها مازالت مخيبة للآمال ولا ترقى إلى مستوى الطموحات فى إصلاح ما أفسدته الاعتداءات الجائرة على البيئة. وقد يساعد الاستمرار والتمسك بسياسات النمو الأخضر مخرجاً للعودة بالعالم إلى كوكب أكثر نقاء وقابلية للاستدامة، وعلى الدول الصناعية المتقدمة أن تساهم بصورة أكثر حيوية وفاعلية فى إصلاح ما أفسدته ممارساتها الصناعية وغيرها على مدار العقود الماضية، وأن تتحمل مسئولياتها المادية والأدبية فى رد الاعتبار للبيئة على المستوى العالمى، سواء بإعادة النظر فى وسائل إنتاجها وصناعاتها المؤثرة سلباً على البيئة والمناخ أو بزيادة حصتها من معونات التنمية لتمويل المشروعات الخضراء فى الدول البازغة والنامية وتلك الأقل نمواً.

ولعل النموذج الصينى يعكس جوهر القضية، حيث نجحت الصين منذ بداية عهد الزعيم دينج شياو بينج (1978 - 1992) وتبنيها مبدأ «دولة واحدة ونظامين» فى تحقيق طفرة تصل إلى حد المعجزة الاقتصادية زادت من معدل نموها بدرجة قياسية وضاعفت عدة مرات متوسط دخل الفرد بصورة أوصلتها إلى المرتبة الثانية فى قائمة أكبر الاقتصاديات العالمية. إلا أن فخ التنمية الصناعية قد أوقعها فى قائمة أكثر دول العالم تلوثاً حيث - برغم ما اتخذته الصين من إجراءات - تبلغ نسبة التلوث فيها أكثر 20 ضعفاً تقريباً للمعايير الدولية، الأمر الذى دفع بقيادتها إلى إطلاق وتبنى مفهوم «البيئة الخضراء» والعمل على حماية واستعادة البيئة الأيكولوجية للجبال والمياه والغابات، ووضعت فى سبيل تفعيل ذلك مكافحة التلوث البيئى - إلى جانب القضاء على الفقر والحرب على الفساد - فى قائمة أولوياتها التنموية خلال الفترة القادمة.

إذن يظل النمو الأخضر مخرجاً سحرياً للبشرية مما تواجهه حالياً وما يمكن أن تواجهه مستقبلاً من تدهور بيئى غير مسبوق، حيث أصبح البعد البيئى يمثل أحد أهم أبعاد ثلاثة للتنمية المستدامة - إلى جانب البعد الاقتصادى والبعد الاجتماعى، ويعنى النمو الأخضر نشاطاً اقتصادياً صديقاً للبيئة كأحد سبل تحقيق التنمية المستدامة دون الإخلال بالنظام البيئى، مع توفير وتقديم المساعدات والمنح للدول الفقيرة من أجل النهوض بالتعليم والصحة والبيئة الأساسية بصورة تؤدى إلى تحقيق المساواة والعدالة والتنمية، والبحث عن موارد بديلة للصناعة والاستثمار متمثلة فى موارد الطاقة المتجددة كالشمس والرياح والمصادر الجديدة للطاقة مثل الغاز الطبيعى وطاقتى المد والجذر.

وارتباطاً بذلك بدأ النظام الاقتصادى العالمى فى وضع خطط أساسية لإدخال مفهوم الاقتصاد

النمو الأخضر: رفاهية فكرية أم ضرورة تنموية؟

والنمو الأخضر فى قواعده، وأصبحت المعايير البيئية مثلاً من أهم الشروط التى يجب توافرها فى السلعة حتى تتمكن من النفاذ إلى الأسواق العالمية، وبدأت بعض الدول تضع قيوداً على السلع الملوثة للبيئة أو تلك التى يقوم إنتاجها على أساس الاستغلال الجائر للموارد أو تلك التى تؤثر على التوازن البيئى، مثل (تجارة جلود الحيوانات المعرضة للانقراض) أو المنتجات التى تعتمد على الأسمدة الكيماوية أو المعدلة جينياً. ومن جانب آخر بدأ الحديث حول ما يسمى الحسابات القومية الخضراء، وهى حسابات تقوم على أساس اعتبار أى تحسن فى ظروف البيئة وفى الموارد الاقتصادية الطبيعية هو بمثابة زيادة فى أصول الدولة، وأن أى تناقص فى الموارد الطبيعية أو أى إضرار بالبيئة يزيد من أعباء والتزامات الدولة ويمثل نقصاً وخصماً من أصولها.

وعلى المستوى الوطنى، فإن رؤية مصر 2030 قد راعت أهمية وضرورة النمو الأخضر كأحد مقومات وضرورات التنمية المستدامة، وقد شرعت الدولة بالفعل فى بناء مدن ذكية وإقامة مشروعات خضراء واستخدام تكنولوجيا خضراء، وبدأ التوجه نحو اقتصاد التدوير والتعاقد على إنشاء مشروعات ضخمة لإعادة التدوير، ومشروعات للطاقة المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها من المشروعات التى يمكن أن تقدم الكثير من الحلول لمظاهر وظواهر التلوث العديدة التى نعانى منها، وإن كان الأمر - فى تقديرى - مازال يحتاج إلى ما هو أبعد من ذلك بوضع إستراتيجية وطنية متكاملة للنمو الأخضر تكون مقننة ومحصنة بحزمة من القوانين والتشريعات، وتتابع تنفيذها «هيئة قومية عليا» توزع فيها الأدوار على كافة مؤسسات ووزارات ومحافظات مصر، يكون لكل طرف فيها خطته للنمو الأخضر والبرنامج التنفيذى والزمنى لتنفيذ هذه الخطة، وهى إستراتيجية تحتاج إلى تضافر كافة الجهود الشعبية ومجتمع رجال الأعمال والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدنى جنباً إلى جنب مع الدور الحكومى الرسمى. إستراتيجية تحتاج إلى منظومة إعلامية وطنية لمتابعتها والترويج لها، بحيث يصبح النمو الأخضر قضية رأى عام منفذ ومساند لها، إستراتيجية تحتاج إلى تضمينها فى المناهج الدراسية والتعليمية والأبحاث العلمية، وتهيئة المناخ العلمى لإعداد أبحاث ودراسات لتجويد آليات النمو الأخضر الذى يحتاج إلى فكر إبداعى وابتكارات متوالية للحفاظ على الموارد وتعظيم الاستفادة منها، مع إقامة شراكات علمية وفنية مع المعاهد والمراكز الدولية المعنية بالنمو الأخضر مثل المنظمة العالمية للاقتصاد الأخضر WGEO وكذلك المعهد العالمى للنمو الأخضر GGGI فى كوريا الجنوبية على سبيل المثال لا الحصر.

ختاماً، فقد حرصت على إثارة مسألة النمو الأخضر بما يهدف إليه من خفض انبعاثات الغازات الدفيئة وخلق وظائف عمل خضراء والعمارة الخضراء، وتقديم خدمات مستدامة، وتحسين جودة الهواء، ووقف الزحف العمرانى، والمساهمة التطوعية فى التشجير، وتطوير المناطق الصناعية وتحويلها إلى مناطق خضراء، وتقديم حلول لإدارة النفايات، وإدارة المياه، وتحويل المخلفات إلى طاقة، واستحداث واستخدام النقل الجماعى الأخضر وغير ذلك من توجهات وسياسات خضراء، للتأكيد على أن الحديث عن النمو الأخضر لم يعد مجرد نوع من الرفاهية الفكرية بل أصبح حقيقة تنموية مستدامة وضرورة حياتية لم نعد فى غنى عنها، وارتباطاً بذلك هل أكون حالماً إذا ما دعوت إلى تخصيص يوم للنمو الأخضر فى مصر تكون كل سلوكياتنا الشعبية والرسمية مشجعة فى هذا اليوم المقترح ومرتبطة بقضية الاقتصاد والنمو الأخضر؟

حقيبـــة الوزيـــر

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

شكرى يلتقى وزير اليونان المناوب للشـــئون الخارجية علـــى هامش الاجتماع الوزارى العربى الأوروبى

صرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باســـم وزارة الخارجية، بأن السيد ســـامح شـــكرى وزير الخارجيـــة التقى يوم 4 فبرايـــر الجارى مـــع «جيورجوس كاتروجالوس» وزير اليونان المناوب للشئون الخارجية، وذلك على هامش الاجتماع الوزارى العربـــى الأوروبـــى بالعاصمـــة البلجيكية بروكسل.

وذكر حافظ أن الوزير شـــكرى أشاد فى بداية اللقاء بمستوى تطور العلاقات الثنائية بين البلدين فى مختلف المجالات، معرباً عن تطلع مصر إلى اســـتمرار ذلـــك الزخم على كافة المستويات، بما فى ذلك فى اطار الآلية الثلاثية مع دولة قبرص. فى هذا السياق، نوه شـــكرى بمخرجات اجتماعات القمة الثلاثية الأخيرة فى كريت أكتوبر الماضى، مؤكداً على أهمية البناء على نتائجها خاصة فى مجالات الســـياحة والاســـتثمار والعمل والطاقة بما يحقق المصلحة المشتركة للبلدين الصديقين.

وأضاف المتحدث باسم وزارة الخارجية، أن الوزيرين اتفقا خـــلال اللقاء على أهمية مواصلة العمل على تنميـــة وتعزيز الروابط التجاريـــة والاقتصادية بينهمـــا، فضلاً عن تكثيف التشـــاور إزاء التحديـــات الإقليمية والدولية، خاصة فى مجال مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية.

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى نظيره الإسبانى ببروكسل

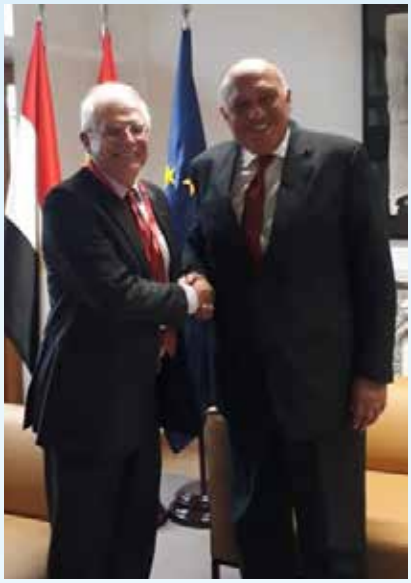

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وزيـــر خارجية إســـبانيا «جوزيب بوريل»، حيث تناول اللقاء سبل الارتقاء بأوجـــه التعاون بيـــن البلدين فى كافة المجالات والتشـــاور والتنســـيق حول القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

وصرح المستشـــار أحمـــد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شـــكرى أشـــاد خلال اللقاء بالمستوى المتميز الذى بلغته العلاقات بيـــن البلدين فى شـــتى المجالات. كما أشار شـــكرى إلى انعقاد الجولة الأولى للمشاورات السياســـية بين البلدين فى مدريد فى ديسمبر 2018، منوهاً بأهمية دورية انعقادها.

وأضاف حافظ، أن شـــكرى ونظيره الإسبانى تناولا إمكانية تطوير العلاقات بين البلدين فى مجال الســـياحة ودفع التعاون الاقتصادى. وفـــى هذا الإطار، اســـتعرض شكرى التحسُـــن الملحوظ فى أداء الاقتصـــاد المصرى، فضلاً عن المناخ الإيجابى للاستثمار، بالإضافة إلى المشروعات القومية العملاقة وما يرتبط بها من فرص استثمارية واعدة.

هذا، وأكد الوزير الإسبانى من جانبه على دعم بـــلاده للقمة العربية الأوروبية الأولى، والتى من المقرر أن تستضيفها مصر يومى 24 و25 فبراير الجارى.

شكرى يعقد مباحثات ثنائية مع نظيره البلجيكى

عقد وزير الخارجية ســـامح شـــكرى مباحثات ثنائية مع وزير خارجية بلجيكا «ديدييه رايندرز»، لبحث سبل الارتقاء بالعلاقات الثنائية بين البلدين إلى آفاق أرحب، بالإضافة إلى عددٍ من القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

وصرح المستشـــار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باســـم وزارة الخارجية، بأن الوزير شـــكرى ونظيره البلجيكى تناولا خلال اللقاء سبل تطوير شراكة اقتصادية بين مصر وبلجيكا بما يحقق المصالح المشتركة للبلدين، حيث استعرض شكرى فى هذا الصدد مُجمل التطورات السياسية والاقتصادية فى مصر وجهود تحقيق التنمية الشاملة بالبلاد، منوهاً بأهمية تشـــجيع الشركات البلجيكية على الاستثمار فى مصر على ضوء الفرص الكبيرة المتاحة بعد نجاح برنامج الإصلاح الاقتصادى والذى حظى بإشادة المؤسسات المانحة والمالية الدولية.

هذا، ومن جانبه أكد الوزير البلجيكى على حرص بلاده على تطوير العلاقات مع مصر فى كافة المجالات، مشيداً بالزيادة الملحوظة فى السياحة البلجيكية إلى مصر، ومشيراً إلى زيارة الملك «فيليب» لمصر مؤخراً.

ومن ناحية أخرى، كشف المتحدث باســـم الخارجية أن الوزير البلجيكى حرص على الاستماع لرؤية مصر حول مستجدات الأوضاع فى الشرق الأوسط، وكذلك القضايا الدولية ذات الاهتمام المشـــترك وعلى رأسها مكافحة الإرهاب، حيث أكد شكرى على ضرورة مواجهة تلك الظاهرة من منظور شـــامل يتناول الجوانب الأمنية والاقتصادية والفكرية.

وفى ختام تصريحاته، أشـــار حافظ إلى أن الجانبين أعربا عن تطلعهما للتشاور تجاه القضايا والتطورات الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشـــترك، خاصةً مع بدء فترة عضوية بلجيكا غير الدائمة بمجلس الأمن للعامين 2019 - 2020.

شكرى يجرى مباحثات مع وزير خارجية رومانيا

عقد وزير الخارجية سامح شكرى لقاءً مع وزير الخارجية الرومانى «ثيودور ميليسكانو»، على هامش الاجتماع الوزارى العربى الأوروبى بالعاصمة البلجيكية بروكسل، وذلك لبحث سبل دفع العلاقات المصرية الرومانية والنهوض بها فى المجالات المختلفة، فضلاً عن التنسيق والتعاون بينهما فى المحافل الدولية والإقليمية، وفى مقدمتها الاتحاد الأوروبى.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى استهل اللقاء مؤكداً على عمق وتميُز العلاقات التى تجمع مصر ورومانيا، ومشيراً إلى الطفرة التى تشهدها العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين، لا سيما مع اجتياز حجم التبادل التجارى حاجز المليار دولار خلال عام 2018، فضلاً عن مضاعفة عدد رحلات الطيران العارض لمدينتىّ شرم الشيخ والغردقة.

ومن جانبه، أشاد الوزير الرومانى بالمسار القائم للعلاقات بين البلدين، معرباً عن تطلعه للمزيد من التعاون مع مصر فى شتى المجلات خلال الفترة القادمة، ومؤكداً على حرص بلاده على تطوير العلاقات مع مصر. كما أكد «ميليسكانو» على دعم بلاده الكامل للقمة العربية الأوروبية الأولى المقرر انعقادها بمدينة شرم الشيخ خلال شهر فبراير الجارى.

وأضاف المتحدث باسم الخارجية، بأن شكرى حرص خلال اللقاء على استعراض رؤية مصر للأوضاع الإقليمية فى الشرق الأوسط، فضلاً عن الجهود المصرية إزاء مختلف التحديات والقضايا. وفى ختام تصريحاته، أوضح حافظ أن الوزيرين ثمّنا مستوى التعاون المتميز بين البلدين داخل المحافل الدولية والإقليمية، وخاصة الاتحاد الأوروبى، مع التأكيد على أهمية مواصلة التشاور بينهما فى الفترة المقبلة حول كافة القضايا ذات الاهتمام المشترك.

لقاء ثنائى بين شكرى ونظيره المجرى

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع «بيتر سيراتو» وزير الخارجية والتجارة المجرى، على هامش الاجتماع الوزارى العربى الأوروبى بالعاصمة البلجيكية بروكسل.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث باسم وزارة الخارجية، بأن اللقاء يأتى على ضوء العلاقات الثنائية المتميزة التى تجمع بين البلدين فى المجالات المختلفة وحرص مصر على تطوير علاقات التعاون مع دول مجموعة الفيشجراد التى تضم سلوفاكيا وبولندا والمجر والتشيك. وكشف حافظ أن الوزير شكرى بحث مع نظيره المجرى سبل تعزيز التعاون الثنائى، خاصة فى مجال التعاون الاقتصادى، حيث استعرض شكرى التطورات الإيجابية التى يشهدها الاقتصاد المصرى، معرباً عن تطلعه إلى زيادة حجم التبادل التجارى بين البلدين ومنوهاً بأهمية انعقاد منتدى الأعمال المصرى المجرى قريباً.

هذا، وأضاف المتحدث باسم وزارة الخارجية أن اللقاء تطرق أيضاً للعديد من القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، بما فى ذلك قضايا مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية.

شارك وزير الخارجية فى الاجتماعات التمهيدية للقمة الإفريقية

شارك وزير الخارجية السيد سامح شكرى فى الاجتماعات التمهيدية الدورة الـ32 لقمة الاتحاد الإفريقى التى عقدة خلال الفترة من 15 يناير إلى 8 فبراير 2019؛ حيث شارك فى اجتماعات اللجان الوزارية المقرر انعقادها يوم 6 فبراير، والتى تليها الدورة العادية الـ34 للمجلس التنفيذى على مستوى وزراء الخارجية يومى 7 و8 الجارى، على أن يليها الدورة العادية الـ32 لقمة رؤساء الدول والحكومات للاتحاد الإفريقى يومى 10 و11 فبراير 2019.

وصرح المستشار «أحمد حافظ» المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن القمة ذات أهمية خاصة حيث ستشهد تولى مصر رئاسة الاتحاد الإفريقى لعام 2019؛ وستعمل مصر خلالها مع الأشقاء الأفارقة على عدة أولويات أبرزها التكامل الاقتصادى والاندماج الإقليمى، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والسلم والأمن، والإصلاح المؤسسى والمالى للاتحاد، ومد جسور التواصل الثقافى والحضارى بين الشعوب الإفريقية، فضلاً عن التعاون مع الشركاء.

وأضاف المتحدث باسم وزارة الخارجية، أن «شكرى» ترأس وفد مصر خلال اجتماعات اللجان الوزارية للاتحاد الإفريقى، التى ناقشت عدة تقارير يتم رفعها للمجلس التنفيذى. كما أن وزير الخارجية ترأس أيضاً وفد مصر خلال اجتماعات المجلس التنفيذى للاتحاد، حيث تمت مناقشة عدة موضوعات من أبرزها أنشطة الاتحاد الإفريقى وأجهزته، والوضع الإنسانى فى إفريقيا، وغيرها.

واختتم «حافظ» تصريحاته، مشيراً إلى أنه من المُنتظر أيضاً أن يجرى الوزير «شكرى» مباحثات ثنائية مع نظرائه الأفارقة على هامش الاجتماعات، وذلك لبحث التعاون الثنائى والقضايا الإفريقية ذات الاهتمام المشترك.

وزير الخارجية سامح شكرى يبحث آخر المستجدات على الساحة الليبية مع المُمثل الخاص لأمين عام الأمم المتحدة فى ليبيا

التقى السيد سامح شكرى وزير الخارجية، السيد غسان سلامة المُمثل الخاص لأمين عام الأمم المتحدة فى ليبيا، وذلك أثناء زيارته إلى القاهرة للتباحث بشأن آخر المُستجدات على الساحة الليبية، وتبادل الرؤى حول سُبل الدفع بالعملية السياسية، فضلاً عن جهود مكافحة الإرهاب لاستعادة الأمن والاستقرار فى البلاد.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى تناول رؤية مصر إزاء تطورات الأوضاع على الساحة الليبية، والجهود المصرية الرامية إلى تعزيز بناء التوافق بين أبناء الشعب الليبى الشقيق كخطوة أساسية للدفع بالحل السياسى، فضلاً عن دعم مسار بناء وتوحيد المؤسسات الوطنية الليبية لاستعادة زمام الأمور وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار، وعلى نحو يُسهم بشكل مباشر فى تهيئة المناخ السياسى والأمنى فى ليبيا لإتمام الاستحقاقات الانتخابية فى أقرب وقت ممكن.

وأضاف المُتحدث الرسمى، أن السيد غسان سلامة حرص خلال اللقاء على إطلاع الوزير شكرى على نتائج الاتصالات والمشاورات التى قام بها مؤخراً على الساحة الليبية، واستعراض تطورات الأوضاع فى البلاد. واتصالاً بذلك، أكد الوزير شكرى على مُحدّدات الموقف المصرى من الأزمة الليبية المبنى على الدفع بالحل السياسى لتسوية الأزمة، وذلك فى إطار حوار ليبى ليبى ووفقاً للاتفاق السياسى الليبى، وبما يضمن الحفاظ على وحدة وسيادة الدولة الليبية وسلامة أراضيها.

فى مُستهل زيارته إلى المملكة الأردنية الهاشمية وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى جلالة الملك عبد الله الثانى

استقبل جلالة الملك عبد الله الثانى ملك الأردن، السيد سامح شكرى وزير الخارجية، ووزراء خارجية كل من المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، ودولة الكويت، وبحضور وزير الخارجية وشئون المغتربين الأردنى، وذلك قُبيل انعقاد الاجتماع التشاورى بين وزراء خارجية الدول الست فى شأن عدد من القضايا الإقليمية وتطوراتها، الذى عقد فى مركز الملك الحسين للمؤتمرات بمنطقة البحر الميت.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن اللقاء مع جلالة الملك تطرق إلى تطورات الأوضاع الإقليمية والقضايا ذات الاهتمام المُشترك، حيث تم التأكيد على أهمية تعزيز أطر التضامن وآليات العمل العربى المُشترك فى مواجهة كافة التحديات التى تشهدها المنطقة، واستمرار المساعى الرامية لتثبيت دعائم الأمن والاستقرار فى البلاد العربية على نحو يُلبى تطلعات شعوبها فى العيش فى سلام ومزيد من الرخاء.

وأضاف المُتحدث الرسمى، أن اللقاء تناول أيضاً الشأن الفلسطينى، والجهود الرامية إلى تحقيق السلام الشامل والعادل القائم على حل الدولتين.

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى المندوب الخاص للرئيس الروسى للشرق الأوسط وإفريقيا

استقبل السيد سامح شكرى وزير الخارجية السيد ميخائيل بوجدانوف المندوب الخاص للرئيس الروسى للشرق الأوسط وإفريقيا ونائب وزير الخارجية، وذلك أثناء زيارته إلى القاهرة، فى إطار التشاور المستمر بين البلدين فى شأن مُجمل تطورات الأوضاع فى المنطقة.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى والسيد بوجدانوف تبادلا الرؤى حول تطورات قضايا المنطقة، ومنها الأزمة السورية، وتطورات الأوضاع فى ليبيا، حيث أكد الوزير شكرى فى هذا الصدد على الثوابت المصرية للتعامل مع التحديات المختلفة التى تشهدها المنطقة، ويأتى على رأسها بذل كافة الجهود للحفاظ على وحدة وسيادة واستقلال الدول العربية وسلامة أراضيها، فضلاً عن الدفع بالحل السياسى لتسوية الأزمات فى المنطقة، إيماناً بأنه لا توجد حلول عسكرية لأى من تلك الأزمات.

وأضاف المُتحدث الرسمى، أنه قد دار نقاش أيضاً حول القضية الفلسطينية وما تشهده الساحة هناك من تطورات، حيث أكد الوزير شكرى على ضرورة تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية، ومواصلة الجهود المصرية فى هذا الاتجاه. وهو ما عقّب عليه السيد «بوجدانوف»، مؤكداً على دعم روسيا الكامل للجهود المصرية وأن منطلق أى تحركات روسية هو التكامُل مع ما تبذله مصر من جهد. كما تم التأكيد على دعم حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة، واستمرار المساعى الرامية إلى تحقيق السلام الشامل والعادل القائم على حل الدولتين، وذلك باعتباره ركيزة أساسية لتحقيق السلام والاستقرار فى المنطقة بأكملها.

واختتم المُتحدث الرسمى تصريحاته، بأن المندوب الخاص للرئيس الروسى ثمّن من جانبه الدور المصرى فى جهود تحقيق الاستقرار الإقليمى ومواجهة عوامل عدم الاستقرار به، معرباً عن تطلعه لاستمرار التشاور والتنسيق مع مصر خلال الفترة المقبلة.

فى كلمته أمام الاجتماع الوزارى العربى الأوروبى ببروكسل شكرى يؤكد أهمية البناء على المصالح المشتركة والمُتبادلة بين الجانبين

ألقى السيد سامح شـــكرى وزير الخارجية، يوم 4 فبراير الجارى، كلمة أمام الاجتماع الوزارى العربى الأوروبى فى دورته الخامسة بالعاصمة البلجيكية بروكسل، وذلك بمشاركة السيد الدردرى محمد أحمد وزير خارجية السودان، والسيدة فيديريكا موجيرينى المُمثلة العليا للشئون الخارجية والسياسة الأمنية بالاتحاد الأوروبى، والسيد أحمد أبو الغيط الأمين العام لجامعة الدول العربية، وبحضور وزراء خارجية الدول العربية والأوروبية المُشاركة فى أعمال الاجتماع.

وصرح المُستشـــار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باســـم وزارة الخارجية، بأن كلمة الوزير شـــكرى جاءت لتؤكد على أهمية انعقاد هذا الاجتمـــاع لما يُمثله من منصة لتعزيز التشـــاور وتبادل وجهات النظر فى شـــأن مُجمل القضايا محل اهتمام الجانبين العربى والأوروبى، بما يخدم المصالح المشتركة لكافة شعوب ودول المنطقتين، وعلى نحو يبنى بشـــكل فعّال على الروابط التاريخية العميقة التى دائمـــاً ما جمعت بين العالمين العربى والأوروبى.

جدير بالذكر، أن هذا الاجتماع يأتى فى إطـــار التمهيد لأعمال القمة العربية الأوروبية الأولى، والتى ستستضيفها مصر يومى 24 و25 فبراير الجارى.

وأضاف المُتحدث الرســـمى، أن الوزير شـــكرى أكد فى كلمته على مركزية القضية الفلســـطينية للشـــعوب العربية ولتحقيق الاســـتقرار فى المنطقة بأكملها، مشيراً إلى استمرار الموقف المصرى الراسخ تجاه القضية الفلسطينية، والداعم لكافة حقوق الشعب الفلسطينى المشـــروعة والثابتة، ومنوهاً باســـتمرار الجهود المصرية الرامية إلى توحيد الصف الفلسطينى، وتخفيف المعاناة الإنسانية للأشقاء فى كافة الأراضى الفلسطينية .

كما أشـــار «شـــكرى» إلى ترحيب مصر بجهود الاتحاد الأوروبى لدعم حقوق الشعب الفلسطينى المشـــروعة، وأنها تعول على اســـتمرار المواقف المبدئية للجانب الأوروبى، والبناء على ما سبق الاتفاق عليه من عناصر دون تراجع بشكل لا يتسق مع مبادئ الشرعية الدولية، بل ومبادئ العدالة والإنصاف لحقوق المواطن الفلسطينى .

واستطرد حافظ فى تصريحاته، مشيراً إلى أن الوزير شكرى تطرق إلى التطورات التى تشـــهدها المنطقة، ومنها الأزمة السورية، والأوضاع فى ليبيا، حيث أكد الوزير شكرى فى هذا الصدد على مُحددات الموقف المصرى للتعامل مع تلك التحديات.

وأوضح حافظ، أن الوزير شكرى أشار أيضاً فى كلمته إلى أن هذا الاجتماع يُمثل فرصة جيدة لمراجعة التقدم المُحرز فى مجالات التعاون القائم بين البلدين، وتطويره اســـتناداً إلى قاعدة مبدأ الاحترام المُتبادل للخصوصية، والبناء على المصالح المشـــتركة والمُتبادلة بين الجانبين. واتصالاً بذلك، أعرب الوزير شـــكرى عن تطلع الجانب العربى لقيام الاتحاد الأوروبى بدعم المســـاعى الرامية لتحقيق التنمية الشاملة ودعم المشروعات التنموية فى الدول العربية.

هذا، وقد استطرد الوزير شـــكرى متناولاً التحديات المختلفة التى تواجهها منطقتنا العربية. فعلى صعيد ملف الهجرة، نوه «شـــكرى» بالجهود الكبيرة التى تقوم بها الدول العربية للتعاطى مع هذه الظاهرة، ومن ضمنها مصر التى تســـتضيف نحو خمسة ملايين لاجئ من مختلف الدول.

وأردف حافظ، بأن الوزير شـــكرى تناول أيضاً فى كلمته ملف حقوق الإنسان، حيث أكد على أهمية التزام الجانبين العربى والأوروبى بنهج شـــامل لحماية حقوق الإنســـان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وكذلك الحق فى التنمية، مشيراً إلى التطلع للتعاون مع الشركاء الأوروبيين لتجديد الالتزام المُشترك بهذا المنظور الشامل لحقوق الإنسان، والتصدى بكل حزم لخطاب الكراهية والعنصرية.

واختتم «شكرى» كلمته، بالتأكيد على استمرار المساعى الرامية لتجاوز كافة العقبات التـــى تواجه المنطقة العربية فى تلك المرحلة الفارقة، ومشـــدداً على العزم للمضى قُدماً نحو مستقبل أفضل يتحقق فيه للشـــعوب العربية ما تصبو إليه من حرية وكرامة وتقدم واستقرار.

نائـــب وزيـــر الخارجية يبحث التعاون المشترك مع مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية

السفير حمدى سند لوزا

التقى الســـفير حمدى لـــوزا، نائب وزير الخارجيـــة، يوكويا أمانو، مدير عـــام الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بحضور الســـفير عمر عامر، المندوب الدائم لمصر لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وقـــد تنـــاول الاجتماع مجـــالات التعاون المختلفـــة بين مصر والوكالـــة الدولية للطاقة الذرية خاصة فيما يتعلق ببناء مصر لمحطات طاقة نووية لتوليـــد الكهرباء وتلبية احتياجات مصر المتزايدة من الطاقـــة الكهربائية، حيث حرص «أمانو» علـــى تأكيد دعم الوكالة الكامل لمصر فى هذا الشأن.

ومن جانبه، أكد نائب وزير الخارجية على اهتمام مصر والتزامهـــا الكامل بمعايير الأمن والأمان النوويين لكافة محطات الطاقة النووية التى سيتم إنشاؤها، مشيداً بالتعاون مع الوكالة فى مجال التطبيقات النوويـــة والأمن النووى والطاقة النوويـــة، والتطلع إلـــى دعم الوكالة لجهود إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النوويـــة، وأيضاً التعاون مـــع الوكالة لتدريب وتأهيل الكوادر الفنية المصرية بما يمكنهم من اكتســـاب المزيد من الخبرات العلمية والفنية، مؤكداً على اهتمـــام مصر بدعم وتطوير برامج التعـــاون الفنى فى إطار حق الدول فى الانتفاع من الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

وقد أعرب «أمانو» عـــن تقدير الوكالة لما تقوم به مصر من جهد ملموس لدعم أنشـــطة الوكالة والاســـتفادة من الخبرات المتعددة فى مجال نقل التكنولوجيا النووية للاســـتخدامات الســـلمية، وتدريب الكوادر البشرية فى العديد من الدول النامية، مشـــيراً إلى سعادته لزيارة مصر للمرة الثالثة منذ توليه مهام منصبه عام 2009، مضيفاً أن مصر تعد من الدول المرشحة لاســـتضافة مؤتمر الطاقة النووية الذى سيعقد عام 2021.

سـفير مصر يعلن خلال لقاء بدار سكن السفارة مع مديرى المهرجانات السينمائية مشـاركة فيلمين مصريين لأول مرة فـى مهرجان السـينما فى بلجراد تزامناً مع مشاركة موسعة فى معرض السياحة الدولى

التقى سـفير مصر فى بلجراد «عمرو الجويلى» مع مديرى المهرجانات الصربية المتخصصـة فى السـينما، بدار سـكن السفارة، لمناقشـة إبراز مشاركة السينما المصرية الرائـدة إقليميـاً وذات المكانة التاريخية عالمياً.

وأعلن «الجويلى» خـلال اللقاء أنه تم الاتفاق مع «كسـينا زيلينوفيتش» منسقة مهرجان بلجراد السينمائى الأكبر فى منطقة البلقان، على مشـاركة مصر بفيلمين لأول مرة، هما «تراب المـاس» للمخرج «مروان حامد» يومى 23 و 26 فبراير، بينما يعرض فيلم «المهاجر» للمخرج الراحل «يوسـف شـاهين» فى نشـاط الأفلام الكلاسيكية، بمشاركة من المركز القومى للسينما برئاسة الدكتور خالد عبد الجليل. وأبرز «الجويلى» أن تلك المشاركة من شأنها أن تبرز تواجد ثقافـى مصرى غير مسـبوق لتزامنها مع مشاركة موسعة من محافظة البحر الأحمر فى معرض بلجراد السياحى، وهو من شأنه جذب اهتمام المواطـن الصربى بالثقافة المصريـة، ودعوتها من خلالهـا لزيارة معالمها السياحية.

سـفير مصر فى بلجـراد يفتتح اجتماع إعادة تأسيس جمعية الصداقة المصرية الصربية

ألقى سـفير مصر فـى بلجراد عمرو الجويلى الكلمة الرئيسية أمام اجتماع إعادة تأسيس جمعية الصداقة المصرية الصربية الذى عقد بمقر الجمعيـة الجديد بمتحف الفن الإفريقى، مشـيداً بمبـادرة الأعضاء بإعادة تشكيل مبتكر يضم لأول مرة منتدى أعمال ورابطة للشـباب، بعد 7 سنوات من الجمود منذ إنشائها عام 2011.

واسـتضاف «الجويلى» عشـاء عمل على شـرف الجمعية، ضم الجانب الصربى المعين حديثاً لمجلس الأعمال المشترك مع مصر، والذين أعربوا عـن تطلعهم لانتهاء إجراءات تسمية الجانب المصرى، بما يؤهل المجلس لانعقاده الأول منـذ التوقيع على مذكرة التفاهم المنشأة له عام 2005. وثمن سفير مصر فى بلجراد إنشاء رابطة للشباب ضمن الهيكل الجديد للجمعية، جميعهم من الدارسين للغة العربية بكلية الألسن بجامعة بلجراد، وعدد منهم من الفائزين فى مسابقة اليوم العالمـى للغة العربيـة التى رعتها السفارة.

من جانبها، اسـتعرضت السفيرة «أيتا دجرمانوفيتش» الرئيسة الجديدة المنتخبة، والنائبة السابقة لمدير إدارة إفريقيا والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الصربية، أهداف ومجالات عملها فى المسـتقبل، مبرزة قيام الجمعية بإنشـاء صفحات علـى مواقع التواصل الاجتماعى.

وأكد سـفير مصر لدى صربيا على أن إعادة تأسـيس جمعية الصداقة يوفر آلية للتواصل الشـعبى بين البلدين، وترسـى أرضية صلبة لتعزيز العلاقات الثنائية على كافة الأصعدة الدبلوماسـية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

سـفير مصر فى بلجراد يطلع وفد إعلامـى صربـى على مؤشـرات نمو السـياحة إلى مصر قبيـل زيارته إلى القاهرة والبحر الأحمر

استقبل سـفير مصر فى بلجراد عمرو الجويلى وفداً إعلامياً سـياحياً ضم ممثلى كبرى وسـائل الإعلام المطبوعة والمرئية والمسـموعة والإلكترونيـة الصربية قبيل سفره فى أول زيارة ترويجية إلى القاهرة والبحر الأحمر منذ أكثر من 8 سنوات، بدعوة وتنظيـم من اللواء أحمد عبـد الله محافظ البحر الأحمر وأحمد يوسـف رئيس هيئة تنشيط السياحة.

وأبرز «الجويلى» خلال اللقاء التطورات الإيجابية فى مجال تدفق السياحة الصربية إلى مصر العام الماضى، حيث تم استئناف طيران إير صربيا إلى كل من شـرم الشيخ فى أعياد الميلاد بعد توقف لسـت سنوات، وسبقها استئناف الرحلات إلى الغردقة فى الصيف. كما قام اللواء أحمد عبد الله محافظ البحر الأحمر برئاسـة وفد سياحى موسع إلى صربيا فى أكتوبـر وعقد مذكرة توأمة بين مرسـى علم ومدينة «ياجودينا» بوسط صربيا.

وكشف سـفير مصر لدى صربيا للوفد الإعلامى أن عدد التأشـيرات التى أصدرتها السـفارة ارتفع بنسـبة 176٪ خلال عام 2018، وهو أحد المؤشـرات المهمة على تزايد عدد السياح أيضاً، مبرزاً أن هناك عدداً من الأنشطة السـياحية المهمة التى سيتم تنظيمهـا خلال عام 2019، على رأسـها مشـاركة محافظة البحـر الأحمر بجناح موسع فى معرض بلجراد الدولى للسياحة فى الفترة من 21 إلى 24 فبراير، بالتزامن مع مشاركة مصرية بفيلمى «تراب الماس» و«المهاجر» فى مهرجان بلجراد السينمائى الدولى.

واستعرضت سـفارة مصر فى بلجراد البرنامج السـياحى الذى تنظمه محافظة البحر الأحمر وهيئة تنشيط السياحة للوفد الإعلامى، الذى يشـمل أيضاً زيـارة إلى الـدورة الذهبية لمعـرض القاهرة الدولى للكتاب باعتبار مشـاركة صربيا فيه لأول مرة، وزيارة إلى العاصمة الإدارية الجديدة، إضافة إلى المزارات السـياحية التقليدية بالقاهرة والغردقة. وعبر المشـاركون عن تطلعهم لإتمام هذه الزيارة الأولى.

أوتاوا

التقى السفير أحمد أبو زيد سفير مصر لدى كندا يوم الجمعة 1 فبراير الجارى مع السيدة «إليزابيث كينجستون» رئيسة مكتب المجلس الكندى الدولى بالعاصمة أوتاوا، والسيد «حميد جورجانى» رئيس مجموعة دراسات الشرق الأوسط بالمجلس.

وفى تصريح للسفير أبو زيد، أشار إلى أن حرص السفارة المصرية فى كندا على التواصل مع مسئولى المركز ينبع من الدور المهم الذى يقوم به فى رفع الوعى بقضايا الشرق الأوسط وإفريقيا لدى الدوائر الكندية المختلفة، وذلك باعتباره أحد أبرز وأكبر مراكز الفكر الكندية المهتمة بموضوعات السياسة الخارجية، ولكونه يضم فى عضويته نخبة متميزة من السياسيين والدبلوماسيين السابقين، فضلاً عن أساتذة الجامعات والصحفيين وغيرهم.

وأضاف أبو زيد أن اللقاء تطرق إلى بحث سبل التعاون الممكنة بين السفارة المصرية فى كندا والمجلس الكندى الدولى، لاسيما من خلال المشاركة فى تنظيم فعاليات تهدف إلى تسليط الضوء على التطورات التى تشهدها منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا بشكل عام، ومصر على وجه الخصوص، حيث استعرض ما تمر به مصر حالياً من مرحلة تحول كبرى على مختلف الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والدور الإقليمى المحورى الذى تقوم به فى مختلف قضايا المنطقة.

وأكد السفير المصرى على أن تواصل سفارة مصر فى كندا مع مراكز البحث والفكر والجامعات يأتى فى إطار خطة تحرك تستهدف نقل صورة واضحة ودقيقة عن مصر ودورها الإقليمى والدولى، ليس فقط لدى الدوائر السياسية والحكومية، وإنما أيضاً لكافة القطاعات ذات التأثير فى عملية صنع وتشكيل الرأى العام الكندى.

كابول

استقبل «هانى صلاح» سفير مصر فى كابول «محمد باوارى» نائب وزير الثقافة الأفغانى والوفد المنتظر أن يرافقه خلال فعاليات المهرجان الثقافى والفنى الأول لمنظمة التعاون الإسلامى، والمقرر عقده بالقاهرة خلال الفترة من 5 - 9 فبراير 2019.

وبحث المسئولان التحضيرات الجارية للتوقيع على اتفاق للتعاون الثقافى بين البلدين خلال العام الجارى، وذلك فى ظل الاحتفال بمرور 90 عاماً خلال العام الماضى على توقيع اتفاقية الصداقة بين البلدين فى 30 مايو 1928.

من جانبه، أعرب المسئول الأفغانى عن تقديره لمصر ولدور البعثة الأزهرية فى كابول، مشيراً إلى أنه سينتهز فرصة زيارته لمصر للترويج لمدينة كابول كعاصمة للثقافة الإسلامية عام 2024.

الخرطوم

التقى "حسام عيسى" سفير مصر فى السودان "محمد حاتم سليمان" مدير الهيئة العامة للإذاعة والتليفزيون السودانية، للتباحث حول سبل تعزيز العلاقات الإعلامية بين شعبى وادى النيل وتفعيل الاتفاقيات التى تم إبرامها بين الجانبين، فضلاً عن سبل تطوير دور وسائل الإعلام كشريك رئيسى فى عملية التنمية.

وصرح السفير عيسى، بأن اللقاء عكس عمق العلاقات التاريخية بين مصر والسودان، والإرادة المشتركة لتطويرها بصورة دائمة، حيث تم الاتفاق على تنفيذ مجموعة من المشروعات وبرامج التدريب للعاملين بقطاع الإذاعة والتليفزيون، وتم وضع خطط العمل المبدئية لها. كما اتفق الجانبان على ضرورة دعم إذاعة وادى النيل، والتى تمثل أحد أهم المنابر للتواصل بين الدولتين والشعبين الشقيقين.

وناقش الجانبان كذلك مشروع العمل الدرامى المقترح تنفيذه بشكل مشترك خلال الفترة القادمة، ويتناول الصورة الحقيقية للعلاقات الثنائية، فضلاً عن دعم التعاون الإعلامى والإنتاج المشترك للأعمال الفنية والتدريب.

لندن

التقى السفير طارق عادل سفير مصر فى لندن «تونى بلير» رئيس الوزراء البريطانى الأسبق ورئيس مؤسسة بلير للتغير الدولى، حيث تباحث معه حول المستجدات على الساحة البريطانية وعملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى، وكذا التطورات على صعيد عدد من قضايا الشرق الأوسط. كما تم التطرق خلال اللقاء إلى العلاقات المصرية البريطانية وسبل تعزيزها خلال الفترة القادمة على مختلف الأصعدة.

وقد أكد « بلير» خلال اللقاء على ما يكنه لمصر من تقدير كبير، مستعرضاً زياراته المتعددة إليها، وآخرها الزيارة الخاصة التى قام بها مع أسرته خلال فترة الأعياد مطلع العام الجارى. كما أشاد «بلير» بالجهود الكبيرة التى يبذلها السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى، بما فى ذلك على صعيد تعزيز التسامح والتعايش وقبول الآخر، لافتاً إلى ما تمثله مبادرة سيادته ببناء أكبر مسجد وكنيسة بالشرق الأوسط وافتتاحهما معاً من نموذج مهم لترسيخ هذه القيم.

غانا

استضاف عماد حنا سفير مصر في غانا لقاءً موسعاً لأبناء الجالية المصرية، ضم مجموعةً من رجال الأعمال والمستثمرين في غانا وممثلي الشركات المصرية العاملة في أكرا والعاملين في مجال إدارة الفنادق وأعضاء المكتب الإقليمي لمؤسسة مصر للطيران، حيثُ استمع السفير إلى أوضاع الشركات المصرية العاملة هناك، والتي تتنوع نشاطاتها ما بين إدارة المشروعات الزراعية وصناعة الألومنيوم وبناء المستشفيات وتوريد الأجهزة الطبية اللازمة لها واستخراج وتنقية المعادن النفيسة وتجميع عدادات الكهرباء والمياه، واستيراد وتسويق معدات وعربات النقل الثقيل، إضافةً إلى إدارة فروع بعض الفنادق العالمية في أكرا.

وأثنى السفير المصري في حديثه على ما تحظى به الجالية المصرية في غانا من ترحيب وتقدير الشعب الغاني بالنظر إلى رصيد الاحترام الذي يكنه شعب غانا الصديق لمصر وشعبها منذ حقبة الخمسينيات التي ساندت خلالها مصر حركة التحرر الوطني الغاني، والصداقة الوطيدة التي جمعت بين الرئيسين جمال عبد الناصر وكوامي نكروما وأسست لحركة عدم الانحياز وكتلة الدار البيضاء التي مثلت النواة الأولى للاتحاد الإفريقي الذي تترأسه مصر اليوم.

وأطلَع السفير المصري أبناء الجالية في هذا السياق على أولويات الرئاسة المصرية للاتحاد الإفريقي، والتي تأتي على رأسها تحقيق التنمية والتكامل فيما بين دول القارة ودعم التجارة البينية عبر اعتماد وتفعيل اتفاق التجارة الحرة القارية إضافة إلى ترسيخ الأمن والسلام في ربوع إفريقيا، مُشيراً إلى التنسيق القائم بين مصر وغانا في هذا الإطار.

وتناول عماد حنا ما تضعه رئاسة مصر للاتحاد الإفريقي من مسئولية إضافية على أبناء مصر العاملين في القارة لتعزيز أهدافها وتحقيق التنمية والتقارب فيما بين شعوبها، واصفاً أبناء الجالية المغتربين بسفراء مصر وواجهتها الحقيقية.

بيروت

استقبل سفير جمهورية مصر العربية لدى لبنان نزيه النجارى السيد جان عبود رئيس نقابة أصحاب مكاتب السفر والسياحة فى لبنان، ووفداً من أعضاء مجلس النقابة، وذلك فى إطار بحث سُبل تعزيز حركة السياحة بين مصر ولبنان خلال الفترة القادمة، أعقبه لقاء موسع عقده السفير مع أصحاب وممثلى عدد من شركات السياحة اللبنانية هذا، ومن جانبه، شدد السيد جان عبود على المكانة المُتميزة للمقاصد السياحية المصرية لدى السائح اللبنانى على مدار العام، معرباً عن تطلعه إلى بحث كافة الإجراءات اللازمة لتيسير حركة السياحة من لبنان إلى مصر، فيما أكد السفير نزيه النجارى حرص السفارة على تقديم كافة أوجه الدعم المُمكنة لمكاتب السياحة والسفر اللبنانية، وأهمية استمرار التنسيق القائم بين السفارة وشركات السياحة فى هذا الصدد.

تنزانيا

قام الدكتور عز الدين أبوستيت، وزير الزراعة واستصلاح الأراضي، والوفد المرافق له بزيارة إلى تنزانيا خلال الفترة من ٣ إلى ٦ فبراير 2018، وذلك في إطار اهتمام القيادة السياسية بتعميق العلاقات المصرية الأفريقية، والتحرك المصري لتعزيز التعاون مع الدول الأفريقية خاصة فى مجال المزارع المشتركة، فضلاً عن تعزيز التعاون الثنائي مع الجانب التنزاني في مجال الزراعة والثروة الحيوانية والاستزراع السمكي.

وصرح «محمد جابر أبو الوفا » سفير مصر فى تنزانيا، بأن وزير الزراعة واستصلاح الأراضي قد قام خلال تواجده فى تنزانيا بزيارة إلى «زنزبار»، حيث التقى «على محمد شين» رئيس زنزبار، ووزراء الزراعة والجيش فى «زنزبار»، كما قام بزيارة مشروع المزرعة المشتركة المصرية الزنزبارية، التي تعد من التجارب الناجحة للمزارع المشتركة في أفريقيا، حيث شهد الوزير أبوستيت مراسم افتتاح المرحلة الأولى من محطة الطاقة الشمسية في المزرعة، والتي سوف تكون عند إكتمالها أكبر محطات توليد الطاقة الشمسية في تنزانيا، بما يسهم في مضاعفة قدرات المزرعة المشتركة وإنتاجيتها وتعزيز كفاءتها على صعيد تطوير نظم الري بالتنقيط، بما يحقق منفعة زراعية وغذائية كبيرة لمواطني «زنزبار».

وأوضح السفير أن الوزير أبوستيت بحث مع المسئولين الزنزباريين فرص تطوير المزرعة المشتركة، وآليات تعزيز التعاون الزراعي بين البلدين خاصة في مجال البحوث الزراعية، فضلا عن قيام الجانب المصري بتدريب الكوادر الزراعية الزنزبارية، حيث تم خلال الزيارة التوقيع على خطابين لإعلان النوايا الأول بين مركز البحوث الزراعية التابع لوزارة الزراعة وبين جامعة الدولة في «زنزبار» (جامعة «سوزا») في مجال الدراسات البحثية والبرامج الدراسية، والثاني بين مشروع المزارع المشتركة مع الدول الإفريقية التابع لوزارة الزراعة و«جامعة سوزا» في مجال التدريب، وذلك من خلال تدريب طلبة الجامعة فى المزرعة المشتركة على مجالات الزراعة المختلفة.

رئاسة مصر للإتحاد الإفريقى
تعاون.. تنمية

سجلت صحائف التاريخ المعاصر أهم حدث فى عام 2019، وقائع تسلم الرئيس عبدالفتاح السيسى رئاسة الاتحاد الإفريقى، من رئيس رواندا، وذلك فى الجلسة الافتتاحية لقمة الاتحاد والتى أقيمت فى العاصمة الإثيوبية أديس أبابا يوم الأحد (10 فبراير 2019).

وانطلاقاً من رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى، تكون مصر قد حققت أهمية البعد الإفريقى، الذى حرص على إعادته بقوة، الرئيس عبدالفتاح السيسى، منذ توليه رئاسة مصر فى 2014، وقد حرص على تحقيقه مؤكداً ذلك فى رسالته إلى العالم قائلاً:

نحن عازمون على عودة مصر إلى مكانتها، والإسهام الفاعل مع بقية دول القارة، فى مواجهة التحديات المتربصة بنا، لاسيما الإرهاب، والجريمة المنظمة والأوبئة وتدهور البيئة.

ومن خلال تلك الرؤية الإستراتيجية تكمن أهم رسائل رؤية مصر حكومة وشعباً، ألا وهى، استعادة الروح والروابط التاريخية المصرية الإفريقية، لتحقيق آمال وطموحات القارة السمراء، خاصة فى مجال البنية الأساسية، لتدعيم الاستثمار والتبادل التجارى بين الدول الإفريقية، وتنفيذ برامج التنمية فى كل المجالات، وتعظيم قدرات ومهارات الشباب، الذين هم عماد المستقبل، وتمكينهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً من قيادة أوطانهم واستثمار ثروات بلادهم.

وقد تبنت الخارجية المصرية تلك الرؤية لاستعادة الدور المصرى الرائد فى إفريقيا، فى إطار الإستراتيجية التى تبنتها مصر، بدعم من الرئيس عبدالفتاح السيسى نحو تعزيز العلاقات المصرية الإفريقية، على كافة الجوانب.

ورئاسة مصر للاتحاد الإفريقى، تؤكد على أهمية إعادة دورها التاريخى والحضارى فى إفريقيا، فمصر من الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الإفريقية عام 1963، والتى تحول اسمها إلى الاتحاد الإفريقى عام 2002 خلال القمة الإفريقية التى عقدت فى مدينة سرت الليبية، حيث بدأت الفكرة فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر، الذى أدرك منذ البداية أن مصر المستقلة لا تستطيع أن تعيش

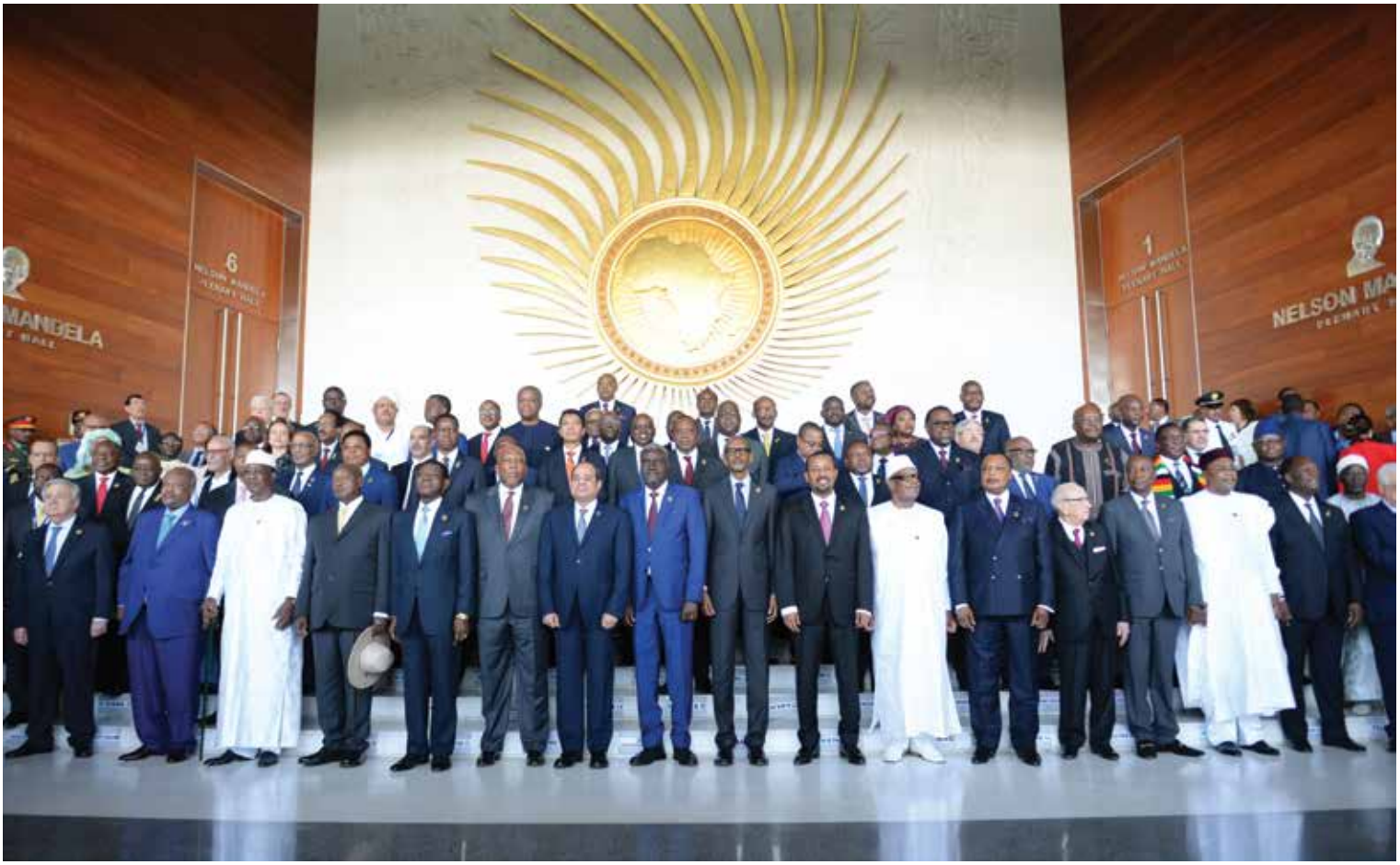

وحدها، وآمن بأن الثورة المصرية جزء لا يتجزأ، من ثورة التحرر الوطنى فى العالم، فالتحم بحركة التحرر الوطنى الإفريقيـــة، وأصبـــح عبدالناصر أبو إفريقيا المستقلة الذى كان وراء ارتفاع أعلام الاستقلال، بعد أن اندلعت حركات التحرر فى جميع أنحاء القارة، متخذة من عواصم دولها المستقلة، فى القاهرة وأكرا وكوناكرى ودار السلام وبرازافيل وغيرها قاعدة لانطلاقها، وزعماء حركة تحريـــر إفريقيا هم جمال عبدالناصر- كينياتـــا- نكروما- ســـيكوتورى- بن بيلـــلا- لومومبـــا- فيلكـــس مومى - كاوندا - جوشـــوا نكومو - موجابى - نيريـــرى - مانديـــلا، وغيرهم. وبذلك يكون عبدالناصر قد لعب الدور الأخطر بشـــهادة التاريخ فى يقظـــة إفريقيا واســـتقلالها، حيث أعلن انتماء مصر للحركة الإفريقية، وتحملها عبء حركة التحرير الإفريقية، وأصبح هذا الانتماء جزءاً لا يتجزأ من الشخصية المصرية.

الرئيس السيسى يتسلم رئاسة «الاتحاد الأفريقي» لعام 2019

الزعيم عبد الناصر وهيلاسلاسى

عبد الناصر يلقى خطابه فى مؤتمر أديس أبابا عام 1963

استقبال عبد الناصر للثائر الإفريقى باتريس لومومبا رئيس وزراء الكونغو

الزعيمان عبد الناصر و نكروما

الصين والعالم للسفير د. السيد أمين شلبى

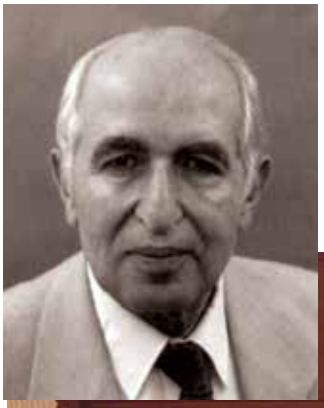

تمت مناقشة كتاب (الصين والعالم) للسفير الدكتور السيد أمين شلبى بقاعة (كاتب وكتاب) ضمن إطار معرض القاهرة الدولى فى دورته الخمسين 2019، بحضور لفيف من السفراء السابقين فى الصين، على الحفنى، محمد نعمان جلال وأدار الندوة الإعلامى ضياء حامد حيث بدأ قائلاً: كتاب الصين والعالم يشرح للقارئ أهمية الصين كمنافس قوى لأمريكا، مجسداً أرقام واردات الصين المرتفعة تكاد تصل إلى معجزة يشهد لها العالم، وكيف ساهمت تلك المعجزة فى الاقتصاد العالمى.

وتحدث السفير السيد أمين شلبى سفير مصر السابق فى الصين مقدماً رؤيته النابعة من خبراته فى هذا البلد المبدع فى كل شئ مؤكداً أن القوة الاقتصادية، لابد أن تنتج قوة سياسية وإستراتيجية عالمية، وهذا هو السبب الذى دفعه لنشر هذا الكتاب وتقديمه إلى الرأى العام المصرى والعالمى، وأضاف أن الكتاب مكون من جزءين: أولهما، كيف ترى الصين العالم؟ ورؤيتها لنفسها ولمناطق مختلفة من العالم، كما يعطى هذا الجزء اهتماماً لعلاقة الصين بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث هما القطبان الأساسيان فى النظام الدولى، وقد قدمت فى هذا الكتاب بيانات موثقة ومراجع صينية، أما الجزء الثانى فهو يتناول كيف يرى العالم الصين؟ وهو يقدم رؤية متكاملة، اعتمدت على كتابات علماء بارزين فى العلاقات الصينية الأمريكية، منذ كيسنجر الذى حقق الانفتاح الأمريكى مع الصين عام 1972 ثم تلته زيارة تشرشل.

وأكد السفير محمد نعمان جلال أن الصين لن تسبق أمريكا اقتصادياً أو سياسياً، أو عسكرياً، فهناك مسافة كبيرة بينهما، مشيراً إلى الميزانية العسكرية الأمريكية التى تتجاوز ميزانية الصين بأربعة أضعاف وأشار إلى الأسباب التى دفعت الصين إلى النهوض والأزمات التى لحقت بها منذ حرب (الأفيون) و(حرب الثقافة) وتطرق إلى إنتاج الصين الذى أغرقت به العالم، والتحديات التى واجهتها الصين أمام الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وأشار إلى الأزمة المالية عام 2008 وكيف تغلبت الصين على هذه الأزمة عن طريق العودة إلى التراث الثقافى، وإعادة إحياء طريق الحرير مرة أخرى وتحدث عن الدول الإفريقية والآسيوية التى يمر بها طريق الحرير، مؤكداً أن ذلك سيساهم فى تطوير الموانئ البحرية التى سيمر بها طريق الحرير.

وتحدث السفير على الحفنى مؤكداً على أن مصر تقيم علاقات متوازية مع الصين وروسيا من جانب وأمريكا من جانب آخر، فى نفس الوقت، مشيراً إلى أن أمريكا هى القوة العظمى فى العالم، وذكر العوامل التى ساهمت فى نجاح التجربة الصينية.

بإدارة «الفقى» ومشاركة «حواس»:

ندوة معرض القاهرة للكتاب تناقش كتاب صربيا فى عيون مصرية

عقد بمعرض القاهرة الدولى للكتاب بقاعة «ضيف الشرف» فى الأول من فبراير 2019 ندوة عن كتاب «صربيا فى عيون مصرية: ذكريات دبلوماسية ومذكرات ثقافية»، من تحرير السفير عمرو الجويلى، أدارها السفير الدكتور مصطفى الفقى مدير مكتبة الإسكندرية. وأشار«الفقى» فى مداخلته إلى أن العلاقة بين القاهرة وبلجراد كانت من ركائز إنشاء حركة عدم الانحياز التى شكلت العلاقات الدولية فى صورتها الحالية، ولعبت دوراً كبيراً فى تحقيق استقلال الدول النامية والدفاع عن حقوقها فى المحافل الدولية. وأثنى على التطور المتنامى للعلاقات الثقافية بين البلدين مشيراً إلى أن المكتبة استقبلت وفداً من الفائزين بمسابقة اليوم العالمى للغة العربية ومركز الثقافة العربية فى بلجراد، تأكيداً على الدور الذى تضطلع به مصر فى ريادة الفكر والأدب العربى، ومثمناً اهتمام الشباب الصربى بتعميق معرفتهم بتلك الثقافة الثرية.

ونوه الدكتور زاهى حواس، أقدم المساهمين فى جزء «مذكرات ثقافية» بفصل بعنوان «صربيا بعيون فرعونية» للولع الذى يتسم به الصرب تجاه الحضارة المصرية القديمة، مبرزاً نتائج زيارته الأخيرة إلى بلجراد التى شملت العديد من الأنشطة الثقافية للتعريف بالآثار الفرعونية من جانب، وللترويج لزيارة مصر على ضوء ما تتمتع به من أمن وأمان؛ وهى الزيارة المتوقع أن تتكرر فى نوفمبر العام المقبل فى مراسم استلام إحدى أرفع الجوائز الثقافية بصربيا.

تناول السفير الدكتور حسين حسونة، أقدم المساهمين فى جزء «ذكريات دبلوماسية»، لتجربته كآخر سفير لمصر فى يوغوسلافيا، التى شهد خلالها مرحلة التفكك إلى أكثر من دولة. وطالب «حسونة» المجتمعات العربية بالتعلم من تلك التجربة وعدم الانجرار وراء دعوات الانتماءات العرقية والدينية والمذهبية، والتركيز بدلاً من ذلك على الحوار والتعاون والتآخى.

من جانبه، أبرز السفير عمرو الجويلى، محرر الكتاب، التجربة الجديدة التى يمثلها الكتاب من النموذج التقليدى لتدوين ذاكرة الفرد فى أماكن متعددة، إلى ذاكرة المكان من أعين الخبراء المتراكمة؛ كما يعرض مناهج الدبلوماسية فى خدمة الوطن وأدوات الثقافة فى خدمة المجتمع. وأشار إلى أن الكتاب يعتبر بمثابة ذاكرة مؤسسية تؤرخ للعلاقات المصرية الصربية ولحالة ثرية من إدارة السياسة الخارجية والترويج الثقافية المصرية يجب التمحص فيها بعناية وتعميم للدروس المستفادة منها. ولفت إلى أن الكتاب يعتبر أيضاً إضافة من حيث تنوع المؤلفين المساهمين، حيث يجمع بين السفراء الدبلوماسيين الممثلين الرسميين وقناة التواصل مع دولة الاعتماد، وبين كبار المثقفين باختلاف تخصصاتهم الذين يمثلون قناة مهمة للتواصل بين الشعوب والمجتمعات. وكشف «الجويلى» أن الكتاب قد تمت ترجمته مؤخراً إلى اللغة الصربية من خلال مركز الثقافة العربية فى بلجراد، وسيكون معداً للنشر فى معرض بلجراد الدولى للكتاب فى أكتوبر المقبل حيث يشرف الدكتور هيثم الحاج رئيس الهيئة العامة للكتاب على مشاركة مصر كضيف شرف لأول مرة فى المعرض. وأثنى «الجويلى» على المبادرة التى طرحها الدكتور أحمد العساسى نائب رئيس الهيئة العامة للكتاب بتنظيم مشاركة لصربيا لأول مرة بالمعرض، وهو ما حاز على تغطية إعلامية كبيرة فى الصحف الصربية بحضور وفد إعلامى موسع لزيارة الجناح.

وشمل النقاش مداخلات من الحاضرين من المساهمين فى قسم «ذكريات دبلوماسية»: السفيرة منحة باخوم التى تحدثت عن تجربتها التى مرت بمرحلة صعبة ثم جهودها فى تعزيز العلاقات بين البلدين ما بعد ثورة 30 يونيو. كما عرض السفير أشرف عقل لخبرته من خلال تولى منصب القائم بالأعمال بالإنابة نتيجة تخفيض مستوى التمثيل إبان الحرب فى البلقان، والتحديات التى تشهدها البعثات الدبلوماسية فى مثل تلك الحالات، لحين عودة السفراء لمناصبهم.

كما أدلى الحاضرون من المساهمين فى قسم «مذكرات ثقافية» الدكتورة مرفت السويفى لمداخلة حول تجربتها كدارسة فى مجال الخزف والعلاقة بين السفارة والدارسين باعتبار أنها جزء رئيسى من التواصل مع الجالية الأوسع. وتناولت الروائية مى خالد لقيامها بتأليف كتاب «مصر التى فى صربيا» كناتج عن تجربتها فى الإقامة هناك لفترة وجيزة، أيقنت خلالها لأوجه التشابه بين البلدين. أخيراً تحدث الدكتور إبراهيم غزالة عن أهمية الانتقال من الحديث العام عن تعزيز العلاقات بين البلدين إلى مشروعات ثقافية محددة، فعلى سبيل المثال ساهم فى الكتاب «بلوحات» عن صربيا، أعدها خلال مشاركته فى ملتقيات فنية هناك. وعرض «شريف بكر» رئيس دار العربى للنشر والتوزيع لفكرة الكتاب والإضافة التى يمثلها لإثراء المقاربات المتنوعة لكتابة «الذكريات الدبلوماسية والمذكرات الثقافية».

تركيا: أرض المتناقضات وأسطورة النموذج الإسلامى

فـــى أول زيارة لى ولزوجتى لتركيا عام 2009 على هامش مشـــاورات سياســـية ثنائية أجريتها هناك بصفتى وقتها مساعد وزير الخارجية للشئون العربية، ســـحرتنا اسطنبول بحدائقها المنتشرة والمزهرة والتى قرأت أنها كانت إحدى إنجازات أردوغان عندما كان عمدة المدينة فى التســـعينات. وأسعدنا أن نسمع أذان الصلاة من مســـجد أورطا كوى على ساحل البوسفور وسط عشرات الأتراك الذين جلسوا على ضفاف البوسفور مرتدين ثياباً غربية متحررة تلائم حر صيف اســـطنبول ويحتسون البيرة ويدخنون مما ذكّرنى بالإسكندرية فى الستينات وقت طفولتى.

سفير عبد الرحمن صلاح

Abderahman_salah@yahoo.com

والغريـــب أن الأجيال الجديدة من المصريين الذين يزورون اسطنبول لأول مرة دون مشاهدة الدراما التليفزيونية التركية الأكثر شعبية فى العالم العربى يفاجئهم ملبس ومشرب ومسلك نصف المجتمع التركـــى، الذين لايتقيدون بما يعتقد كثير من أولئك المصريين أنه جزء مهم مما يقتضيه الإسلام من المسلمين.

ومازلت أذكر ابن أخت زوجتى الذى لم يغادر مصر طوال أعوامه الخمســـة والعشرين عندما زار اسطنبول أول مرة وسار فى شـــارع استقلال المخصص للمارة والمزدحم بالشـــباب من الأتراك والتركيـــات ليلة الجمعـــة فى صيف حار، وعاد مذهولاً وسألنى على مسمع من أبنائى الذين نشـــأوا فى الغرب عما إذا كان الأتـــراك بالفعل مســـلمين فى غالبيتهم. ولما أجبته بالإيجاب تســـاءل عما حدث لهم لكى يرتدوا هذه الملابس المتحررة؟ وقضيت معـــه ومع أبنائى عدة ســـاعات لأحكى لهـــم تاريخ هذا البلد منذ عهد الدولـــة العثمانية حتى وقتنا الحاضر. ووقتها لم أكن أدرى أن النصف الآخر من المجتمع التركى يسأل نفســـه هو أيضاً نفس سؤال ابن أخت زوجتى.

ولا بد وأن مصطفى كمال أتاتورك يتقلـــب الآن فـــى قبره وهـــو يرى أن هدفين رئيســـيين ســـعى لتحقيقهما وثبت بعد ثمانين عاماً من وفاته فشله فى بلوغهما، وهمـــا القضاء على تأثير الإســـلام السياســـى والاجتماعى فى المجتمع التركى، وصهر الأقليات داخل الحدود الجديدة لدولة أحفاد عثمان فى قومية تركية لاتعرف الاختلاف القومى والعرقى والدينى كالأكراد والعلويين.

وقد بنى أردوغان مجده السياسى على أنقاض هذين الفشلين الأساسيين لأتاتورك. واســـتخدم أردوغان وحزبه النجـــاح الأتاتوركى فـــى بناء مجتمع تركى متعلم ومتشـــوق للانضمام إلى أوروبا ولتطبيـــق المعايير الغربية فى الحكم وحقوق الإنســـان، لكى يخرج بنصف المجتمع المنكمش على نفســـه فى أحضـــان الثقافة التقليدية ومجتمع الريـــف الأناضولى المحافـــظ، ولكى يحصل بفضل هؤلاء علـــى أول أغلبية برلمانيـــة تمكنه منفرداً من تشـــكيل حكومة فى تاريـــخ تركيا. وبالطبع ما كان لينجـــح فى ذلك لو لـــم يتعلم من أخطاء أربكان من قبلـــه ويخلع عباءة المطالبـــة بتطبيق الشـــريعة ويرتدى بدلاً منها قبعة العلمانية الغربية ولكن بتفسيرها الأمريكى، الذى يسمح بوجود تأثيـــر للدين فى المجتمع والسياســـة ولكن يجعل الدولة تقف على مســـافة واحدة من كل الأديـــان ولا تخضع لأية سلطة دينية.

وهكذا أنشأ أردوغان وصديقه عبد الله جول حزب العدالة والتنمية الجديد فى عـــام 2001 منشـــقين عن حزب أربكان (الســـعادة)، الذى قام الجيش والقضـــاء ضده بانقـــلاب صامت عام 1997 أدى إلى القبض على العديد من قادته بتهم استغلال الدين فى السياسة، ودخل أردوغان نفســـه السجن بتهمة قيامه فى إحـــدى خطبه باقتباس آيات شعر تتضمن تشـــبيه المآذن بالحراب والمســـاجد بالقلاع التى يتحصن بها السياسيون «الإسلاميون». والمضحك أن هذه الآيات كانت من تأليف الشـــاعر التركـــى محمد عاكف أور صوى مؤلف النشيد الوطنى التركى.

وكان سجن أردوغان سبباً فى عدم تمكنه من دخول انتخابات 2002 التى حصل حزب العدالة والتنمية فيها على 39٪ مـــن الأصوات، ولكنـــه تمكن من حيازة أغلبية مقاعد البرلمان بســـبب سياســـة الحد الأدنى المطلوب لتمثيل كل حـــزب فى البرلمـــان وقتها 15٪، وبالتالـــى تولى رئاســـة وزارة الحزب الأولى عبد الله جول الذى كان له فضل كبير فى تطعيم الحـــزب بالعديد من العلمانيين والمتخصصين فى الاقتصاد والدبلوماســـيين المحترفين السابقين، وفى إعطاء صبغة محافظة علمانية على الحزب مع احتفاظه بتأييد المتدينين فى قرى ومدن أنقرة وضواحى اســـطنبول الشعبية.

وكلف جول هذه البوتقة من الخبراء بصياغـــة برنامج للحـــزب يركز على المشـــاكل التى كان يواجهها المجتمع والاقتصاد التركى، مـــن عجز فاحش فى الموازنة العامة وميزان المدفوعات، وتضخم كبير فى الأسعار يتجاوز عشرة أضعاف الزيادة فـــى الدخل القومى، وفشـــل النظام البنكى بســـبب انتشار

الفساد. واستهدف برنامج حزب العدالة والتنمية اكتساب ثقة نصف المجتمع من الإسلاميين أو أصحاب الأموال الخضراء كما يسميهم العلمانيون الأتراك. ولم يتعرض هذا البرنامج بكلمة واحدة لمشكلات لها علاقة بالدين مثل تغيير القانون الأتاتوركى، الذى كان يحرم النساء اللاتى يغطين شعورهن من العمل فى المؤسسات الحكومية أو الدراسة بالجامعات العامة والمدارس الحكومية أو الترشح للبرلمان أو للمجالس المحلية، وتحريم إنشاء مدارس دينية وغيرها من الأمور التى كانت تشغل بال الإسلاميين. ولكن مؤسسى هذا الحزب الجديد اهتموا بالقضايا التى تشغل غالبية المجتمع من ضرورة إصلاح الاقتصاد والخدمات والمرافق العامة وتطوير رؤية معاصرة وعلمانية ولكنها ليبرالية محافظة لكيفية تحقيق ذلك الإصلاح.

واهتم أردوغان، بعد عودته للبرلمان عام 2003 ورئاسته للحكومة وشريكه جول الذى اكتفى بمنصب وزير الخارجية، بأن يقوم الحزب بتمكين الطبقات المتوسطة عن طريق تشجيع الصناعات الصغيرة والمتوسطة وإعفائها من الضرائب ودعم إنتاجها وصادراتها، وفى نفس الوقت إعطاء الكيانات الاقتصادية الكبيرة التى تملكها العائلات التركية الأتاتوركية مثل صابونجى وكوتشى نصيبهم من المشروعات والعائد لضمان عدم انضمامهم لأى تحالفات ضد الحزب الحاكم.

وشجع أردوغان الرأسماليين الإسلاميين من أنصاره على الاستثمار فى الإعلام التركى من ناحية، وفى الصناعات التصديرية من ناحية أخرى. ودعم ذلك بتطبيق سياسات التوسع التركى العثمانى الجديد فى مناطق النفوذ التاريخية فى الشرق الأوسط وغرب وجنوب آسيا والبلقان وحوض البحر الأسود، وهى السياسات التى رسم خطوطها الإستراتيجية أستاذ جامعى شاب اسمه أحمد داود أوغلو عام 2000 فى كتابه العمق الإستراتيجى، وطوره حين أصبح مستشاراً للشئون الخارجية لأردوغان إلى سياسة تصفير المشاكل مع جيران تركيا Zero problem . وأهلته تلك الأفكار لكى يكون وزيراً لخارجية تركيا منذ عام 2009 ثم رئيساً لوزرائها من عام 2014 وحتى 2017.

ورغم فشل تلك السياسة الخارجية فى تحقيق العديد من أهدافها إلا أن إخلاص داود أوغلو وولاءه لأردوغان مكناه أيضاً من أن يصبح رئيساً للحزب ورئيساً للوزراء بعد انتخاب أردوغان رئيساً فى صيف عام 2014. ولكى يضمن أردوغان أنه سوف يتمكن من الاستمرار فى حكم تركيا عمد إلى تغيير الدستور وتحويل النظام السياسى البرلمانى التركى إلى نظام رئاسى يركز السلطات فى يديه لمدة عشر سنوات أو فترتين رئاسيتين تضمن له تسليم الجمهورية التركية بعد مائة عام من إنشائها على يد أتاتورك عام 1923 وهى إحدى أكبر عشر اقتصاديات فى العالم بعد أن كانت تحتل عام 2014 المركز السابع عشر.

وتضمن حلم أردوغان وبقية العثمانيين الجدد الذى صاغه داود أغلو أن تتمتع تركيا بنفوذ اقتصادى وسياسى وثقافى كبير فى نفس الخارطة التى حكمها سلاطين الدولة العثمانية وهى فى أوج مجدها، ولهذا يسخر معارضوه ويحلم مؤيدوه أن يكون هو السلطان العثمانى السابع والثلاثين.

واستغل أردوغان توجه غالبية الشعب التركى منذ إنشاء الجمهورية على يد أتاتورك إلى أوروبا كمثل أعلى، وسعى تركيا منذ منتصف الثمانينات تحت حكم تورجوت أوزال إلى الانضمام للاتحاد الأوروبى، ومحاولتها تطبيق المقاييس والمعايير الأوروبية فى كل المجالات الصناعية - الزراعية - الخدمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية كشرط ضرورى لإتمام عملية القبول فى الاتحاد.

وكان أردوغان وجماعته يدركون العقبات السياسية التى تحول دون انضمام تركيا للاتحاد الأوروبى وخاصة تحت حكم حزبه، بسبب المعارضة الشديدة التى كان يقودها علناً ساركوزى فى فرنسا وميركل فى ألمانيا ويشاركها فى ذلك معظم الأحزاب اليمنية فى كل الدول الأوروبية، والذين يرون جميعاً خطراً كبيراً فى ضم 85 مليون مسلم يتكاثرون بنسبة أكبر من 2٪ سنوياً، بل ويشجعهم أردوغان أن ينجب كل منهم أكثر من ثلاثة أبناء إلى مجموعة شعوب أوروبية غالبيتها مسيحية، ولايتجاوز عددها بعد توسيع العضوية 500 مليون نسمة وتزيد بمعدل لا يتجاوز 0.2٪ بل ويتناقص عدد معظم شعوبها سنوياً.

وقد أعلن أردوغان لأعضاء حزبه أكثر من مرة أنه يرى فى السعى للانضمام للاتحاد الأوروبى وسيلة للارتقاء بتركيا وبالشعب التركى، ليس فقط من حيث جودة الإنتاج الصناعى والزراعى والخدمى وتطبيق المعايير

تركيا: أرض المتناقضات وأسطورة النموذج الإسلامى

الإدارية التى تتيح للصادرات التركية غزو دول الاتحاد الأوروبى بالاستفادة من رخص تكلفة الأيدى العاملة التركية وقرب الأناضول من أوروبا، وإنما أيضاً من أجل الاستفادة من تطبيق معايير الديمقراطية الغربية من أجل الحد من سيطرة الجيش التركى على مقاليد الحكم، بل وإخضاعه للقيادة السياسية المنتخبة. وهو ما نجح فيه أردوغان بالاستعانة بالدعم الأمريكى والغربى للنموذج الذى تقدمه حكومته لبقية الدول الإسلامية وخاصة فى الشرق الأوسط.

وقد حصل أردوغان وحزبه على ذلك الرضا الأمريكى حتى قبل وصولهم للسلطة وخاصة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، حيث انطلق المحافظون الجدد منقبين عن حلفاء يعتمد عليهم فى العالم الإسلامى ويمكن من خلالهم استيعاب تيارات الإسلام السياسى وتحويل معظمها إلى نماذج مماثلة لنموذج حزب العدالة والتنمية التركى، الذى يعمل فى دولة علمانية ويفوز فى الانتخابات بفضل تصويت الغالبية المتدينة المسلمة، ولكن يوسع دائرة تأييده عن طريق تحقيق إنجازات اقتصادية واجتماعية مدعومة باستثمارات غربية وتأييد سياسى أمريكى.

وفى المقابل كان أردوغان وجول وداود أوغلو مستعدين للتأكيد العملى على أن تركيا سوف تواصل دورها كثانى أكبر جيش فى حلف شمال الأطلنطى بعد الولايات المتحدة. وحتى عندما صوت برلمانها ضد رغبة الجيش التركى بعدم السماح للقوات الغربية بدخول العراق من الحدود التركية عام 2003، فقد استمرت تركيا فى احترام تعهداتها بالسماح للطائرات الأمريكية باستخدام قاعدة انجر ليك الجوية فى عملياتها ضد العراق، كما سهلت تركيا مرور الدعم اللوجيستى الغربى للأكراد والعراقيين الذين كانوا يحاربون قوات صدام حسين.

وكذلك سعت حكومة حزب العدالة والتنمية منذ وصولها للحكم عام 2002 إلى تطوير علاقتها التجارية والعسكرية مع إسرائيل، فى الوقت الذى تبنّت فيه سياسياً وإعلامياً المواقف العربية فيما يتعلق بمبادئ تسوية النزاع العربى الإسرائيلى. وزار أردوغان إسرائيل عام 2005 وقدم نفسه لها وللعالم الغربى على أنه الوسيط الأمثل مع العرب، واستخدم علاقاته مع الإسلاميين والعلمانيين العرب على حد سواء لكى يثبت لكل الأطراف حاجتهم للجوء إليه. وادّعى داود أوغلو فى تصريحات علنية وخلال مباحثاته مع المسئولين المصريين وبقية العرب أنه كان قاب قوسين أو أدنى عام 2009 من التوصل لاتفاق سلام بين إسرائيل وسوريا، لولا أن نتنياهو أوقف الاتصالات السرية مع تركيا لأنه رأى أن الحكومة التركية لاتصلح وسيطاً محايداً مع العرب، نظراً لسعى أردوغان للتقرب من حماس باستقبال خالد مشعل فى تركيا وانتقاد الرد العسكرى الإسرائيلى على قيادات حماس فى غزة، ومغازلة أردوغان الرأى العام العربى بهجوم إعلامى حاد على شيمون بيريز فى مؤتمر دافوس وانسحابه المسرحى من المناقشة فى المؤتمر، مما ألهب مشاعر معظم العرب والمسلمين فى العالم.

ورغم أن إسرائيل قتلت تسعة مواطنين أتراك على متن السفينة «مرمرة الزرقاء» التى كانت تحاول نقل مواد إغاثة لمساعدة الفلسطينيين فى التغلب على الحصار الإسرائيلى عام 2010، إلا أن رد الفعل التركى لم يتجاوز تخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل إلى مستوى القائم بالأعمال ومنع الطائرات العسكرية الإسرائيلية من عبور الأجواء التركية، مع الحفاظ على نفس مستويات التبادل التجارى الذى يتضمن العديد من الصفقات العسكرية.

وقد لاحظت منذ وصولى تركيا فى أول زيارة عام 2009 أن المسئولين الأتراك يضعون دائماً نصب أعينهم موقف الولايات المتحدة من تصرفاتهم وتصريحاتهم، وأن المسئولين الأمريكيين بدورهم كانوا يصفون العلاقات الأمريكية التركية على أنها نموذج يحتذى لعلاقات الشراكة التى يجب أن تنشأ بين الولايات المتحدة وغيرها من الدول الإسلامية (Model Partnership). وظل هذا الوصف مستخدماً من جانب كل مسئولى إدارة بوش الصغير وكذلك إدارة أوباما حتى عام 2013 عندما بدأ أردوغان فى استخدام العنف ضد مظاهرات معارضيه وإلقاء القبض على العديد منهم بما فى ذلك الصحفيين بل والقضاة وضباط الشرطة وخاصة من أتباع حركة فتح الله حتى قبل محاولة الانقلاب العسكرى الفاشل عام 2016.

ووضح أن أردوغان وجماعته قد ورطوا الدول الغربية فى تأييد بعض

جماعات الإسلام السياسى المعارضة لبشار الأسد فى سوريا، مثل جبهة النصرة المتطرفة والتى حاولت تركيا الترويج لها كبديل معتدل، وانتهى الحال بالدول الغربية أن تدرجها فى قرار لمجلس الأمن كمنظمة إرهابية متطرفة مثلها مثل «الدولة الإسلامية فى بلاد الرافدين والشام» داعش(ISIS)، التى أصبحت أكثر شهرة بسبب احتلالها أكثر من 30٪ من مساحة سوريا ولنسبة مماثلة من مساحة العراق، مما جعل الولايات المتحدة تستخدمها لإنشاء تحالف دولى ضدها لحماية بقية الدولتين اللتين قد ينتهى الأمر إلى تقسيمهما بشكل فعلى فى النهاية.

ورغم علمى عند بدء عملى فى تركيا أنها تأوى بعض عناصر الإخوان المسلمين المحكوم عليهم فى قضايا فى مصر، إلا أننى لم أهتم بمعرفة من هم وماذا يفعلون فقد كان ذلك اختصاص أجهزة الأمن وممثليها. وطالما عاهدت نفسى ونصحت زملائى الدبلوماسيين بأن مهمتنا ليست جمع المعلومات عن المصريين فى الخارج وتصنيف ولاءاتهم السياسية وإبلاغ القاهرة بذلك. واليوم أتساءل عن إمكانية مواصلة تطبيق هذا المبدأ فى الوقت الذى تنقسم فيه الجاليات المصرية بين مؤيد للإخوان ومؤيد للسيسى، وتستهدف المجموعة الأولى محاربة أى نشاط تقوم به السفارة المصرية سواء للترويج للاستثمار أو حتى تقديم خدمات قنصلية للمواطنين المصريين فى الخارج.

وكان اهتمامى الأكبر منذ وصولى أنقرة هو الاتصال بالجمعيات الإسلامية قريبة الصلة بالحكومة مثل IHH (The Foundation for Human Rights and Freedoms and Humanitarian Relief) والتى كانت تنظم قوافل المساعدات لغزة وتروج لحماس بتنسيق مع التنظيم الدولى للإخوان المسلمين.

وكانت سياسة مبارك وقتها تضيق استخدام معبر رفح البرى فى تمرير المساعدات خوفاً من أن تتهمنا إسرائيل بتهريب أسلحة داخل تلك المساعدات، كما أنه كان يستخدم المعبر كوسيلة للضغط على حماس لإخضاعها وقصر شرها عن مصر ولدفعها للتصالح مع فتح. ولهذا كانت المنظمات التركية الإسلامية تنظم مسيرات صاخبة ضد السفارة المصرية فى أنقرة وقنصليتنا فى اسطنبول، وحين سألت سلفى فى تركيا وصديق العمر السفير د. علاء الحديدى أحد قادة حزب العدالة والتنمية عمن يقف وراء تلك المظاهرات وإذا كان للحزب الحاكم دور فى تحريكها، أجابه المسئول التركى الحزبى بالحرف الواحد «يجب أن تحمد الله أننا لم نقتحم سفارتك».

وكنت قد قابلت رئيس جهاز المخابرات العامة المصرية وقتها اللواء عمر سليمان رحمه الله قبل سفرى وسمعت منه ما يمكن السماح به من مساعدات عبر معبر رفح، ورجوته أن يكون هناك تساهل يسمح لى بكسب ثقة تلك المنظمات وبالتالى حكومة أردوغان. ولذا بدأت اتصالاتى فى أنقرة مع تلك المنظمات حتى قبل تقديم أوراق اعتمادى.

وواتتنى الفرصة حين كنت أزور السفير الفلسطينى نبيل معروف وهو أحد أفضل السفراء العرب الذين عرفتهم وفاتحته فى رغبتى تلك، فبادر فوراً بعرض أن يستضيفنى على غداء فى مطعم تركى فى اليوم التالى مع رئيس جمعية .IHH وأضاف أنه كان يرغب فى أن يُحضره لمكتبى لتقديمه لى، فأجبته على الفور أننى أقبل دعوته الكريمة لهذا الغداء وأن أقتسم مع الناشط الإسلامى التركى الخبز والكباب التركى وأن أعفيه من حرج زيارتى فى المكتب، ولكنى أود أن يكون لى حديث منفرد معه بعد الغداء دون حضور أى من معاونيه أو حتى السفير الفلسطينى نفسه الذى وافق مرحباً ومشيداً بمبادرتى التى وصفها بالشجاعة والتى يمكن أن تحل العديد من المشاكل لى وله.

وكان اللقاء عاطفياً للغاية بدأ بالقبلات وبإبداء الناشط الإسلامى التركى سعادته بأن السفير المصرى يبدأ بلقاء «إخوته المسلمين» حتى قبل تقديم أوراق اعتماده للرئيس التركى. وتناولنا الطعام معاً وتبادلنا المعلومات حول خلفية كل منا وشرحت لهم فى الجلسة الجماعية عن طريق مترجم فلسطينى القواعد التى تطبقها مصر لدخول المساعدات عن طريق معبر رفح. وأكدت لهم أن لدىّ تعهداً من أعلى سلطة فى مصر بتمرير المساعدات التركية إذا ما تم تنفيذ هذه القواعد ومعظمها يدور حول إخطارنا قبل وصولها بشكل مسبق بتفاصيل ما تحتويه شحنات المساعدات، وألا تتضمن سوى الدواء والغذاء وبعض المعدات الطبية، وأن يتم تجنب محاولات إحراجنا بمفاجآت مثل ما حدث من قبل حين حاول الأتراك الذين يحملون تلك المساعدات الدخول من نويبع إلى الأراضى المصرية بدلاً من العريش أو حين حاولوا اقتحام بوابة معبر رفح للدخول بأنفسهم لغزة. وقد

أكد لى زعيم IHH أنهم سوف يحترمون تلك القواعد، وأنـــه يعدنى بأن يمنع أية محاولة لإحراجنا.

وبعد أن طلب السفير الفلسطينى من الحضور أن يتركونى وزعيم IHH وحدنا تحدثت معه ببطء شديد بالإنجليزية التى يفهمهـــا بصعوبة وبالاســـتعانة باللغة العربيـــة التى يعرف بعـــض مفرداتها المتصلة بالقرآن والحديث. وأبلغته أننى مســـتعد للتعاون معه بشكل كامل فى أى شـــأن يتعلق بمساعدة الفلسطينيين بـــل ولأن أراجع القاهـــرة فى أى طلب لمنظمته لا يتفق مـــع القواعد المصرية طالما كان الغرض هو توصيل المساعدة للفلسطينيين. وقدمت له شرحاً مطولاً - أشـــك أنه فهم بعضه بالإشارة - لتاريخ مســـاعدة مصر للفلسطينيين وأن تركيا والأتـــراك لايمكنهم تقديم النصح لمصر فى هذا الشأن خاصة وأن بعض جوانبه تمس الأمن القومى المصرى، وبصراحة تامة أشرت له أننا يمكن أن نكون أصدقاء إذا ما تعلق الأمر بمساعدة فلسطين، أما إذا كان الغرض إحـــراج مصر لصالح الإخوان المسلمين فإنه لايستطيع عندها أن يعتبرنى صديقـــاً له. وقد قام الرجل واحتضننى وكرر لـــى « أصدقاء أوفياء بإذن الله».

وحين عاد الســـفير الفلســـطينى ومعاونوه لجلســـتنا ذكر له زعيم IHH عبر المترجم الفلســـطينى: لقد أسرنا السفير المصرى الجديد بمحبته وتناوله الطعام معنا ومقاسمتنا الرغيف (نفس العادة اليهودية)، وأنا أتعهد اليوم بأننى وجماعتى لن نخـــرج يوماً للتظاهر ضد السفارة المصرية فى أنقرة أو القنصلية فى اسطنبول. والحقيقة أن الرجل أوفى بعهـــده حتى يوم 3 يوليـــو 2013 عند الإطاحة بالإخوان المســـلمين من حكم مصر. وقد قدمت عرضاً كاملاً لما جرى بينى وبين زعيم IHH لوزير الخارجية أحمد داود أوغلو فى أول مقابلة لى معه قبل تقديم أوراق اعتمادى، وقد أثنى داود أغلو على تحركى هـــذا وأوضح لى أنه واثق من اطلاعى على خريطة المجتمع التركى وتوقع لى نجاحاً كبيراً. وأشـــهد هنا أن داود أوغلو قدم لى كل مســـاعدة ممكنة حتـــى مغادرتى تركيـــا، وأننى كنت واحداً من ســـفراء قلائل يستقبلهم فى منزله ويســـتمع إليهم ويصبر على خلافهم معه، وكثيـــراً ما قدم لى نصحاً غير رسمى ولو أنه لم يتخل أبداً معى عن مكره الكيسنجرى أو أحلامه العثمانية.

وأشـــرت لـــداود أوغلو إلـــى أننى حذرت IHH من محاولة كســـر القواعد المصرية أو إحراجنا لحســـاب الإخوان المسلمين، وأننا لن نتورع عن الرد بقوة لأن هذا الموضوع يمـــس أمننا القومى. وأضفت أن تركيا لاتسمح لأية سفينة أن تدخل مياهها الإقليمية دون إذن مسبق وأنى حتى قبـــل أن أقدم أوراق اعتمادى توســـطت لدى الحكومة التركية للإفراج عن مجموعة مـــن الصيادين المصريين من «عزبة البرج» قـــرب رأس البر فى دمياط دخلت قواربهـــم المياه الإقليمية التركية.

أجابنـــى داود أوغلـــو أن الحكومة التركيـــة لاترغـــب فى إحـــراج مصر، وإنه يأمـــل أن يكون مجال مســـاعدة الفلســـطينيين هو مجال تعـــاون بيننا خاصة وأن القافلة التالية سوف تتوجه مباشرة إلى غزة. فتساءلت مستنكراً وهل ستسمح إسرائيل بذلك وهل تخاطر تركيا بإرسال مواطنيها على مثل تلك السفينة، فهز داود أوغلو رأســـه واثقـــاً وقال إن القافلة تســـيرها منظمات غير حكومية من كل أنحاء العالـــم وعليها برلمانيون إنجليز(النائب جالاوى) ويونانيون. ولم يذكر داود أوغلو أن الســـفينة سيكون عليها أيضـــا أعضاء مجلس الشـــعب المصرى من الإخوان المسلمين.

وأضـــاف داود أوغلو أنه ربما يكون وجـــود مواطنيـــن أتراك حمايـــة لتلك السفينة لأن إسرائيل لاترغب ولاتستطيع مواجهة تركيـــا لأنها تعرف عواقب ذلك. وقـــد ابتســـمت تأدباً وأشـــرت إلى أن إســـرائيل تضرب عرض الحائط بإرادة المجتمع الدولى كله، ولاترى أية عواقب لذلك، ولكنى أتمنـــى أن أكون مخطئاً. وقد ذكرتنى مســـاعدة وزير الخارجية التركـــى لشـــئون المنظمـــات الدولية والإغاثة الإنســـانية التى كانت حاضرة فى هذا اللقاء بحديثى لوزير خارجيتها ونصيحتى التى لم يستمع لها.

وبعد أن قامت القوات الإســـرائيلية بمهاجمة السفينة «مرمرة الزرقاء» كما توقعت، توجهت إلى الخارجية التركية لتقديم العزاء فـــى الضحايا الأتراك فى حادث الســـفينة «مرمرة الزرقاء» التى كانت تحمـــل تلك المســـاعدات لغزة. وعلمت أن القـــوات الإســـرائيلية التى هاجمت الســـفينة قد قتلت تسعة أتراك وأسرت كل من كان على متنها وأطلقت سراح المصريين منهم أولاً.

وقـــد علمت بوجـــود مصريين من بين ركاب الســـفينة فقـــط عندما كنت بالمصادفة أزور بولنـــت أرينتش نائب

رئيس الوزراء التركى زيارة مجاملة للتعارف، وكان يقوم وقتها مقام رئيس الوزراء الذى كان فى زيارة عمل خارج البلاد. وكشف لى أرينتش أن بعض أعضاء مجلس الشعب من الإخوان المسلمين ومن بينهم محمد سعد الكتاتنى (الذى أصبح رئيساً لمجلس النواب فى مصر عام 2012) كانوا على متن هذه السفينة وأن الإسرائيليين أفرجوا عنهم أولاً فى مجاملة واضحة لمصر وكيداً فى سياسة أردوغان!

والطريف أننى فى هذه المقابلة مثلها مثل كل مقابلات التعارف كنت أحمل معى هدايا ذات طابع فرعونى وإسلامى من مصر القديمة، وقد قبلها أرينتش شاكراً ولكنه طلب منى بأدب جم ولهفة وحماس نسخة كاملة من القرآن الكريم بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد. وقد سعدت بتلبية طلبه ولو أنى تعجبت من هذا الطلب فى زمان يمكن أن يتم تحميل كل هذه التسجيلات من على الإنترنت على Flash memory، وتعجبت أيضاً من أن بلادى لاتهتم بتسويق أصوات مقرئيها الجدد بل إنها لاتسمح لنفس المقرئ أن يزور فى رمضان لعامين متتاليين نفس الدولة إذا ما استحب أهلها صوته وذلك «لإتاحة الفرصة وتحقيق العدالة والمساواة بين المقرئين»، مما دفع المساجد فى تركيا إلى التعاقد مباشرة مع من ترغب فى استقدامه من مقرئين مصريين بدون اللجوء للسفارة أو للحكومة المصرية.

وقد فوجئت مثلاً بأن القارئ الشهير د.أحمد نعينع هو الذى يفتتح بتلاوة القرآن الحفل السنوى عام 2012 الذى يقيمه رئيس الوزراء أردوغان للسفراء الأجانب فى رمضان. وقد أعطى له المسئولون من الحزب الحاكم قائمة بالآيات التى يرغبون فى أن يتلوها ووضعوا على كل مائدة ترجمة لتلك الآيات بالإنجليزية. وكنت كما ذكرت سلفاً أجلس على مائدة وزير الخارجية داود أوغلو وأجلس على يمينه وعلى يساره كان السفير الفرنسى دون مراعاة لأن هناك العديد من السفراء الذين يسبقوننا فى أولوية الوصول والاعتماد لدى الدولة، وقد همس لى السفير الفرنسى من وراء ظهر داود أوغلو عن السبب فى هذا التكريم، فهمست له بأن الإخوان المسلمين فى مصر قد وصلوا للسلطة وقتها وأن ساركوزى عدو تركيا قد رحل. ثم بصوت عال نقلت لداود أوغلو تساؤل السفير الفرنسى فأجاب وزير الخارجية الماكر بأن بلدينا لهما مكانة خاصة لدى تركيا، ثم أضاف ضاحكاً أننا يجب أن نتوقع أن يطلب من كلينا دفع ثمن هذا التكريم.

ووجدت داود أوغلو ينصت بتأثر خلال قراءة نعينع للقرآن وأخذ يسألنى عن خلفية نعينع ودراسته وتعجب حين عرف أنه كان طبيباً. وحينما انتهى نعينع من تلاوته جلس على مائدة نائية لتناول طعام الإفطار مع بعض قادة حزب العدالة والتنمية. فتوجهت له وتعرفت عليه وحكى لى أنه تلقى طلب الحضور عن طريق السفير التركى فى القاهرة وتم توفير طائرة تركية خاصة له لكى يصل أنقرة قبل موعد الإفطار. وفوجئت بداود أوغلو يشير لى من بعيد أن أعود إلى مائدته وحين فعلت وجدته يطلب منى أن أدعو نعينع للانضمام لنا فقط لكى يلتقط داود أوغلو صورة معه. وجلس نعينع مكان السفير الفرنسى الذى قام من مكانه لقضاء حاجة ولكن عاد ليجد القارئ المصرى يحتل مكانه ويحظى باهتمام وزير الخارجية التركى.

ومن المؤسف أن مصر لا تهتم بتطوير تعليم ودراسة قراءة القرآن الكريم وتدريب الدعاة بشكل يجعلهم يتلاءمون مع العصر الذى نعيش فيه. فلا يخفى على أحد أن كثيراً من الدعاة المصريين بل وبعض الأزهريين منهم اليوم يحملون معتقدات ويدعون إلى أفكار تنتمى للقرن الثامن الميلادى على أفضل تقدير، ولكنها أيضاً تمثل خطراً على بعض المجتمعات التى تسعى للتحديث والانضمام إلى زمرة الدول المتقدمة مثل تركيا، التى اختارت التوقف عن استجلاب الدعاة المصريين والاكتفاء بأولئك الذين يجيدون قراءة القرآن.

---

*عمل السفير عبد الرحمن صلاح كآخر سفير لمصر لدى تركيا (2010 - 2013) قبل أن يتم تخفيض مستوى العلاقات الدبوماسية بين مصر وتركيا إلى مستوى القائم بالأعمال. وقبل تقاعده من العمل الدبلوماسى كان مساعدا لوزير الخارجية للشئون العربية والشرق الأوسط وسفيرا لدى التشيك وقنصلا عاما فى سان فرانسيسكو ومثل مصرأيضا فى السفارة فى واشنطن والوفد المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك. وتعبر هذه المقالة عن آرائه الشخصية ولاتعكس المواقف المصرية الرسمية، وتحتوى على بعض ما يتضمنه كتاب صدر فى يناير 2019 من دار نهضة مصر عن تجربته كسفير فى تركيا.

المسألة الكورية :
مابين التأزم والانفراج

تشـــير الدلائل والتوقعات الصادرة عن واشنطن وسول وبيونج يانج إلى أن عام 2019 قد يشهد انفراجة جديدة للأوضاع فى شـــبه الجزيرة الكورية، ربما تفوق نتائجها الانفراجة التى شـــهدها العام الماضى، حيث إن عام 2018 كان قد شـــهد عدة تطورات ملموسة - بعضها غير مسبوق - على الصعيدين الأمريكى والكورى بشطريه الشمالى والجنوبى بعد حالة من التوتر والتأزم الشديد وصلت بالأمور إلى حافة الهاوية أواخر عام 2017، حيث ذكر المستشـــار الخاص للرئيس الكورى الجنوبى للأمن الوطنى مون شونج فى محاضرته فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة يوم 16 يناير 2019، أن الأمـــور كانت قد وصلت إلى مرحلة من التعقيد والتأزم بصورة ولدت انطباعاً لدى كوريا الجنوبية فى سبتمبر 2017 بأن الحرب فى شبه الجزيرة الكورية باتت وشيكة الوقوع.

ظلت الأمور على هذه الحالة من التوتر إلـــى أن تقدم الرئيس الكورى الشـــمالى كيـــم جونج أون بمبادرة فـــى خطابه فى يناير 2018، عبر فيها عن اســـتعداد بلاده للمشـــاركة فى أولمبياد بيونج تشانج فى كوريا الجنوبية واســـتعداده لاســـتئناف الحوار بيـــن الكوريتين، وهو ما خفف من أجواء التوتر بيـــن الكوريتين وكان بمثابة مقدمـــة لتطورات إيجابيـــة عديدة، حيث شـــهد عام 2018 انعقاد ثلاث قمم كورية بين الرئيســـين الكورى الجنوبى مون جى ان والكورى الشـــمالى كيـــم جونج أون فى إبريل ومايو وســـبتمبر 2018، وقمة أمريكيـــة - كورية شـــمالية هى الأولى من نوعها عقدت فى ســـنغافورة فى يونيو 2018 بين الرئيس الأمريكى دونالد ترامب ونظيره الكورى الشـــمالى حققت انفراجة فى العلاقـــات بين أطـــراف الأزمة، حيث اســـتؤنفت الاتصالات بين كبار المسئولين فى الكوريتين على المســـتوى السياسى والاقتصادى والعسكرى والإنسانى حققت العديد مـــن النتائج المرضيـــة للطرفين. إلا أن الأمـــور على الصعيـــد الأمريكى - الكورى الشمالى لم تتجاوز مرحلة ذوبان بعض الجليد فى العلاقـــات المعقدة بين الجانبين، حيث جـــاءت نتائج القمة الأولى بينهما أقل بكثيـــر من توقعات وطموحات كلا الرئيسين الأمريكى والكورى الشمالى رغم بعض الإيجابيـــات التى أعقبت القمة، والتى من بينها إحجام كوريا الشمالية عن الإقدام على أية تجارب نووية أو صاروخية بعيدة المدى والتى ســـبق أن وصلت إلى

سفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

ست تجارب نووية وســـبع عشرة تجربة صاروخية بنهاية عام 2017، ومنها أيضاً تدمير كوريا الشـــمالية لأحد مواقع إجراء التجـــارب النووية وإعلانها اســـتعدادها التوقـــف عن تطوير أو إقامـــة تجارب أو استخدام أسلحة نووية، فضلاً عن إعادتها رفات عدد من الأمريكيين الذين قتلوا خلال الحرب الكورية 1950 - 1953 وبعض الأمريكييـــن الذين كانـــوا محتجزين لدى حكومة بيونج يانج.

إلا أن هذه الخطوات الإيجابية لم ترض طمـــوح الجانب الأمريكى الـــذى لا يقبل بأقل من تفكيك كامـــل للبرنامج النووى والصاروخـــى لكوريا الشـــمالية، ونزع الســـلاح النووى الكورى الشمالى، وإخلاء شـــبه الجزيرة الكورية من كافة أســـلحة الدمار الشـــامل. فى الوقت الذى يصر فيه الكوريون الشـــماليون على أن يكون لكل إجراء إيجابى من جانبهم إجراء مقابل من الجانب الأمريكى «إجـــراء مقابل إجراء»، حيث كانوا يتوقعـــون فى مقابل ما قدموه مـــن تنازلات - تعبر عن حســـن النية - موافقة أمريكية على رفع ولو تدريجى على العقوبات الاقتصاديـــة المفروضة عليهم بقرارات دولية، كمـــا كانوا يتوقعون تلقى حزمة من المساعدات الاقتصادية والبترولية الســـخية، فضلاً عن تحقيق أملهم العزيز وحلمهم باســـتبدال اتفاق الهدنة المؤقت الحالى باتفاق سلام دائم وتعهدات أمريكية - بضمانات صينية - بعدم تهديد النظام القائم فى كوريا الشمالية. ونتيجة لاختلاف الرؤى وتعارض أولويات التســـوية عادت الأمور بنهاية عام 2018 إلى شبه توقف فى الاتصالات الأمريكية - الكورية الشمالية رغم ما بذلته كوريـــا الجنوبية من جهود للحفاظ على قوة الدفع والزخم الذى حدث فى أعقاب قمة سنغافورة.

وكما كان خطابه فى مطلع عام 2018 بداية لسلســـلة من اللقاءات التى أحدثت انفراجـــة ملحوظة ليس فقط فى شـــبه الجزيـــرة الكورية ولكن أيضاً فى مســـار العلاقات الأمريكية - الكورية الشـــمالية، فقد تضمن خطاب الزعيم الكورى الشمالى فى بداية عام 2019 بشـــرى وأملاً لجولة جديدة من اللقاءات والإجـــراءات التى قد تحدث انفراجاً أكبر فى المســـألة الكورية، حيث أعلن استعداده للجلوس وجهاً لوجه فى قمة ثانية مع الرئيس الأمريكى دونالد ترامـــب فى أى وقت، مشـــيراً إلى أنه كان يتوقع إجراءات مـــن قبل الولايات المتحدة الأمريكية تماثل ما اتخذته كوريا الشمالية من إجراءات تعكس حسن النوايا، ومضيفاً بأنه يأمل ألا تسىء واشنطن التقدير تجاه

الكوريّتان توقّعان اتفاقيات لنزع فتيل التوتر فى شبه الجزيرة الكورية

صبر كوريا الشمالية وأن عليها أن تتوقف عن سياسة فرض العقوبات وتصعيد الضغوط عليها، حتى لا تضطر إلى أن تسلك طريقاً أخرى من أجل حماية سيادتها ومصالحها.

وفى إيماءة إيجابية تجاه كوريا الجنوبية أعلن الرئيس الكورى الشمالى أنه يعتزم القيام بزيارته الأولى المؤجلة للعاصمة الكورية الجنوبية سول خلال النصف الأول من عام 2019.

أعقب ذلك إجراء الجانبين لقاء رفيع المستوى حين التقى الرئيس الأمريكى ترامب مبعوث الرئيس الكورى الشمالى كيم يونج تشول فى واشنطن يوم 18 يناير 2019 بعد لقاء للأخير مع وزير الخارجية الأمريكى مايك بومبيو، نقل خلالها المبعوث الكورى الشمالى رسالة شفهية من الرئيس كيم جونج أون لنظيره الأمريكى، وناقش الجانبان خلال هذه المقابلات أيضاً مسألة كيفية نزع الأسلحة النووية الكورية الشمالية، وإمكانية عقد قمة أمريكية - كورية شمالية ثانية بهدف استعادة بناء جسور الثقة المفقودة بين الجانبين، والبحث عن صيغة توافقية تمهد لإحلال السلام والاستقرار فى شبه الجزيرة الكورية فى ظل الخلافات القائمة حالياً حول أولويات التسوية.

وقد أعلن البيت الأبيض فى ختام زيارة المبعوث الكورى الشمالى أن الرئيس الأمريكى دونالد ترامب يتطلع إلى عقد قمة ثانية مع الرئيس كيم جونج أون فى أواخر فبراير 2019، وأنه سوف يتم لاحقاً الإعلان عن مكان انعقاد القمة المرتقبة.

وقد بدأت التكهنات تثور حول المكان المرشح لانعقاد القمة الثانية حيث أبدى رئيس الوزراء الفيتنامى استعداد بلاده وترحيبها باستضافة القمة، وصاحب ذلك تسريبات تشير إلى إمكانية عقد القمة إما فى العاصمة الفيتنامية هانوى أو فى مدينة دانانج، حيث يقع المنتجع الذى كان مقراً لإحدى القواعد الجوية الأمريكية خلال الحرب الفيتنامية والذى سبق أن استضافت فيه قمة منتدى التعاون الاقتصادى لآسيا والمحيط الهادى عام 2017. «أعلن الرئيس ترامب لاحقاً فى خطاب حالة الاتحاد أنه سوف يعقد القمة الثانية مع نظيره الكورى الشمالى فى هانوى يومى يوم 27 /28 فبراير 2019».

وقد قوبل الإعلان الأمريكى عن القمة الأمريكية - الكورية الشمالية الثانية بترحيب دولى وخاصة من الصين وروسيا واليابان وكوريا الجنوبية، وهم أطراف فى المباحثات السداسية التى كانت إحدى آليات تسوية المشكلة الكورية. وقد أعلن رئيس الوزراء اليابانى شنزو آبى أمام البرلمان اليابانى يوم 28 يناير استعداده لمقابلة كيم جونج أون لبحث حل مشكلة البرنامج النووى والصاروخى لكوريا الشمالية، وبحث مشكلة المختطفين اليابانيين لدى كوريا الشمالية. من جانبه، أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس أن الوقت قد حان للتأكيد على استئناف المفاوضات بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية لوضع خارطة طريق واضحة لإخلاء شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووى، مشيراً إلى أن المعونات الإنسانية لكوريا الشمالية لا ينبغى أن تبقى رهينة لأى اعتبارات سياسية.

رغم صعوبة وحساسية القمة المرتقبة بحكم الموضوعات الخلافية المطروحة على جدول أعمالها والتى تعد إرثاً ثقيلاً للحرب الباردة، والتى لم تنجح القمة الأولى فى فك طلاسمها، إلا أن موافقة الجانبين على حضورها يعد فى حد ذاته مؤشراً إيجابياً على حرصهما على أن تخرج بنتائج إيجابية أو الاتفاق على صفقة قد لا تقدم حلولاً نهائية لكافة المشكلات القائمة إلا أنها تتضمن خطوات ملموسة نحو تحريك وتسوية المسألة الكورية، وفى تقديرى أن الجانب الأمريكى قد يوافق على رفع جزئى للعقوبات المفروضة على كوريا الشمالية - التى هى أيضاً مطلب روسى وصينى - فى مقابل تقديم كوريا الشمالية لقائمة بمواقعها النووية وتعهد بتفكيك برنامجها النووى والصاروخى فى مقابل تعهد أمريكى بتوقيع اتفاق سلام دائم فى شبه الجزيرة الكورية خلال مرحلة لاحقة من المفاوضات. وفى تقديرى أن هذه القمة قد تشهد مرونة أكثر من الجانبين فى التعاطى مع مطالب ومخاوف الجانب الآخر، فى ضوء حرص الرئيس الأمريكى على تحقيق إنجاز فى الملف الكورى قد يرفع من أسهمه تجاه معارضيه سواء داخل حزبه أو الحزب الديمقراطى تمهيداً للترشح لفترة رئاسية ثانية. وعلى الجانب الآخر فى ضوء اقتناع الرئيس الكورى الشمالى أن نجاح القمة سوف يساعد فى إنجاح مباحثاته مع الجنوب الكورى حول ملفات التعاون الاقتصادى التى يراهن عليها من أجل تحسين الوضع الاقتصادى لبلاده، كما أنها قد تفتح الطريق أمام قمة يابانية - كورية شمالية، وضعاً فى الاعتبار أن الموقف الصينى سيظل حاسماً تجاه حجم وتوقيت التنازلات التى يمكن أن يقدم عليها الرئيس الكورى الشمالى الحريص على التشاور عن قرب مع القيادة الصينية فى ملف مصيرى لبلده ولمستقبل نظامه، حيث بلغت زياراته للصين أربع زيارات منذ بداية رحلة مفاوضاته مع الجانبين الأمريكى والكورى الجنوبى حول إمكانيات تحقيق تسوية نهائية للمسألة الكورية وإخلاء شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووى.

سوريا الشقيقة... لماذا وإلى متى؟

الشعب المصرى بكافة شـــرائحه حزين ومتألم لما يحدث فى سوريا الشـــقيقة، هذا البلد القريب من قلب كل مصرى. أســـئلة كثيرة يزاحم بعضها بعضاً بلا إجابة، بينما الجرح الغائر فى الجسد العربى ينزف وبشـــدة! هل ستعود سوريا كما كانت بعد كل هذا الدمار والدم الذى سال على ترابه؟ وهل سيتفق المجتمع الدولى على صيغة لحل الأزمة السورية؟ وعما إذا كانت تلك الحرب ستأخذ منحى نحو التصعيد أم التهدئة؟ وكيف سيتم التوافق فى ظل التعقيدات الكثيرة فى الملف السورى سواء ما بين السوريين أنفسهم أو الدول والأطراف الفاعلة؟

سفير حازم خيرت

hazemahdy1@gmail.com

فما يحدث فى ســـوريا من تفاعلات وتطورات متلاحقة بات عصياً على الفهم بعد أن أفضى الصراع وإطالة أمد الحرب إلى أكثر من 400 ألـــف قتيل و5 ملايين لاجىء و6 ملايين نـــازح و13 مليوناً فى حاجة إلى مســـاعدات، فضلاً عن تدمير للبنية التحتية تحتاج لعشـــرات السنوات ومليارات الدولارات لإعـــادة الإعمار، وهو أمر ليس بالسهل الميسور الآن وغداً!!

ولأول مرة أصبحنا نســـمع - وحتى أغلب السوريين - عن مدن وقرى وأحياء ســـورية لم نســـمع عنها من قبل تصبح ساحات للوغى وصراعات النفوذ الإقليمى والدولى، فيجتمع مـــن أجلها العديد من الجيوش، وتشـــهد دعماً لوجيستياً لآلاف المدججين بالسلاح، واستنفاراً دبلوماسياً ودولياً، وتصريحات فـــى أروقة الأمم المتحدة، وبيانات وجلســـات لمحادثات واتفاقيات ومؤتمرات ....، كلها لم تسفر عن شئ ملموس على الأرض.

أولاً: لماذا سوريا؟

لقد اجتهدت من جانبى للإجابة على هذا الســـؤال دون أن تسيطر على فكرى نظرية المؤامرة، وبـــدأت أتابع التطورات بشكل منطقى، فالأحداث فى سوريا بدأت بثـــورة تتواكب مع الثـــورات الأخرى فى المنطقة العربية ضد الأنظمة، والمعروفة باسم الربيع العربى!! وأنا هنا لست بصدد الحديث عن تداعيات هذا الربيع المعروف لدى الجميع، ولكنى منذ بداية هذه الثورة فى سوريا بالذات عام 2011 كنت أتوقع أننا سنشهد مأساة سواء نجحت الثورة أم لم تنجح. وســـتصبح سوريا جسداً منهكاً ينهش فـــى لحمه كل من يشـــاء وبدون حساب وســـيحترق الأخضر واليابس. ويا ليتها خابـــت توقعاتـــى، ولكنها صحت للأسف الشديد! وهذا التقدير لم يكن من فراغ وإنما لوجود حقائق وواقع لهذا البلد يجعله مختلفاً عن أغلب البلدان الأخرى فى المنطقة سواء من ناحية تداعيات التاريخ على المســـتقبل أو التركيبة الســـكانية المعقدة أو الأهمية الجيواستراتيجية.

التاريخ يحكم المستقبل أحياناً

المعـــروف من اســـتقراء التاريخ أن ســـوريا من بلاد الحضارات الأولى، وقد مرّت عبـــر تاريخها الطويـــل بمجموعة من الأقوام والغـــزاة وبنت أهم الحضارات القديمة، وتعتبر دمشـــق أقـــدم عاصمة مســـكونة فى التاريخ. ولقد تعاقبت على سوريا أعظم حضارات الشرق التى أغنت البشـــرية بالعطاءات فى شتى المجالات بـــدءاً بالحضارة الأمورية ثـــم الكنعانية والبابلية والفينيقية والآرامية على التوالى. ومرت عبر تاريخهـــا المعاصر والحديث أيضاً بالعديد مـــن المتغيرات والأحداث، فبعد الفتح الإســـلامى تأسســـت الدولة الأموية وعاصمتها دمشـــق ثم سقوطها وسيطرة الدولة العباسية ونقل العاصمة إلـــى الكوفة بالعراق، ثم ســـقوط الدولة العباســـية وتأســـيس الدولة الأيوبية ثم المماليك فالدولة العثمانية. ثم تولى الملك فيصل بن حسين عرش المملكة السورية عام 1918، ثم باتت سوريا تحت الانتداب الفرنســـى عام 1920 والتى قامت بنفى الملك وحل الملكية.

وفى عـــام 1921 أصـــدر الانتداب الفرنسى قراراً بتقســـيم سوريا إلى ست دويلات مستقلة على أساس طائفى وهى: دولة دمشق - دولة حلب - دولة العلويين - دولة لبنان الكبير - دولة جبل الدروز - لواء الاســـكندرون المستقل، ثم قامت الثورة السورية الكبرى عام 1925 بقيادة ســـلطان باشـــا الأطرش وأجبرت الثورة فرنســـا على إعادة توحيد ســـوريا. وفى عام 1936 تم توقيع معاهدة الاســـتقلال مع فرنســـا لتوحيد كافة الأقاليم السورية واقتطعت أربعة أقضية (بيروت وطرابلس والبقاع وصيدا) وألحقت بلبنان الذى صار يسمى بلبنان الكبير، وتغير فيما بعد إلى الجمهورية اللبنانية. وســـلمت فرنسا لواء الاســـكندرون إلى تركيا الأتاتوركية خلال معاهدة أنقرة وترسيم الحدود مع تركيا.

وفى 17 إبريل 1946 تمتعت سوريا بكامل ســـيادتها واســـتقلالها. ومنذ هذا الاســـتقلال، لم تنعم سوريا بأى استقرار سياســـى (حتى عام 1970 وبعد وصول حافظ الأسد إلى ســـدة الحكم)، وشهدت حوالى أحد عشر انقلاباً عسكرياً و«تناوب» على كرسى الرئاســـة حوالى 18 رئيساً، كما شـــهدت تلك الفترة الوحدة بين مصر وســـوريا عام 1958 ثـــم الانفصال عام 1961، وســـيطر حزب البعـــث العربى الاشتراكى على السلطة عام 1963.

ومنـــذ نوفمبـــر 1970 وحتى بداية موجة الربيع العربى عام 2011، شـــهد حكم الرئيس حافظ الأســـد ونجله بشار مرحلة من الاســـتقرار النســـبى سياسياً واقتصادياً وأمنياً، وإن كانت قد شـــهدت أيضاً أزمات داخليـــة وخارجية إلا أنها لم تؤثر على اســـتمرار الحكـــم، وكانت أهم هذه المحطات هـــى أحداث حماه 1982،

خريطة توضح تقسيم سوريا فى مرحلة الانتداب الفرنسى والتى ادت الى ثورة سوريا الكبرى

سلطان باشا الأطرش

ثم المحاولة الانقلابية لرفعت الأسد على شقيقه عام 1984، كما شهدت فترة بشار الأسد اغتيال الحريرى فى فبراير 2005 ثم الانسحاب السورى من لبنان، ثم الحرب على لبنان 2006 ثم مزيداً من التقارب والتحالف مع إيران، وفتور العلاقات مع مصر والسعودية.

التركيبة السكانية والطائفية:

إذا أردنا أن نلقى الضوء على التنوع السكانى والقومى والدينى فى سوريا فإننا سنجد أنه رغم عدم توافر مصادر موثوقة ومعتمدة تحدد بشكل واضح معالم التركيبة السكانية فى سوريا، إلا أنه لا يخفى على أحد تعقيدات الدولة السورية، بل ربما تكون أكثر الدول ذات التعددية القومية والدينية والطائفية والعرقية والإثنية، فهناك عرب وأكراد وشركس وأرمن وتركمان وغيرهم. ومن الأديان والطوائف فتوجد أغلبية من السّنة وعلويين وشيعة ودروز وإسماعيليين ومسيحيين ويزيديين وقليل من اليهود (الموسويين).

ورغم الصراعات السياسية التى شهدتها سوريا، إلا أنه لم يكن هناك صراعات أو نزاعات بين مختلف أطياف الشعب السورى، وهذا يدل على غنى حضارى يؤكد أن سوريا عبر تاريخها كانت بلداً يتمتع بالتسامح وقبول الآخر.

التكوين القومى:

1 - العرب: تعتبر سوريا من حيث الثقل السكانى عربية فى غالبيتها بصرف النظر عن تسميات عرب سنة وعلويين ودروز وشيعة وإسماعيليين ومسيحيين، وهؤلاء يمثلون نسبة تتجاوز 90٪ من سكان سوريا، وهذا يعنى أن سوريا دولة عربية إسلامية بحكم الوقائع، وأن الفتوحات الإسلامية توضح أن سكانها قاتلوا إلى جانب الجيش العربى المسلم ضد الإمبراطورية البيزنطية من منطلق «نقاتل مع أبناء جلدتنا» وكانوا فى غالبيتهم من النصارى، والواقع أن من ينظر إلى الخريطة فى هذه الفترة يرى أن الجزيرة العربية كانت تضم الشام والعراق، ولا حدود طبيعية تفصل بينهما، وسنجد أن العرب نسباً يتوزعون كقبائل كبيرة منها ما هو عابر للحدود مرتبط بعلاقة الدم فى المحيط العربى، ومنها عشائر تكاد تكون مقتصرة على سوريا من حيث الاسم ولكنها تتفرع من قبائل عربية من الجزيرة العربية والعراق.

2 - الأكراد: تقدر نسبة الأكراد فى سوريا بحوالى 8٪ من عدد سكان سوريا وهؤلاء عاشوا فى المدن وانصهروا مع السكان ويتحدثون العربية بلهجات المدن السورية مع الاحتفاظ بلغتهم وتقاليدهم وعاداتهم، ويتركز أغلبهم فى الشمال السورى ولاسيما فى منطقة الجزيرة وحلب.

3 - التركمان: أكدت غالبية الدراسات أن قبائل التركمان قد وصلوا بلاد الشام والمنطقة عموماً قبل العثمانيين بقرون، وأن التركمان فى سوريا قد استعرب قسم كبير منهم واندمجوا فى المجتمع السورى لاسيما فى دمشق وحمص وحماة، ولايوجد إحصاء رسمى لعدد التركمان ولكن تشير بعض التقديرات أنهم يشكلون نحو 3٪ من سكان سوريا وهم مسلمون سنة، ويتوزعون بين القرى والمدن وأهم تجمعاتهم فى حلب ودمشق واللاذقية وحمص.

4 - الشركس: ويبلغ عدد الشركس فى سوريا حوالى 150 ألف نسمة يتوزعون جغرافياً على محافظات القنيطرة وحمص وحلب وبعض الريف الدمشقى قدسيا - الكسوة - مرج السلطان والجزيرة، وقد بدأ عددهم بالتناقص مع بدء الأحداث فى سوريا. وقد عاد قسم منهم إلى موطنه الأصلى.

5 - الأرمن: وفد الأرمن كموجات بشرية إلى سوريا مع الحرب العالمية الأولى فى أعقاب العنف المتبادل بين الأرمن والسلطة العثمانية 1915. وبعد تعرض الأرمن لمجازر وحرب إبادة هاجروا إلى المنطقة ولقوا معاملة حسنة من قبل السوريين ولاسيما فى منطقة الجزيرة الفراتية وحلب. ويقدر عدد الأرمن فى سوريا بنحو مائة ألف وغالبيتهم من

أتباع كنيسة الأرمن الأرثوذكس، مع أقلية من الأرمن الكاثوليك والإنجيليين، وهم يتوزعون فى حلب ودمشق والساحل ولاسيما مدينة كسب والجزيرة الفراتية. وقد تمت مصاهرات عديدة بين العرب والأرمن فى الجزيرة السورية إبان هجرة الأرمن. ويوجد فى مدينة دير الزور كنيسة شهداء الأرمن حيث يحج إليها الأرمن سنوياً من كل مكان فى العالم.

6 - الآشوريون والكلدان والسريان: لايوجد عدد دقيق للآشوريين والكلدان والسريان فى سوريا، وهى مجموعة عرقية دينية ساميّة مسيحية تسكن فى شمال ما بين النهرين فى العراق وسوريا وتركيا، كما توجد أعداد أخرى فى المهجر ويعتبرون من أقدم الشعوب التى اعتنقت المسيحية. ولقد شهد النصف الثانى من القرن العشرين هجرة العديد منهم إلى دول أوروبا وأمريكا، كما أدت حرب الخليج الثالثة والانفلات الأمنى فى العراق إلى نزوح مئات الآلاف منهم إلى دول الجوار وخاصة سوريا.

7 - الإيزيديون: يتمركزون فى الجزيرة السورية، ويقدر تعدادهم بنحو 20 ألفاً، ويرجع بعض الباحثين أصولهم إلى القومية الكردية، وهناك من يرجعهم لأصل فارسى، وهم لا علاقة لهم بالخليفة الأموى الثانى يزيد بن أبى سفيان كما يتردد أو حتى بمدينة يزد فى فارس، بل هى صفة مشتقة من الكلمة الفارسية «إيزيد» والتى تعنى الملاك أو الإله.

التكوين الدينى والمذهبى

1 - السنة: يشكل المسلمون السنة الأغلبية بنسبة حوالى 80 إلى 85٪ وتشمل العرب السنة ومعهم الأكراد والتركمان والشركس فكلهم من أهل السنة، وهم يقيمون فى جميع أرجاء سوريا.

2 - الشيعة: يمثل الشيعة الإمامية أقلية ضئيلة فى سوريا لاتتجاوز 1٪، إلا أنه فى نفس الوقت يتوقع العديد من المراقبين للمشهد السورى أن هذه النسبة قد ارتفعت نتاج الهيمنة والتغلغل الإيرانى فى سوريا فى الفترة الأخيرة، وأن الظروف الاقتصادية السيئة للمواطن السورى قد لعبت دوراً مهماً فى تقبل التشيع من خلال عطاءات مالية من إيران.

حافظ الاسد

3 - العلويون: تذهب بعض التقديرات إلى أن نسبتهم فى سوريا تبلغ نحو 11٪ ويسمّون كذلك بالنُصيرية نسبة لمحمد بن نصير النميرى وهم طائفة من الشيعة الجعفرية الإثنى عشرية. ولقد أصدر رجل الدين الشيعى موسى الصدر فى أوائل السبعينيات فتوى تقر بأن العلويين مسلمون وهم طائفة من الشيعة. كما وافق الأزهر خلال السبعينيات على اعتبار العلويين طائفة إسلامية من الشيعة الإثنى عشرية، حيث قاد هذا القرار إلى تحولات كبيرة فى المجتمع العلوى وسعى للظهور كمسلمين لتجاوز الحاجز الطائفى الذى ترسخ على مدى مئات السنين.

ويسكن أغلب العلويين فى القرى الواقعة على سلسلة الجبال الممتدة شمال سوريا، وفى ريف حماه وحمص واللاذقية وطرطوس ولواء الإسكندرون الواقع الآن فى تركيا.

وقد التحق عدد كبير من العلويين بالجيش السورى خلال فترة الانتداب الفرنسى، كما أتاح حزب البعث نظراً لأيديولوجيته العلمانية الاشتراكية الفرصة لانضمام العلويين والأقليات الأخرى القاطنة فى الريف السورى للحزب، وهناك طائفة اسمها «المرشدية» نسبة إلى سليمان المرشد، وهى قسم صغير من العلويين تعيش فى قرى بجبال العلويين بمحافظة اللاذقية.

ومن أبرز الشخصيات العلوية، صالح العلى، قائد الثورة السورية ضد الفرنسيين فى جبال اللاذقية. والرئيس السابق حافظ الأسد، وابنه الرئيس الحالى بشار الأسد، وصلاح جديد، إضافة إلى عدد من الكتاب والمفكرين، كالشاعر أدونيس، والشاعر بدوى الجبل، والشاعر سليمان العيسى، والشاعر والمسرحى ممدوح عدوان، والكاتب المسرحى سعد الله ونوس.

4 - الإسماعيليون: تعد الإسماعيلية ثانى أكبر جمهور الشيعة بعد الإثنى عشرية

ويسمون بالإسماعيليين نسبة إلى إسماعيل المبارك بن الإمام السابق جعفر الصادق، وهناك من يقدر عدد الإسماعيليين فى سوريا بنسبة 1٪ أو أقل، وهم يقيمون فى مدينة سلمية التابعة لمحافظة حماة، وفى مدينة مصياف.

5 - الدروز: يعيش غالبية الدروز فى محافظة السويداء وفى الجولان المحتل وفى بعض مناطق ريف دمشق كجرمانا وصحنايا وبعض قرى إدلب، وقد تناقص عدد الدروز كثيراً بسبب الهجرة إلى الأمريكتين وعدة دول غربية، ويُقدر عدد الدروز فى سوريا الآن بحوالى 700 ألف نسمة، وإن كانت بعض الإحصائيات تشير إلى أن عددهم أقل من ذلك.

وقد كان للدروز دور مشرف فى الثورة السورية الكبرى 1925 وبرز منهم سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية الكبرى، كذلك لم يقبل الدروز الانفصال عن سوريا، وبعد الاستقلال رفض الدروز أن يشملهم قانون الأحوال الشخصية المستمد من المذهب الحنفى، وقد قبلوا أن تكون معاملاتهم حسب معتقداتهم أسوة بالمسيحيين.

6 - المسيحيون: بعض الدراسات تقدرهم بـ 8٪ وهذه النسبة تشمل المسيحيين بكل فئاتهم العربية وغير العربية ومذاهبهم. ومسيحيو سوريا متنوعون طائفياً فهناك الروم الأرثوذكس وهم الأغلبية، يليهم السريان الأرثوذكس، والروم الكاثوليك مع وجود جماعات مختلفة من اللاتين والبروتستانت والموارنة والكلدان والآشوريين والسريان الكاثوليك والأرمن.

وتضم حلب وحدها عشر إبرشيات، أما فى دمشق فيوجد كرسى بطريركى ومقر لثلاث كنائس على مستوى العالم هى بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس وبطريركية أنطاكية

وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس وبطريركية أنطاكية والقدس والإسكندرية للروم الملكيين الكاثوليك، وأغلب مسيحيى سوريا يتكلمون العربية، مع بعض الاستثناءات المتعلقة بمنطقة معلولا مثلاً حيث تستخدم الآرامية، وبعض قرى الجزيرة حيث تستخدم السريانية. ويشكل الروم الأرثوذكس الغالبية ويتوزعون على كافة المناطق السورية.

7 - اليهود: قلّ عددهم كثيراً سواء بعد 1948 أو بعد سماح حافظ الأسد لهم بالهجرة عام 1992، وكانوا جزءًا من النسيج الاجتماعى السورى، ولا يوجد إحصاء رسمى لعددهم، وإن كان هناك تقديرات أنهم بالمئات، وقبل هجرة اليهود كانوا ينتشرون فى المدن السورية بأحياء تُنسب لهم.

وهنا أيضاً يجب ألا نغض الطرف عن الإيجابيات فى المشهد السورى، فرغم مرور أكثر من 8 سنوات على الحرب فى سوريا واستفحال حالة الاستقطاب العرقى والدينى، لم تنجر مكوناتها إلى حرب أهلية كما حدث فى بلدان أخرى، وما يميز سوريا هو أنها لم تكن لديها أية ظواهر للنزاعات بين مختلف أطياف الشعب السورى، فالمجتمع السورى كان يرفع دائماً شعار لا للطائفية ويؤمن بأن لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين، حفاظاً على المواطنة والنسيج السورى، ويتمسك بهوية واحدة وهى «سوريا العربية». ومن ثم عاش فى تناغم بين كافة أطيافه، ولهذا يصف السوريون بلادهم بأنها «دولة الفسيفساء»، والفسيفساء هى عبارة عن قطع ومكعبات صغيرة يتم تثبيتها على لوحة أو على فراغات الجدران والحوائط لتأخذ شكلاً فنياً متناسقاً وثابتاً.

- العوامل الجيواستراتيجية

تزيد الأهمية الإستراتيجية لسوريا من الصورة تعقيداً فهى تعتبر من أهم المراكز الجيوسياسية بالنسبة لأطراف المعادلة الدولية والفاعلة. فموقعها المتميز الذى يربط بين القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وموقعها أيضاً على ضفة البحر المتوسط الشرقية يجعلها بوابة ساحلية للقارة الآسيوية، وهو ما يجعلها محل اهتمام كبير ورغبة فى السيطرة من قبل الدول الكبرى، كما أن بعض الدول الأوروبية تتطلع إلى فرض نفوذها على سوريا من أجل مد خطوط الطاقة من الخليج العربى إلى أوروبا عبر سوريا، ولكسر حاجة أوروبا من الغاز الروسى من ناحية، فالقوى الدولية أيضاً ترى أن سوريا دولة واعدة لا سيما فى مجال الغاز الطبيعى، وتشير دراسات من مراكز متخصصة أن الاحتياطى السورى من الغاز الطبيعى فى منطقة تدمر وقارة وساحل طرطوس وبانياس، قد يجعل سوريا، إن تم استخراج هذا الغاز، ربما تكون ثالث بلد مصدر للغاز فى العالم، فضلاً عن تحويل الأراضى والمرافئ السورية ممراً لاستيراد وتصدير البضائع إلى دول الخليج.

يضاف إلى ما تقدم تموضع سوريا على شمال إسرائيل وما يمثله من تهديد مباشر يدفع أيضاً نحو السيطرة على المواقع الإستراتيجية فى سوريا والسعى لإضعافها وانخراطها فى حروب أهلية وصراعات داخلية، وهنا يتفق العديد من الخبراء أن بقاء النظام السورى الحالى ضعيفاً ومنهكاً هو أفضل الخيارات بالنسبة لإسرائيل.

ثانياً: سوريا إلى متى؟

فى ضوء ما سبق، فإنه يمكن القول أن الأحداث التى تعيشها سوريا هى جزء من مسار صراع ونفوذ تاريخى على السلطة تشهده البلاد منذ قرون. وعليه يبقى السؤال الذى يصعب لأحد الإجابة عليه وهو: هل يمكن أن تشهد سوريا انفراجاً على المدى المنظور، وماذا سيكون شكل سوريا الجديد، وإذا افترضنا أن سوريا استعادت عافيتها بإذن الله، فماذا ستكون السيناريوهات المطروحة؟

فهل هو مشروع بقاء النظام السياسى ما قبل 2011 ومحاولة إعادة بناء نفسه بآلياته السابقة مع دعم بعض الدول الإقليمية والفاعلة، أم المشروع الوطنى الديمقراطى العلمانى أم مشروع الإسلام السياسى، أم مشروع الإصلاح الدستورى الذى يمهد لانتخابات رئاسية وبرلمانية برقابة دولية؟ وأخيراً هل حسن النوايا متوفر بالفعل لدى القوى الفاعلة فى سوريا، أم أن لكل قوى أجندتها الخاصة ومصالحها حتى وإن كانت على حساب استقرار وسيادة الدولة السورية وشعبها.

تقديرى أن مسار الإصلاح الدستورى هو أفضل الخيارات شرط ألا يأتى من الخارج وأن يكتبه ويناقشه ويستفتى عليه السوريون فقط، ولابد أن يتم التمهيد لتشكيل اللجنة الدستورية وتوافق الفرقاء على القوائم المقدمة من الحكومة والمعارضة والمجتمع المدنى مثالثة، رغم ما يواجهه من مصاعب وخاصة بعض المسائل الخلافية الصعبة كصلاحيات رئيس الجمهورية وشكل النظام السورى المقبل ودور الجيش وأجهزة الأمن.

فهناك مبادئ عامة لايختلف عليها أحد حيال الأزمة السورية وهى إقامة دولة مدنية ديمقراطية لكل السوريين، وتطبيق مبدأ المواطنة، بحيث ينال جميع السوريين حقوقهم السياسية والثقافية والدينية الكاملة، استناداً لما تقرره عهود ومواثيق حقوق الإنسان، وهو الحل الأمثل لتحقيق الطموحات والمطالب المشروعة للجميع، بحيث تكون الدولة السورية هى الوطن المشترك الواحد للسوريين كافة من دون استثناء أو تمييز، ولايوجد فيها مدن أو مناطق أو قرى خاصة لهذه القومية أو الطائفة من دون غيرها، لاسيما وأن حرية التنقل، واختيار محل الإقامة من حقوق الإنسان، وهذه الدولة السورية المدنية الديمقراطية تتألف من شعب واحد، يتكون من قوميات عدة، لها رموز وطنية واحدة.

إن على السوريين الوطنيين أن يتحملوا المسئولية وأن يتخلوا عن أى مصالح أو عصبيات أو أجندات، وأن يفتحوا صفحة جديدة وأن يتجاوزوا خلافاتهم، وأن يضعوا مصالح دولتهم وشعبهم فوق أى اعتبار، وأن تقدم كافة الأطراف التنازلات اللازمة، والتى تصب فى النهاية لصالح الشعب السورى واستعادة سوريا لاستقرارها وعافيتها ووحدة ترابها.

ولقد حان الوقت للعرب تحت مظلة الجامعة العربية الانخراط إيجاباً فى الأزمة السورية والقيام بدور رئيسى تتطلع إليه جميع الشعوب العربية، وتوحيد جهود الدول العربية وتجاوز الخلافات فيما بينهم إزاء التعامل مع الأزمة السورية، وأنا هنا لست بصدد توجيه اللوم والعتب على الأخطاء التى وقع فيها العرب إزاء التعاطى مع المشهد السورى، فلن يفيدنا النظر إلى الماضى، ولكن علينا أن ندرك الآن أنه لا يمكن أن نترك هذا الفراغ لكى يملؤه الآخرون ولكى ينفذوا أجنداتهم ومصالحهم الذاتية. وأرجو ألا نكرر تجربة العراق عندما تركناه فترة طويلة، وعندما عدنا إليه كان الوقت قد تأخر.

فـنزويـلا : إلـى ايـن ؟

نصب السيد خوان جوايدو رئيس البرلمان فى فنزويلا يوم 23 يناير 2019 نفسه رئيسًا مؤقتًا للبلاد، واستند فى هذه الخطوة إلى أن فترة الرئاسة الخاصة بالرئيس الحالى نيكولاس مـــادورو تنتهى فى 10 يناير 2019، وأن انتخابات مايو 2018 التى فاز بها الرئيس مادورو لم تعترف بها المعارضة، وأن المادة 233 من دســـتور فنزويلا الحالى تمنح رئيس البرلمان سلطة تسيير أمور البلاد فى حالة حلول موعد رئاسة جديدة مع غياب رئيس منتخب.

والجدير بالذكر هنا أن معهد كارتر قد أعلن بعد انتخابات مايو 2018 أنها كانت من أنزه وأكثر الانتخابات شفافية فى تاريخ فنزويلا.

وانقسمت القوى الداخلية والإقليمية والدولية فى تأييدها لأحد طرفى الصراع الرئيسيين: الســـيد نيكولاس مادورو رئيس الجمهورية الحالى والسيد خوان جوايدو الذى أقسم أمام الشعب بصفته رئيسًا مؤقتًا للبلاد.

ويرجـــع الرئيس مـــادورو الأزمة الاقتصادية المســـتمرة منـــذ أكثر من عامين فى فنزويلا إلى موقف الولايات المتحدة الهادف إلى تغيير نظام الحكم فـــى فنزويلا، ويذكـــر أن عملاءها هم الذين يخلقـــون المصاعب الاقتصادية، بينمـــا يرجع خوان جوايـــدو التدهور الاقتصادى فى البـــلاد إلى عدم كفاءة الرئيس مادورو فى إدارة شئون البلاد.

وقد أعلن الرئيس مادورو استعداده للتفاوض مع المعارضة بوساطة دولية وإجراء انتخابات برلمانية جديدة، بينما يصر المعارض خـــوان جوايدو على إجراء انتخابات رئاسية جديدة.

ويمكن إرجـــاع الموقف الأمريكى المعارض للرئيس مادورو إلى عوامل كثيرة منها: تبنى مادورو للسياســـات والاتجاهـــات الاشـــتراكية - تعاون فنزويلا العسكرى وصفقات التسلح مع روســـيا - زيادة الاستثمارات الصينية فى فنزويلا خاصة فـــى قطاع الطاقة - معاداة إسرائيل - العلاقات الوثيقة مع إيران - إصدار عملة بترو وغطاءها البترول والذهب والماس وليس الدولار

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

الأمريكى. وتعتبـــر فنزويلا ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة لعدة أســـباب أهمها: أن فنزويلا تمتلك أكبر احتياطـــى بترولى فـــى العالم وتصـــدر أكثر من 40٪ مـــن إنتاجها إلـــى الولايات المتحدة - أنها فى موقع جيواســـتراتيجى على بحر الكاريبى قريبًا من الولايات المتحدة ولا تنســـى الولايات المتحدة أحداث أزمة الصواريخ الكوبية فى عـــام 1961 - أن فنزويلا هى القوة الأساسية فى مساندة الأنظمة الاشـــتراكية واليســـارية فى أمريكا اللاتينية والكاريبى وهى الأنظمة التى يريد اليمين الأمريكـــى التخلص منها باعتبار أن أمريـــكا اللاتينية هى الفناء الخلفى للولايات المتحدة منذ وضع مبدأ مونرو عام 1823.

ولهذا فقـــد أيدت الولايات المتحدة تنصيب خوان جوايدو رئيسًـــا مؤقتًا ومعهـــا الدول الأوروبيـــة التى منحت مادورو مهلـــة ثمانية أيام من تنصيب جوايـــدو لإعلان موافقتـــه على إجراء انتخابات رئاســـية جديدة، واعتبرها مادورو إهانة لبلاده ووصفها بالأسلوب الاســـتعمارى. كما فرضـــت الولايات المتحدة عقوبات تضمنت تجميد أصول شـــركة البترول الوطنيـــة الفنزويلية وتفاهمت مع بريطانيـــا حتى لا تعيد أرصدة ذهب بحوالى 1.2 بليون دولار إلى حكومة مادورو.

خوان جوايدو

نيكولاس مادورو يدلى بصوته

دعمت روسيا وإيران وتركيا موقف الرئيس مادورو بصفته الرئيس الشرعى للبلاد.

اعتبر الرئيس مادورو ما جرى بأنه انقلاب دستورى، وقد أيدت القوات المسلحة الرئيس مادورو، وأصدرت المحكمة الدستورية العليا قرارًا بعدم دستورية تنصيب خوان جوايدو، وأصدر المدعى العام قرارًا بمنعه من السفر.

وهكذا فرغم وقوف الدولة الفنزويلية وراء الرئيس مادورو إلا أنه يواجه بمعارضة سياسية تحاول كسب تأييد القوات المسلحة بجانبها، ففى مقال للسيد خوان جوايدو بجريدة نيويورك تايمز يوم 30/ 1/ 2019 شرح أسباب تنصيبه وذكر أن هناك اتصالات سرية مع القوات المسلحة الفنزويلية للحصول على تأييدها له.

أدت الأزمة الحالية إلى اعتراف منظمة الدول الأمريكية بالرئيس المؤقت وكذلك اعترفت به بعض دول الاتحاد الأوروبى وكذا دول القارة مثل البرازيل والأرجنتين وكولومبيا وبيرو، بينما عارضت ضد الاعتراف المكسيك وكوبا وبوليفيا ودول أخرى فى القارة.

وتكمن خطورة الأزمة الحالية فى إصرار المعارضة ممثلة فى خوان جوايدو على إجراء انتخابات رئاسية عاجلة ويساندها فى ذلك الولايات المتحدة بما يخلق مواجهة يمكن أن تتطور إلى حرب أهلية أو انقلاب عسكرى خاصة فى ضوء إعلان الرئيس مادورو أنه جار إعداد 100 ألف من الميليشيا الشعبية لحماية البلاد. كما أن الولايات المتحدة أعلنت أن جميع الخيارات مفتوحة فى هذه الأزمة بما يعنى إمكان استخدام القوة المسلحة وزاد من هذا الإحساس ما هو معروف أن لدى الولايات المتحدة عدة قواعد عسكرية فى كولومبيا جارة فنزويلا وما نشرته وسائل الإعلام من صور للسيد جون بولتون مستشار الأمن القومى الأمريكى وهو يحمل ملفاته وعلى غلاف مكتوب عليه 5000 جندى إلى كولومبيا.

وتشهد كولومبيا أكبر موجة لجوء من الفنزويليين إليها بما يقدر بمليونى لاجئ بسبب سوء الأحوال المعيشية والاقتصادية.

والمأمول أن تشرع القوى المحلية فى حوار لاختيار أفضل الخطوات لإعادة البلاد إلى أوضاعها الطبيعية سواء بوسيط محلى مثل «الكنيسة» أو إقليمى مثل «مجموعة ليما» أو دولى مثل «العرض الروسى» وتجنب ويلات تزايد الصراع الذى سيكون ضحيته ووقوده المواطن الفنزويلى، وتعد سوريا فى منطقتنا شاهدًا على تضارب مصالح القوى المحلية والإقليمية والدولية وهو ما يخشى من حدوثه فى فنزويلا الآن.

لماذا ألتباس التاريخ 3؟

وقفنا فى العدد السابق عند انبهار المهاتما غاندى بثورة 1919، ومن المؤسف أن هذه الثورة المذهلة تعرضت لرؤى مبتسرة عديدة، ولم يتم التركيز عليها فيما بعد 1952 إلا من خلال أمرين، أولهما مبهر وهو صناعة النسيج الوطنى المصرى، ووحدة المصريين مسلمين ومسيحيين وما أحاط بها من مشاهد جليلة لم تنساها الذاكرة الجماعية المصرية، الأمر الثانى هو وصف الزعيم الراحل جمال عبدالناصر لزعيمها سعد زغلول بأنه ركب موجة الثورة، وهو اتهام بعيد تماماً عن الصحة والحقيقة، فالثابت أن زغلول لم يكن فقط الزعيم الرمزى، بل قاد التنظيم السرى للثورة الذى قام بالعديد من عمليات العنف المشروع والثورى ضد الاحتلال البريطانى، وأن التنظيم كان محكماً إلى حد أن أغلب قيادات الوفد المصاحب لزغلول لم يكن على دراية بصلة سعد بهذا التنظيم، وهنا تحديداً تقع إشكالية ثورة .

سفير د. محمد بدرالدين زايد

mbzayed8@hotmail.com

ولماذا لم تنجح القيادة الثورية فى فرض إرادتها كاملة لتحقيق الاستقلال الكامل. وفقاً لتحليلات اليسار المصرى التاريخية، لم تكن القيادات الأرستقراطية المصرية قادرة على شن حرب مكلفة كاملة ضد الاحتلال لآثار هذا على المصالح الإقطاعية والأوضاع الاقتصادية، من هنا كان الانقسام بين الأرستقراطية ذات الأصول التركية المتطلعة للغرب والتفاهم معه، والأرستقراطية الفلاحية التى مثلها سعد زغلول باشا، وكانت أكثر استعداداً للإقدام نسبياً على تضحيات أطول لتحقيق هذه الغاية. وفى الواقع إن هذا التحليل يتضمن قدراً من الحقيقة ولكن ليس كلها، فصحيح أن قيادة تنظيم سرى يعمل كأداة ضغط تفاوضية على الاحتلال كان أمراً يحتاج إلى قيادة أكثر اندماجاً من تشكيلة الوفد قبل انشقاقاته، وكذا إلى قيادة أكثر شباباً من زغلول الذى كان فى أيام عمره الأخيرة، وتحمل أعباء جبارة لكى يقود هذه الثورة، ولكن أيضاً لم يكن السياق الدولى مشجعاً لثورة طويلة الأمد فى مجتمع نهرى يعتمد على الزراعة والاستقرار وذلك خلافاً لمناخ ما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور الاتحاد السوفيتى، وتبلور حركات التحرر الوطنى فى العالم وهو ما سأعود إليه فى النهاية. هذا الالتباس الذى أحاط بواحدة من أعظم الثورات فى تاريخ البشرية وليس فقط تاريخ مصر والمنطقة أنتج أسئلة أغلبها مغرض، مثل أنها لم تتمكن من تحقيق الاستقلال الكامل، أو بناء مجتمع ديمقراطى سليم ومتطور اقتصادياً، بإغفال أنها أى هذه الثورة حققت استقلالاً ولو غير مكتمل لمصر، ولكن مصر بالفعل أصبحت دولة مستقلة منذ 1923، كما أنها أقامت أول ديمقراطية برلمانية حقيقية فى المنطقة، بل وسبقت كثيراً من التجارب الأوروبية بهذا الصدد، وبناء على تجربة سابقة لمصر فى عهد الخديو إسماعيل عندما أنشئ أول مجلس نيابى فى مصر سابقاً على أغلب دول العالم، من ناحية أخرى فإن فشل التجربة البرلمانية الدستورية لم يكن فقط بسبب تدخلات القصر والاحتلال البريطانى التى رصدتها الدراسات العلمية الرصينة وإنما أيضاً لسببين، أولهما ثانوى لم يكن ليحدث لولا سلوك القصر الملكى، وهو انتهازية قيادات الأحزاب من الخلفيات غير الفلاحية أو عموماً أحزاب الأقلية وتحايلهم على رفض الشعب المصرى لهم بحجة أن الشعب المصرى لا يعرف صالحه واندفاعهم مع القصر الملكى لابتكار كارثة تزوير الانتخابات فى مصر، وثانيهما وهو الأهم الإشكالية المزمنة الخاصة بالأصالة والمعاصرة، وعدم نضج المجتمع المصرى بما يكفى لمواجهة ظاهرة توظيف الدين فى السياسة، وملابسات نشوء حركة الإخوان المسلمين بعد فشل محاولات طرح خلافة الملك فؤاد معروفة، وليس هنا موضعها، المهم أن نشأة

سعد زغلول باشا

ثورة 1919

حركة سياسية واسعة بدعم من القصر الملكى، وتقوم بعد ذلك بتطوير قدرات عسكرية كان بمثابة المسمار الأخير فى نعش هذه المرحلة السياسية، التى وصلت إلى مفترق طرق، بعد العجز عن إنهاء الاحتلال البريطانى، وبعد عبث الملك وأحزاب الأقلية بالدستور والديمقراطية، ثم الأخطر نشوء حركة سياسية مسلحة توظف الدين، كانت ستقفز إلى السلطة لولا أن قفز إليها الطرف الآخر الذى يحمل السلاح بشكل

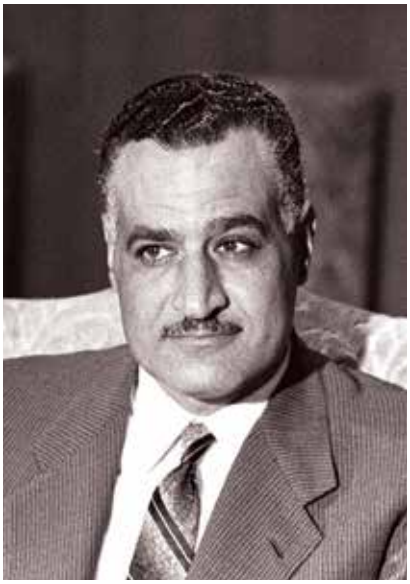
جمال عبد الناصر

شرعى، وهو ما حدث بالفعل من خلال حركة الضباط الأحرار التى فعلت ذلك بالفعل فى البداية بالتوافق مع الإخوان ثم بعد ذلك بإقصائها ولكن بشكل جزئى ما أبقى على مشكلة الحياة السياسية المصرية، على الأقل حتى 30 يونيو 2013.

فى جميع الأحوال تمثل ثورة 1919 حالة تغير عميق فى بنية المجتمع المصرى ليس فقط سياسياً بل وأيضاً اقتصادياً ببدء تبلور طبقة صناعية مصرية لعبت دوراً مهماً فى تاريخ مصر، وحققت نهضة اجتماعية وثقافية كبيرة مازالت تشكل المعين الذى بلور القوة الناعمة المصرية الحديثة، ما يجعلنا نؤكد مجدداً على دعوتنا التى أطلقناها منذ شهور قليلة بجريدة المصرى من ضرورة الاحتفال هذا العام بالذكرى المئوية لثورة 1919 بشكل مختلف يليق بها وبدورها فى صناعة مصر الحديثة، وأنه لايليق أن يكون هذا الاحتفال حكراً على حزب الوفد الذى احتفل فى نوفمبر الماضى بمئوية عيد الجهاد، عندما اجتمعت القيادات المصرية لتعلن الجهاد من أجل الاستقلال، فليس صحيحاً كما كتبت وآخرون عديدون أن هذا الاجتماع التاريخى كان مقصوراً على زعماء الوفد الذى أصبح حزباً فيما بعد، وإنما كان ائتلافاً وطنياً جامعاً قاد إلى مشهد الثورة الجليل، وكان وراءه رأى عام مصرى كاسح شديد الاستياء من الثمن الباهظ الذى دفعه الشعب المصرى فى الحرب العالمية الأولى وسجله الأستاذ الدكتور على الدين هلال فى دوريتنا هذه منذ حوالى شهرين، وهى مسألة لا تنفصل عن مقدمات ثورة 19، وبالنهاية نحن أمام واحدة من أعظم ثورات الاستقلال فى التاريخ، وقف فيها شعب منفرد دون دعم خارجى مشابه مثلا لما فعلته فرنسا مع الثورة الأمريكية، أو مصر ودول عديدة فى ثورة الجزائر، أو الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفيتى وكذا الصين ودول الجنوب فى الثورة الفيتنامية، أو أغلب دول العالم وإفريقيا ضد النظام العنصرى فى بريتوريا، إذا أخذنا كل هذا فى الاعتبار يصبح من الضرورى والواجب أن يكون احتفال مصر هذا العام بهذه الثورة مختلفاً خاصة وأنها الذكرى المئوية ما يقدم الفرصة لإعادة الاعتبار الكامل لهذا الحدث الكبير وأن تتم مراجعة المناهج الدراسية بما يستقيم وهذه المراجعة.

المصالحة الإثيوبية الإريترية والأمن فى البحر الأحمر والقرن الإفريقى

تعتبر منطقة القرن الإفريقى سواء بحدودها الضيقة أو الواسعة، منطقة إستراتيجية، كونها تطل على خليج عدن وتشرف على مضيق باب المندب والبحر الأحمر، وهى منطقة مقابلة لآبار النفط فى شبه الجزيرة العربية والخليج، وملاصقة لإقليم البحيرات العظمى الاستوائية فى وسط إفريقيا (أوغندة- تنزانيا - كينيا - الكونجو - رواندا - بوروندى)، الذى يتميز بغنى موارده المائية والنفطية والمعدنية، ولهذا كانت دائماً هذه المنطقة محل جذب للمتنافسين من مختلف القوى الإقليمية والعالمية.

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

وسميت منطقة القرن الإفريقى بهذا الاسم لأنها تشكل ذلك النتوء البارز من الجانب الشرقى من وسط القارة الإفريقية، كما تطل على بحر العرب وغرب المحيط الهندى وتشكل مع اليمن والصومال وجيبوتى وإريتريا المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى يقف عند مدخله مضيق باب المندب. كما يشير البعض بأن القرن الإفريقى سمى بهذا الاسم لأنه يشبه قرن «وحيد القرن».

كما تدخل أيضاً السودان وجنوب السودان ضمن دول القرن الإفريقى لاعتبارات جيواستراتيجية ولتداخل الحدود والقبائل. وطرحت سوزان رايس مستشارة الأمن القومى الأمريكى عام 1998 فكرة مشروع القرن الإفريقى الكبير فى الفكر الإستراتيجى الأمريكى والذى يتألف من القرن الإفريقى بمعناه الجغرافى والتاريخى بالإضافة إلى السودان (شمالاً وجنوباً)، وامتداداً إلى منطقة البحيرات العظمى الاستوائية (كينيا - تنزانيا- أوغندة - الكونجو الديمقراطية - رواندا - بوروندى).

وتعتبر اليمن دولة من دول القرن الإفريقى بحكم التقارب الجغرافى والتواصل التاريخى من خلال القبائل النازحة إلى شرق إفريقيا عبر العصور منذ انهيار سد مأرب فى القرن السابع قبل الميلاد ونزوح بعض القبائل اليمنية إلى الهضبة الإثيوبية. وقد أكد الرئيس الإريترى أسياس أفورقى عام 1994 فى تصريح له إثر زيارته إلى اليمن، على أن الدائرة الإستراتيجية لمنطقة القرن الإفريقى لا تكتمل من دون اليمن التى ترتبط مع المنطقة بعلاقات حضارية وتاريخية قديمة. كما أن القرن الإفريقى سواء بحدوده الضيقة أو الواسعة، يعتبر منبعاً لنهر النيل، حيث تحصل مصر على 85% من حصتها السنوية من هضبة الحبشة، و15% من البحيرات العظمى.

مراحل المصالحة الإثيوبية - الإريترية:

عشرون عاماً من الخلافات والقطيعة منذ 1998 بين إثيوبيا وإريتريا، أنهتها جهود السعودية والإمارات العربية اللتين رعيتا السلام بين أديس أبابا وأسمرة، لاسيما مع بوادر الإصلاح السياسى التى أطلقها رئيس الوزراء الإثيوبى آبى أحمد، والتفاهم الإريترى لمساعى السلام والوئام لجارتها الإثيوبية.

ويجئ اتفاق السلام بين الجارتين برعاية الرياض وأبوظبى استكمالاً لجهود ومساع انطلقت فى إبريل 2018، وتكللت بخطوات عملية فاعلة على طريق السلام تعهد بها الطرفان بمراعاة كل شروط اتفاق السلام الحدودى والمعروف باتفاق الجزائر عام 2000، حيث أرسل الرئيس الإريترى وفداً إلى أديس أبابا فى شهر يونيو 2018 لإجراء محادثات سلام حول تنفيذ اتفاق الجزائر المتعلق بترسيم الحدود مع إثيوبيا (مثلث بادمى)، وهى الخطوة التى رحبت بها الأمم المتحدة.

- اتفاق السلام فى 9 يوليو 2018:

وقد كانت إثيوبيا وإريتريا على موعد من خلال قمة تاريخية جمعت الرئيس الإريترى أسياس أفورقى ورئيس الوزراء الإثيوبى آبى أحمد، أدت إلى تطبيع العلاقات بين البلدين بعد فترة عشرين عاماً من الخصومة حيث وقع الزعيمان فى 9 يوليو 2018 إعلان سلام وصداقة مشترك.

وجدير بالذكر أن الاتفاقية الموقعة بين طرفى المصالحة تتضمن خمس نقاط على رأسها عودة العلاقات الدبلوماسية التى انقطعت بين الطرفين منذ 1998 وفتح السفارات فى عاصمتى البلدين، وفتح الاتصالات التى كانت مقطوعة طوال فترة الأزمة، وفتح الأجواء الإريترية والإثيوبية أمام خدمات الطيران، واستخدام إثيوبيا الموانئ الإريترية، بالإضافة إلى وقف كافة الأشكال والتحركات العدائية بين البلدين.

الأمم المتحدة وقرار رفع العقوبات عن إريتريا:

عقد مجلس الأمن جلسة يوم الأربعاء 14 نوفمبر 2018 قرر فيها بالإجماع رفع العقوبات المفروضة على إريتريا بعد إبرامها اتفاق سلام مع جارتها إثيوبيا، فضلاً عن عودة الدفء إلى علاقاتها مع جيبوتى. ويجئ قرار مجلس الأمن مقرراً رفع حزمة العقوبات التى فرضها عام 2009 على إريتريا، وذلك بزعم دعم إريتريا لحركات الشباب الإرهابية الصومالية، وهو الاتهام الذى تعلن أسمرة دائماً أنه غير صحيح. ويجئ فرض مجلس الأمن تلك العقوبات على إريتريا أيضاً بحجة عدم الاعتراف بالحكومة الصومالية الفيدرالية الانتقالية، وأيضاً عدم سحب القوات الإريترية من حدودها المشتركة مع جيبوتى خاصة فى منطقة رأس دوميرا. وشملت حزمة العقوبات التى فرضها مجلس الأمن على إريتريا تجميد الأصول المالية، وحظر توريد الأسلحة، ووضع قيود على سفر قادتها دون تسميتهم.

1 - إثيوبيا وقرار رفع العقوبات عن إريتريا:

رحبت إثيوبيا بقرار مجلس الأمن الدولى رفع العقوبات المفروضة على إريتريا واعتبرت أن تلك الخطوة ستسهم فى استقرار منطقة القرن الإفريقى، وبناء سلام دائم بين دول المنطقة، وذكر

رئيس وزراء إثيوبيا أبى أحمد ورئيس إريتريا اسياس أفورقى خلال إعادة افتتاح سفارة إريتريا فى أديس ابابا يوم 16 يوليو

مكتب رئاسة الحكومة الإثيوبية فى بيان أن رفع العقوبات عن إريتريا سوف يعزز أيضاً المكاسب الجماعية التى تحققت فى المنطقة خلال الأشهر الأخيرة.

وهنأت إثيوبيا من خلال البيان شعب وحكومة إريتريا على رفع العقوبات المفروضة عليه منذ عام 2009، وأعرب رئيس الوزراء الإثيوبى آبى أحمد فى بيان صادر عن مكتبه تقديره وشكره لمجلس الأمن الدولى على استجابته السريعة لدعوته رفع العقوبات عن إريتريا.

كما أشاد آبى أحمد بتعاون ومساهمة الدول الأعضاء فى الهيئة الحكومية لتنمية شرق إفريقيا «إيجاد» وخطواتها الإيجابية فى دعم رفع العقوبات عن إريتريا، ودعم التغييرات الإيجابية التى تحدث فى المنطقة. وأكد رئيس الوزراء الإثيوبى التزام بلاده بضمان السلام والتنمية والتعاون الإقليمى مع إريتريا والدول المجاورة الأخرى، مشيراً إلى أن رفع العقوبات عن إريتريا يعد خطوة مهمة نحو تعميق الروابط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تتمتع بها الدولتان الشقيقتان.

2 - الاتحاد الإفريقى وقرار رفع العقوبات عن إريتريا:

رحب الاتحاد الإفريقى الخميس 15 نوفمبر 2018 بقرار مجلس الأمن رفع العقوبات الدولية عن إريتريا، وذكر فى بيان صادر عن رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقى موسى فكى أن الاتحاد يرحب بقرار مجلس الأمن الدولى رفع العقوبات عن إريتريا، واعتبر الاتحاد أن القرار خطوة إيجابية نحو تعزيز التطورات الإيجابية التى تشهدها منطقة القرن الإفريقى، والتى اتسمت خلال الفترة الماضية بتحسين العلاقات بين دول المنطقة، وترقية علاقات حسن الجوار وتعزيز التعاون الإقليمى، وأوضح البيان أن هذه التطورات تسهم بشكل رئيسى فى جهود الاتحاد الإفريقى لإسكات صوت السلاح بحلول العام 2020 والإسراع بخطوات التكامل الإقليمى.

وأعلن رئيس المفوضية تشجيعه لقادة دول المنطقة بمواصلة تعزيز التطورات الإيجابية من خلال اتخاذ كل الخطوات التى تؤدى إلى معالجة القضايا العالقة وتعميق علاقات التعاون بين دول المنطقة من أجل السلام والازدهار المشترك.

3 - الإمارات وقرار رفع العقوبات عن إريتريا:

رحبت وزارة الخارجية والتعاون الدولى الإماراتية فى بيان لها بقرار مجلس الأمن الدولى، رفع العقوبات عن إريتريا، وأشارت بأن القرار جاء ليعزز المصالحات التاريخية التى يشهدها القرن الإفريقى. كما أعربت الإمارات من خلال البيان عن قناعتها بأن القرار حول إريتريا يمثل تطوراً جوهرياً يعزز فرص الاستقرار والتنمية والاستثمار فى إريتريا ومحيطها وينعكس إيجابياً على المنطقة.

4 - مصر وقرار رفع العقوبات عن إريتريا:

رحبت وزارة الخارجية بقرار مجلس الأمن رفع العقوبات عن إريتريا.

الأهمية الجيواستراتيجية لموقع رأس جزيرة دوميرا:

تعطى الأهمية الجيواستراتيجية لموقع رأس دوميرا بعداً إستراتيجياً للصراع الراهن بين جيبوتى وإريتريا حيث لا تنظر إريتريا لهذه المنطقة من زاوية أهميتها فى رسم حدودها مع جيبوتى، وإنما تنظر إليها باعتبارها المحدد الرئيسى لمستقبل جزيرة دوميرا التى تقع على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الأمر الذى سيحدد حتماً علاقة إريتريا بمنطقة باب المندب الإستراتيجية، وهى نفسها العلاقة التى ستحدد أيضاً مصير الموقع الإستراتيجى لدولة إريتريا أمام العالم كنقطة ارتكاز فى نهاية البحر الأحمر وعلى مضيق باب المندب. كما تنظر جيبوتى أيضاً إلى أهمية موقع رأس دوميرا فيما يمثله من أهمية كبيرة فى تعزيز مركزها كنقطة تحكم على مضيق باب المندب، الأمر الذى مازال يميز مجمل العلاقات الإريترية الجيبوتية بحالة من عدم الاستقرار حيث ظلت تتراوح ما بين التوتر والتهدئة والتوجس والشك.

البحث عن منظمة إقليمية للأمن والتعاون للبحر الأحمر والقرن الإفريقى:

إن استقرار إثيوبيا وإريتريا وتقاربهما وانفتاحهما يمثل مفتاحاً لاستقرار العديد من الدول المجاورة والقرن الإفريقى والبحر الأحمر عموماً. حيث توجد هناك منظومة أمنية متكاملة يدخل اليمن فى إطارها لما يملكه من موانئ على البحر الأحمر وخليج عدن وجزيرة سوقطرة، وما تمثله زيادة توسيع رقعة التعاون الإقليمى فى كافة المجالات بين الدول المتشاطئة على البحر الأحمر وباب المندب والقرن الإفريقى تلك المنطقة الممتدة من قناة السويس شمالاً وتشمل البحر الأحمر وباب المندب وبحر العرب لتكون مصر والسودان والسعودية واليمن والإمارات العربية، بالإضافة إلى دول القرن الإفريقى الرئيسية على الساحل الإفريقى وباب المندب وهى إريتريا وإثيوبيا وجيبوتى والصومال المنوط بها هذا التجمع السياسى والأمنى والاقتصادى والثقافى، حيث لا يمكن التغاضى عن الترابط العضوى بين منطقة القرن الإفريقى والساحل الغربى للبحر الأحمر والجزيرة العربية لما يفرضه الموقع الإستراتيجى لتلك الدول من ضرورة التنسيق والتعاون فى كافة الجوانب.

تقدير الموقف السياسى والأمنى للمصالحة فى القرن الإفريقى:

1 - يفتح الاستقبال الحافل الذى حظى به رئيس الوزراء الإثيوبى آبى أحمد فى أسمرة والرئيس الإريترى أسياس أفورقى فى أديس أبابا باباً لتغيرات إستراتيجية مهمة فى منطقة القرن الإفريقى، لا تقتصر فقط على علاقات أديس أبابا وأسمرة معاً. فالتغير السياسى الذى تشهده إثيوبيا حالياً فى ظل آبى أحمد والذى جاء به التحالف الحاكم «الجبهة الثورية الديمقراطية للشعوب الإثيوبية» وهو نفس التحالف الذى يحتكر معظم مقاعد البرلمان، هو نفسه ما أجبر طوعاً رئيس الوزراء السابق ديسالين فى فبراير الماضى 2018 على الاستقالة فى ظل مظاهرات متقطعة وعنيفة استمرت منذ عام 2015 عكست تدهوراً فى بنية النظام الحاكم خاصة بعد وفاة ميليس زيناوى عام 2012 أحد أهم حكام إثيوبيا

المصالحة الإثيوبية الإريترية والآمن فى البحر الأحمر والقرن الأفريقى

منذ الإطاحة بنظام منجستو عام 1991.

2 - لقد اتبع نظام منجستو بعد الإطاحة بالإمبراطور هيلا سيلاسى فى سبتمبر 1974 ثم إعدامه فى 27 أغسطس 1975 نظاماً أوتوقراطياً الغلبة فيه لقومية الأمهرا، ما أدى إلى ازدياد نشاط التنظيمات والقوميات المعارضة فى كافة أنحاء إثيوبيا ومنها جبهة تحرير إريتريا بزعامة أسياس أفورقى، الذى ينحدر من قومية تيجراى إريتريا، والتى ضم إقليمها هيلا سيلاسى عام 1962 بالكامل إلى إثيوبيا ومنها مصوع وعصب والساحل والداخل الإريترى فبلغت إثيوبيا بهذا الضم أقصى اتساع جغرافى لها عبر التاريخ. ثم كان سقوط الحكم الشيوعى عام 1991 وهروب منجستو إلى زيمبابوى كلاجئ سياسى، وظهور ميليس زيناوى وهو من قومية التيجراى مثل أسياس أفورقى، ثم استقلال إريتريا بالساحل عام 1993 وانفصالها الكامل عن إثيوبيا التى عادت دولة حبيسة كما كانت عبر التاريخ، ومنذ عشرات القرون تعانى من عقدة الانغلاق وحاجتها إلى ميناء على الساحل.

3 - كما تتصف التغييرات المتسارعة فى إثيوبيا بعد مجئ آبى أحمد بالشمولية وتؤثر فى ضوابط علاقاتها مع جيرانها خاصة إريتريا والسودان وذلك فى إطار عملية إعادة تشكيل لتوازن القوى فى القرن الإفريقى، وينطلق ذلك من قبول إثيوبيا لإنهاء حالة العداء والتوتر والقبول بالتسوية الخاصة بالحدود، التى سبق للجنة الوساطة الإفريقية ولجنة التحكيم برعاية الأمم المتحدة أن توصلت إليها عام 2000 وأقرت بحق إريتريا فى مثلث بادمى الذى تحتله القوات الإثيوبية منذ 1998. فضلاً عن قبولها بمبادئ تطوير التعاون مع إريتريا اقتصادياً وتجارياً، ومواجهة الوجود المتنامى لقوى غير إفريقية مثل تركيا وإيران فى منطقة القرن الإفريقى. كما وأن فتح الموانئ الإريترية عصب ومصوع أمام إثيوبيا يمثل لها فرصة تاريخية للمشاركة فى جهود الأمن الإقليمى والدولى فى جنوب البحر الأحمر، وفى مواجهة النفوذ الإيرانى والتركى المتزايد فى القرن الإفريقى.

4 - فى نفس الوقت الذى أشارت فيه بعض المصادر لقناعة إثيوبية فى ظل حكم آبى أحمد لأهمية أن يكون لإثيوبيا أسطول بحرى من خلال تواجدها فى عصب ومصوع وهو ما سوف يشكل انقلاباً لأول مرة فى تاريخ إثيوبيا الدولة الحبيسة عبر عشرات القرون منذ عهد ملوك أكسوم فى القرون الأولى للميلاد من خلال الدور الذى كان يلعبه ميناء عدوليس الواقع على البحر الأحمر بالقرب من ميناء مصوع الحالى.

5 - وربما تحن إثيوبيا إلى الاستفادة من دورات التاريخ حيث كانت تجارة هذا الميناء فى ذلك الوقت تتركز فى الذهب والعاج وريش النعام والصمغ العربى من ممالك كوش ومروى والأجزاء الأخرى من قلب إفريقيا، ويتم الاتجار فى هذه السلع مع مصر واليونان والروم البيزنطيين وفارس والهند وسيلان، حيث كانت مملكة أكسوم خاصة فى ظل أهم ملوكها فى القرن الرابع الميلادى الملك عيزانا والذى ترجع شهرته بأنه أدخل المسيحية كديانة رسمية على المذهب الأرثوذكسى إلى مملكة أكسوم، وكانت مملكته تشمل الأماكن الحالية من بحيرة تانا وأجزاء من نهر عطبرة والنيل الأزرق والأجزاء الممتدة شمالاً وجنوباً من ميناء مصوع الحالى، واستمر هذا الوضع حتى جاء المسلمون فى القرن السابع الميلادى حيث حالت الديانة الجديدة بعد انتشارها دون الاتصال بين أكسوم وحليفتها الدولة البيزنطية فى القسطنطينية ما أفقدها القوة والنفوذ، وكان لسيطرة العرب على أرخبيل جزر دهلك وموقع ميناء عصب الحالى والطرق التجارية الأمر الذى أدى إلى تحول البحر الأحمر إلى بحيرة عربية، ثم كان زحف القبائل الوثنية إلى الهضبة رويداً رويداً ما أدى إلى اكتمال الحلقة باختفاء أكسوم فيما ظلت ديانتها المسيحية فقط.

المصالحة الإثيوبية الإيريترية تلم شمل العائلات

6 - أيضاً ربما يحقق التقارب بين إريتريا وإثيوبيا مكاسب إستراتيجية مهمة لأسياس أفورقى منذ فترة الكفاح ضد منجستو حيث شكلت قومية التيجراى التى تجمعه مع ميليس زيناوى قناعة بأن مستقبل إريتريا يرتبط بوحدة عنصر التيجراى فى إريتريا وإثيوبيا خاصة وأن قومية التيجراى هى المسيطرة منذ 1991 عهد ميليس زيناوى وحتى الآن على مفاصل الدولة الإثيوبية، مع القلق الإريترى من زيادة وتنامى المد الإسلامى الشيعى المتمثل فى إيران، وأيضاً النفوذ التركى المتصاعد فى الصومال والسودان وجيبوتى، ومخاطره فى زيادة حدة التوتر وتصاعد القلق فى منطقة القرن الإفريقى.

7 - ويتلاقى القلق الإريترى والإثيوبى مع تطلعات السعودية والإمارات فى ضرورة تحجيم الدور والنفوذ الإيرانى والتركى فى منطقة جنوب البحر الأحمر والقرن الإفريقى وهو ما ينعكس إيجاباً على المصالح المستقبلية لمصر، ويؤدى إلى بلورة خريطة قوى دولية جديدة فى القرن الإفريقى والبحر الأحمر، تكون مصر عنصراً فاعلاً فيها، فتاريخياً مصر متواجدة فى موانئ البحر الأحمر من السويس شمالاً حتى عيذاب وسواكن ومصوع وعصب وزيلع وبربرة على مضيق باب المندب والمحيط الهندى بل وحتى هرر وشوا بالداخل الإثيوبى.

8 - وتشهد منطقة شرق إفريقيا تحولاً جيوسياسياً مفاجئاً، وحدثاً إقليمياً دولياً قد يغير القواعد الجيوإستراتيجية فى المنطقة. فالقطيعة الصارمة التى ميزت العلاقات الإثيوبية الإريترية طوال عشرين عاماً منذ 1998 انتهت يوم الاثنين

2018/7/9 فى العاصمة الإريترية أسمرة بمشهد الرئيس أفورقى الذى يحكم منذ 1993 حتى الآن أى قرابة ربع قرن يعانق رئيس الوزراء الإثيوبى الجديد آبى أحمد لتبدأ مرحلة جديدة من المصالحة والتعاون. كما تأتى اتفاقية المصالحة بين إثيوبيا وإريتريا فى ظل تحولات سياسية وصراعات إقليمية تتسابق فيها المصالح المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالأوضاع فى شرق إفريقيا مدفوعة بالتخطيط لاهتمامات قوى عالمية وإقليمية مثل الولايات المتحدة والسعودية والإمارات العربية ومصر بحثاً عن مستقبل أشمل للمنطقة.

9 - ولم يأت القرار الإثيوبى فى عقد المصالحة مع الجارة إريتريا من فراغ، فالولايات المتحدة تسعى منذ فترة فى الضغط على إثيوبيا لاختيار رئيس وزراء من قومية غير التيجراى التى لا تشكل أكثر من 12% من مكونات شعوب إثيوبيا، وتتحكم فى دفة الحكم منذ عهد ميليس زيناوى فى 1991 وهو من قومية التيجراى، وحتى العام 2018 أى قرابة ربع قرن تتحكم فيها قومية التيجراى فى مفاصل الدولة الإثيوبية الأمر الذى تسبب فى ثورات سخط واحتجاج وأعمال شغب وعنف زادت خلال السنوات الثلاث الأخيرة منذ 2015، ولم تتوقف حتى تمت التهدئة أخيراً بصعود آبى أحمد من قومية الأورومو وهى تشكل حوالى 50% من المكونات الإثيوبية، حيث تليها قومية الأمهرا المسيطرة دائماً خلال عهود الإمبراطورية وفترة حكم منجستو حتى 1991 وهى تشكل حوالى 20% من السكان إلا أنها تعتبر نفسها سليلة الأسر الحاكمة منذ قرون أيام عهد مملكة أكسوم فضلاً عن لغتها الأمهرية وديانتها المسيحية الأرثوذكسية. هذا فضلاً عن القوميات الأخرى مثل قومية الصوماليين بالأوجادين، وقبائل تنحدر من أصول عربية فى بنى شنقول وشعوب الجنوب الإفريقية الأخرى.

10 - ويأتى تنصيب آبى أحمد وهو أورومى الأصل من أب مسلم وأم مسيحية وزوجة مسيحية كرئيس وزراء يعد الشعب بالكثير من التغييرات، وذلك فى محاولة لوقف سياسات التيجراى التى أدت إلى إغراق إثيوبيا بدوامة الثورات الداخلية واستنزاف طاقاتها فى التوتر الحدودى المتواصل مع جارتها إريتريا، فضلاً عن تأثير هذا الانشغال فى درجة تدخلها فى الصراع مع الصومال الذى يحظى باهتمام عسكرى أمريكى متزايد خلال السنوات الأخيرة. فجاء آبى أحمد بمباركة غربية وعربية خليجية ليحول التركيز الإثيوبى على التحرر من سياسة التيجراى المنغلقة والانفتاح أكثر على الداخل الإثيوبى.

11 - ويجئ تحول نظر رئيس الوزراء الإثيوبى الجديد آبى أحمد إلى الجوار وتحديداً جبهة إريتريا، واضعاً نصب عينيه ما تهدف إليه المصالحة معها من مكاسب سياسية واقتصادية، حيث إنه حرر إثيوبيا بهذا الاتفاق التاريخى مع إريتريا يوم 2018/7/9 من الارتباط المصيرى بميناء جيبوتى الأعلى تكلفة، والذى يقع تحت مراقبة عدة دول لها قواعد عسكرية فى جيبوتى والمنطقة مستفيداً من مينائى عصب ومصوع الإريتريين وهى من أهم الموانئ على البحر الأحمر، بل أصبح طموح آبى أحمد يصل إلى حد التخطيط لصناعة أسطول بحرى لإثيوبيا يعزز قدرتها العسكرية البرية والجوية وذلك فى مواجهة عقبة الائتلاف الحاكم الذى تعتمد تركيبته الحاكمة منذ عقود على سياسات حزب جبهة تحرير شعب التيجراى التى كان يرأسها الزعيم الإثيوبى الراحل ميليس زيناوى، خاصة وأن الجناح المتشدد فيها يقبل آبى أحمد كرئيس وزراء تحت ضغط موجة الثورات الداخلية واستجابة للضغوط الأمريكية وغيرها.

12 - لقد جاء وصف صحيفة الجارديان البريطانية تحركات آبى أحمد بأنه نيلسون مانديلا إثيوبيا حيث استطاع تنفيذ برامج إصلاح قلبت موازين السياسة فى البلد الإفريقى الكبير إثيوبيا، وخاصة مسعاه للتطبيع مع إريتريا العدو القديم، وتحركاته الداخلية والخارجية للوصول إلى الاستقرار السياسى والاقتصادى على طريق طويل ملئ بالعقبات والمخاطر، واعتبار البعض أن محاولة الاغتيال التى تعرض لها فى 2018/6/23 عبارة عن تمثيلية مدروسة تاريخياً فى محاولة لكسب شعبية أكبر مهدداً منافسيه ومعارضيه فى الحكم، مع حيازته لاهتمام دولى ليمضى بقوة فى الاتجاه الذى يريده.

13 - وقد صرح آبى أحمد فى منتصف نوفمبر 2018 بأن أعداد المتورطين بجرائم فساد على مر الإدارات السياسية السابقة باتت تستوجب تشييد منشأة خاصة بهم قائلاً «السجون التى لدينا فى إثيوبيا ليست كافية لاستيعاب هذا العدد الهائل من المجرمين». وكانت سلطات إثيوبيا قد اعتقلت 63 مسئولاً بأجهزة المخابرات والجيش، بالإضافة إلى عدد من رجال الأعمال بسبب الاشتباه فى تورطهم بجرائم فساد.

14 - إن نجاح التطبيع بين أديس أبابا وأسمرة، وإنهاء النزاع الحدودى الذى استمر عشرون عاماً، سينعكس على مجمل التطورات فى الإقليم حيث سيقود بالضرورة إلى تحسين الوضع فى الصومال بتوقف الحرب التى كان يديرها الطرفان الإثيوبى والإريترى على الأرض الصومالية، كما سيقود بالتالى إلى تقليل حدة الاستقطاب بين دول المنطقة، أيضاً سيشهد الوضع فى القرن الإفريقى متغيرات تهدف فى الأساس إلى إعادة ترتيب المنطقة بشكل ينهى الصراعات بين دولها لصالح التعاون، كما سيؤثر التقارب الإثيوبى الإريترى بشكل كبير فى الهدف العالمى المتعلق بمكافحة الإرهاب والاتجار بالبشر. كما وأن هذا التقارب بالمثل لا يستثنى السودان ومصر، وأن الفكرة العامة لهذا التحول فى القرن الإفريقى هى التهدئة بين الدول المؤثرة فيه والإبقاء على تماسكها الداخلى وتطبيع العلاقات بينها لإبعادها عن أية توترات تجعل المنطقة معرضة لاستيطان الإرهاب، وأن الأمر برمته يصبح تعظيماً للمصالح ومنعاً للتدخلات الأجنبية السالبة، والتسابق الإقليمى والدولى للسيطرة على المنطقة من خلال التكالب على موانئ القرن الإفريقى.

15 - وتعتبر التسوية الإريترية الإثيوبية مدخلاً سياسياً للتقليل من حدة ما توصف به منطقة القرن الإفريقى عند الدوائر الغربية بأنها المنطقة الموبوءة بالنزاعات والمسكونة بالأصولية الإسلامية والإرهاب والحروب الأهلية والصراعات العنيفة على السلطة، وانهيار مشروع الدولة الوطنية والكوارث الطبيعية، بالإضافة إلى التهريب والقرصنة، ومشاكل مصادر المياه، والهجرة غير الشرعية وغيرها فضلاً عن عوامل التداخل السكانى والاختلاط العرقى ونقص الغذاء والزحف الصحراوى والجفاف الذى يضرب المنطقة ويجعلها الأكثر تأثراً بتداعيات الكوارث الطبيعية من مجاعات مروعة ونزوح سكانى غير مسبوق ما يجعل المنطقة من أكثر بؤر التوتر فى العالم، وكلها عوامل تساهم مجتمعة فى تجدد النزاعات الحدودية التى تنفجر من وقت لآخر بين دول المنطقة ولا تتوقف دون أن تتحول إلى مواجهات عسكرية دامية بين الأطراف المتنازعة. ومن هذه النزاعات الحدودية، النزاع التاريخى بين الصومال وإثيوبيا نتيجة ضم الإمبراطور الإثيوبى هيلا سيلاسى لإقليم الأوجادين الصومالى عام 1950، حيث تسبب النزاع بين الصومال وإثيوبيا فى اندلاع حرب مدمرة بين البلدين عام 1977، وأيضاً النزاع الذى تمت تسويته مؤخراً بين إثيوبيا وإريتريا فى منطقة بادمى خلال المصالحة التاريخية الأخيرة يوم 2018/7/9، بالإضافة إلى النزاع الحدودى بين جيبوتى وإريتريا على رأس دوميرا الذى لم تتم تسويته حتى الآن.

ميدان التحرير من ميدان التحرير

تتضارب وتتباين أقوال المحللين حول ما حـــدث يوم 25 يناير وما بعدها، فبعضهم يدعى أنها كانت كلها حركة شعبية صرفة نتيجة للظلم والاستبداد والرغبة فى التوريث، والبعض الآخـــر يزعم أن ما حدث كان تحركاً إخوانيـــاً بالتحالف مع بعض القوى التى تحالفت مع الإخوان ككفاية و6 إبريل وبعض الشباب المضلل.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

ونظـــراً لتواجـــدى معظم هذه الفترة فى قلب ميدان التحرير، بحكم عملى بمعهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية فى ميدان التحرير، فقد رأيت أن أسجل ما رأيت وسمعت بنفسى دون نقل أى أحداث سمعت عنها ولم أرها:

يقع معهد الدراســـات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية فى قلب ميدان التحريـــر، وقـــد عينت للمـــرة الثانية مديراً للمعهد أول ســـبتمبر 2010 عند عودتى من الخارج وحتى أول سبتمبر 2012 لتسلم عملى سفيراً فى أوكرانيا، وبالتالى فقد حضرت ومعى كل أبنائى الملحقيـــن بالمعهد وقتهـــا وزملائى أعضـــاء المعهد كل أحـــداث يناير وما بعدها لمدة عامين. وشـــاهدت معظم المظاهرات مـــن موقعى داخل المعهد، ولمســـنا التطورات التـــى طرأت على الميدان ماعدا فترة بسيطة جداً بعد أن سيطر الإخوان والسلفيون على الميدان وخصوصـــاً على مســـجد عمر مكرم والمنطقة المحيطة بـــه ومنها مداخل الوزارة، ومحاولتهم التحرش وتفتيش الداخلين والخارجين من المعهد. ولذلك فقـــد قمنا بخلع اللوحـــات التى تحمل اسم المعهد ووزارة الخارجية من على المعهد منعاً للاستفزاز، وأشعنا أن هذا المقر تابع لوزارة الدفـــاع حتى نمنع اقتحامه واحتلاله، ونقلت الدراسة إلى مبنى ماســـبيرو لفترة بسيطة حتى تم تأمين المعهد والطريق إليه.

وقد لاحظت فـــى الفترة الأولى من الأحداث أن المحتشـــدين فى الميدان كانوا من الشباب الودود المحترم الواعى حتى كان يوم 28، حيث لاحظنا تجمع شـــراذم من كل الاتجاهات يغلب عليها الإخوان والســـلفيون وظهـــرت وجوه غريبة جداً واضح أنها شرسة ومتمرسة فى الإجـــرام، وحاولـــوا خطف إحدى زميلاتنـــا من النابهـــات لولا مجموعة محترمة من الشباب تصدوا للدفاع عنها باستماتة قائلين للبلطجية لن تحصلوا عليها إلا على جثثنا واستطاعوا إنقاذها وإعادتها سالمة.

وشـــاهدنا المحـــاولات المتعددة لاقتحام وزارة الداخلية وإطلاق الغازات المســـيلة للدموع التـــى جعلتنا نبكى ونختنق داخـــل مكاتبنا، مصممين على مواصلـــة العمل رغـــم كل المصاعب والمخاطر على أرواحنا وسياراتنا.

وأيضاً حضرت كيف تحول الميدان من موقـــع للخدمة العامـــة إلى إغلاق مجمع التحرير ووضع لافتة عليه «مغلق بأمـــر المتظاهريـــن»، وكأن المواطن تنقصه أعبـــاء حتى يمنـــع من إنجاز أعماله فى المجمع من جوازات ســـفر وتعليم ومبعوثين ومعظـــم المصالح الحكومية، بالإضافة إلى سيطرة الباعة الجائلين على الميدان وأصبح الشـــراء منهم إتاوة تفـــرض على المارة بالقوة، كما ظهرت عدة حالات لاغتصاب جماعى وسرقات بالإكراه، وقد تمت سرقة بعض من تصـــادف مرورهم أمام مبنى قصر الخارجية بالتحرير بواســـطة مجموعة من المشـــبوهين المتكتلين حتى تتوه الجريمة بينهم. وقـــد وقعت بالميدان أحداث جســـيمة كموقعة الجمل وقتل المتظاهريـــن من أعلـــى بعض مبانى ميـــدان التحرير، ولكننا لـــم نعلم من القاتـــل ومن المقتـــول إلا من تكهنات وإشاعات وسائل الإعلام وأقوال بعض المتواجدين فى الميـــدان وبالتالى فلن نرددها.

وقد أســـتطيع الجزم بـــأن مبارك وأولاده أثاروا سخط أبناء الشعب من كل الطبقات ماعدا المستفيدين، وقد هيأ ذلك الفرصة لعناصر متطرفة ومنظمة لبث الشائعات وحشد المتظاهرين والاختباء وســـطهم لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة لإســـقاط الدولة، كما كان تأخر مبارك فى الاســـتجابة لمطالـــب المتظاهرين دافعاً لتصاعـــد مطالبهم حتى وصلت إلى المطالبة بإسقاط النظام ولم تكتف باستقالة مبارك.

ورغم تخلـــى مبارك فـــى نهاية المطاف عن الحكـــم إلا أن الميدان لم يهدأ بتولى المجلس العسكرى الحكم، وظلت بعـــض العناصر المصممة على إسقاط الجيش بعد أن أسقطت الرئيس والشـــرطة، ورغم تواجـــد بعض كبار القادة بين المتظاهريـــن من آن لآخر لطمأنتهم تحت شعار «الجيش والشعب إيد واحـــدة»، إلا أن العناصر المحرضة

الدفعة42 من خريجى معهد الدراسات الدبلوماسية هى أكثر الدفعات معاناة من اضرابات الميدان وتليها الدفعة 43

سعت للدفع إلى الوقيعة بين الجيش والمتظاهرين لأى سبب واهٍ أو بحجة قتل متظاهر هم مَن قتلوه فى الغالب، وظهر مصطلح الطرف الثالث وهو أن هناك قاتلاً خفياً يسعى إلى إشعال التوتر بين الجيش والمتظاهرين فيقتل شخصاً من هنا وشخصاً من هناك حتى لا يسود الهدوء فى الميدان.

وفى هذه الفترة سيطر الإخوان بالكامل على أجزاء كبيرة من الميدان وأقاموا حواجز لتفتيش الداخلين إلى الميدان، وبدأت بعد ذلك الدعاية للتصويت على تعديلات الإخوان على الدستور والتى تمت فى وقت المجلس العسكرى، وكانت هناك حملات إعلامية مكثفة فى الميدان للدعاية لتلك التعديلات، وبعدها تم الإعلان عن انتخابات الرئاسة والتى كانت جولة الإعادة فيها بين الفريق أحمد شفيق ومحمد مرسى، ووضح فيها تماماً سيطرة الإخوان على لجان الانتخابات سواء فى الداخل أو فى الخارج. وبعد أن فاز مرسى وقام بحلف اليمين أمام تكتل كبير من أتباعه والمتظاهرين بدأ الميدان فى الهدوء وانصرف المتظاهرون كل إلى سبيله حتى عاد الميدان إلى طبيعته ككتلة نشاط، وانتشر الشباب فى أنحاء الميدان للقيام بأعمال النظافة والدهانات بشكل أعاد الميدان إلى رونقه وأعطى صورة محترمة للشباب المصرى.

وبعد عدة سنوات وفى نهاية 2013 أول 2014 شاهدت نفس السيناريو يتكرر ثانية بتفاصيله حينما كنت سفيراً فى أوكرانيا، حيث شاهدت المتظاهرين فى ميدان الاستقلال بكييف وشاهدت القناصة على الأسطح يقتلون المتظاهرين من الطرفين من حرس الرئيس ومن المتظاهرين العاديين، مما أشعل أزمة بين الطرفين، ثم بعد فترة اتضح أن المخابرات الأمريكية والسيناتور المتآمر الراحل جون ماكين كان هو المخطط الرئيسى لما حدث فى أوكرانيا، وأن السفارة الأمريكية فى كييف كانت المايسترو الذى نجح فى الإطاحة بالرئيس السابق يانوكوفيش، ونشر الروس تسجيلات صوتية لمكالمات هاتفية بين السفير الأمريكى فى كييف وبين فيكتوريا نولاند مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية، وضح فيها حجم هذه المؤامرة التى تعرضت لها أوكرانيا بما فى ذلك تفضيلات الخارجية الأمريكية لشخصيات تدفعها لتتولى وزارات معينة.

وبعد هذه الفترة وبتطابق السيناريو الأوكرانى مع السيناريو المصرى فقد يتضح لنا المخطط الرئيسى لما حدث، وقد يكون استغل بعض الشباب الأبرياء ودفعهم وحركهم بشكل مدروس إلى الاتجاه الذى أراده لوصول الجماعة الإرهابية لموقعها فى حكم البلاد.

الثـورة فى التاريخ

ســـــادت عصر التنوير الأوروبى أفكار وعلوم جديدة، بزغ فيها نجم روســـو، ولوك، وفولتير، كتبوا فى العقد الاجتماعى، الدســـتور، المفاهيم الإنسانية المقدسة (الحرية، والمساواة، والإخاء)، وفصل الدين عن الدولة، أفكاراً جذابة جميلة، رأى الناس فيها الحل لمشاكلهم، الحلم الكامل لدولة أفلاطونية. والتى لم يكف المفكرون المتنورون عن المناداة بها، ورددها الشـــعب الفرنسى الفقير محدود التعليم من ورائهم. ولكن كان ينقص الفكرة الكاملة التطبيق.

سكرتير أول: أحمد أبوالمجد

almagd@aucegypt.edu

لم يعـــر الملك لويـــس الـ 16 فى فرنســـا اهتماماً لنداء الفقـــراء، حتى جاءت اللحظة، فبعد أن زاد الفقر، وكان أبسط حلول الملك ورجاله للمشكلة هو القهر والسجن، ارتفع سعر لقمة حياة معظم سكان فرنسا آنذاك «الخبز» حتى أن قيل أن الناس كانوا يقتلون بعضهم دفاعاً عن خبزهم. كان الوضع يشـــرف على الانفجار حتى ظهـــر الزناد الذى سيفجرها «ماكسملين روبسبيير».

كان شاباً نبيلاً يؤمن بالثورة، مفوهاً خطيباً، لا يقرأ مـــن ورقة، ولا يخطىء تعبيراً، كان محامياً وفيلســـوفاً، يؤمن بأفكار روسو وفولتير إلى ما لا حدود، يسعى لإرساء الديمقراطية على أساس من العدالة الاجتماعية.

خطب فى النـــاس، حفزهم فقامت شـــرارة الثورة الأولى وهجم الشـــعب الفقير على رمز القمع الأكبر، ســـجن الباســـتيل، حتى إنهم فى عام 1789 أزالوه بأيديهم حجراً حجراً، فالشـــعب مغلول شـــبت فـــى صدره نـــار الغل والكبرياء فى آن واحد.

كان روبســـبيير صاحـــب فكرة القبض على لويس الســـادس عشـــر وزوجته مـــارى أنطوانيت ليحضرا إلى باريس، وإجبارهما على صيغة جديدة للحكـــم. أراد للثورة أن تنجح، ولكن لم يرغب أبداً فى تحقيـــق ذلك من خلال الإذلال أو القهر، ظـــن أن الثورة يمكن أن تستمر رومانسية، نبيلة، لم يدرك أن الثورة فى أبسط تعريفاتها نهر هادر أو زلزال ثائر، فهى فوضى تأتى بعد طول انتظار، حتى وإن كان لها عقل يدبرها، فالجوع والفقر سيســـيطران عليها لا محالة.

عارض روبسبيير العنف، والمحاكم العامة حتى أنـــه كان لا يؤمن بعقوبة الإعدام، فالحياة ملـــك لله، بل وعارض معاداة الدول المجـــاورة التى كانت - بطبيعة الحال - لا تريد للثورة أن تنجح خوفاً من أن تأتيهم عواقبها، ولكن كأى ثورة، وحالة فوضـــى قامت ضد ظلم، خرجت الثورة الفرنسية عن السيطرة، وتعجل الشعب فى طلب حقوقه، وظن أن هناك عصى ســـحرية لدى القيادة الجديدة، وشاعت الفوضى والشائعات، فخافت حكومة الثورة أن تخرج الأمور عن الســـيطرة، فبدأت تتعامل بشـــدة مع من أســـمتهم بأعداء الثورة، وكان روبســـبيير نفســـه الحالم النبيل، أول القســـاة الذين تغير لون جلدهم دفاعاً عن مصلحته، ومصلحـــة الثورة، فبدأ بالتشدد ونزل على رغبة شعبه الغاضب وضحى بدولة القانون بأن بدأ أولاً فى

لويس السادس عشر

المغالاة فى محاكمة العائلة المالكة، واستغل أخطاء لويس وأسرته فى محاولتهم للدفاع عن ملكهم، وفى أول مناسبة أعدمه ومن ورائه أسرته بمن فيهم أطفالهم عقاباً على تهم كثيرة، لم يرتكبوا معظمها، حتى قيل إن من ضمن تهم مارى أنطوانيت الظالمة الكثيرة أنها كانت تزنى سفاحاً، فأى ظلم يمكن أن يأتى بعد ذلك، وبالرغم من إرضاء نزوات الشعب الغاضب وإعدام الأسرة الملكية التى طالما كانت رمزاً للظلم، إلا أن الوضع لم يستقر إلا شهوراً، وكأى فوضى غالى الناس فى طلباتهم، فبدأت دعاوى الانتقام والظلم، ودفعت قيادات الثورة بفكرة أن للثورة أعداء تعيق تحقيق أحلام الفقراء، ومن أشهر أمثلة تلك الأفكار كتابات «مارا» صحفى الثورة الثائر المتطرف، عندما نشر مقاله الشهير «مزيداً من التطهير مزيداً من القتل» وقد واكب تلك الدعوات المتطرفة هجوم دول بروسيا والنمسا على فرنسا، واحتلال بريطانيا لمدينة تولوز استغلالاً للفوضى الفرنسية، كانت الثورة فى خطر، فكان لابد من تحفيز الفقراء، وشغلهم عن إخفاق الثورة فى تحقيق أحلامهم، فأطلق روبسبيير دعاوى الدفاع عن الثورة، دخلت البلاد فى حروب أهلية، مات الآلاف. كان أول المتذمرين، الفلاحون الذين فضلوا الاستقرار لكى يزرعوا أراضيهم على تلك الأحلام النبيلة الخالدة بديمقراطية يعيش فيها الإنسان مثل أخيه الإنسان، فتمردوا، واستغل تمردهم نبلاء الماضى، وكانت النتيجة حرباً أهلية مات فيها حوالى مائتى ألف، بعد ما قرر جيش الثورة إخماد التمرد فى مهده وسميت المأساة «حروب فُندى». وفى خلال ثلاث سنوات فقط من ذلك الحلم النبيل بثورة تعيد الكرامة والعدل، كانت فرنسا أكثر الأماكن على الأرض ظلماً ولم تكف «الجولوتين» أو المقصلة عن قطع الرؤوس وكان الناس يصيحون فرحاً بالرغم من هول المشهد الدموى، حتى قيل إن ساحة المقصلة أيام تنفيذ الأحكام كانت أهم أماكن متنزهات الأسرة والأطفال، تماماً مثل ألعاب الكالسيوم الدموية إبان الإمبراطورية الرومانية، شىء لا يصدقه عقل، فكيف للثورة النبيلة، الرومانسية التى وعدت الناس بالعدل والمساواة والإخاء أن تتحول لساحة لقطع الرؤوس وظلم النساء والأطفال «أعداء الثورة».

لم يكف روبسبيير عن المغالاة فى تطرفه، حتى قيل إنه فقد عقله، لم يتورع عن قتل أصدقائه بدعوى حماية الثورة، لم يتورع عن اتخاذ القتل وسيلة طبيعية ويومية لحماية «الفوضى»، حتى أن المؤرخ فرانسوا فوريه فى عام 1927 قال « كان الفقر يلتهم العدل الذى يعد به روبسبيير» فالفقر والجهل صفات دنيئة، لا يمكن لها أن تعيش مع عائلة نبيلة مثل العدل والمساواة.

وضع روبسبيير أصدقاءه ورفاق ثورته «الجرونيديين» على المقصلة عملاً بالمثل الشائع «اتغدى بيهم قبل ما أن يتعشوا بيك» لأنهم كانوا ربما سيفعلون ذلك فيه. كان الخوف والفوضى من غير حدود.

بعد سنوات من الرعب سميت فى التاريخ « فترة حكم الخوف والإرهاب» جاءت المحاكمة الإلهية الأسمى، فكما تدين تدان، ففى يوليو 1794 وبعد خمس سنوات من ثورة عارمة، وقتل مستمر، وظلم لم تعرف فرنسا مثله حتى يومنا هذا، خطب روبسبيير يوماً فى لجنة حماية الثورة، وبُخطبة

ماكسميليان روبسبيير

يشوبها الدهاء والخبث، حاول أن يبث الرعب فى قلوب الحاضرين، وكعادة أية ثورة وليدة تريد البقاء فى السلطة، صرح روبسبيير بأنه على وشك الكشف عن ثورة مضادة، أعداء متآمرين على الثورة النبيلة، وأنه يحمل ورقة فيها أسماؤهم فخاف كل حاضر أن يكون اسمه فيها، فقرروا أن يسبقوه، وانقلب عليه البعض وقبضوا عليه، لمحاكمته بنفس التهم، والغريب والعجيب، أنه وفى ظروف احتجازه، قيل أنه حاول الانتحار خوفاً من ويلات العذاب الذى سيسبق المقصلة، فأطلق على نفسه رصاصة أصابته فى فكه، فلم تقتله ولكنها أعجزته عن الكلام، فتحول خطيب فرنسا الأكبر لأبكم لا يقوى على الدفاع عن نفسه أمام المحكمة، تماماً مثلما أخرس أصدقاءه، فلم يدافعوا عن أنفسهم. كان من عجيب القدر أن روبسبيير الذى لم يقرأ من ورقة تحول إلى عاجز أبكم، بل ويتألم من جروحه حتى أنه تمنى الموت بسرعة، وحكم عليه فى محكمة هزلية، كمثل تلك التى أشرف عليها للتخلص مِن مَن أسماهم «أعداء الثورة»، بأن تقطع رقبته فى 28 يوليو 1794. بعد أيام طويلة من العذاب طارت رأسه وصاح نفس الفقراء والجهلاء، الذين ساندوه يوماً، فرحين بإعدام عدو جديد من أعداء الثورة.

مصر والتجربة الصينية

إكتسبت زيارات السيد الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى الصين واجتماعات سيادته المهمة مع الرئيس الصيني عدة مرات أهمية كبيرة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً وفي إطار الانفتاح على العالم وكذلك في ضوء نجاحات التحرك الدبلوماسي المصري عربياً وإفريقياً وآسيوياً وأوروبياً فضلاً عن العمل من أجل توثيق عرى الصداقة والمصالح الإستراتيجية مع الولايات المتحدة في نفس الوقت .

سفير يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

وقد حققت الصين نجاحا فى دخول المرحلة الحالية بعمق وحكمة وهدوء فى حلبة القطبية المتعددة الأقطاب على المستوى الدولى على الأقل اقتصادياً مع الولايات المتحدة الأمريكية وتحافظ على ذلك على الرغم من تجدد الحرب التجارية والتعريفات الجمركية والمنافسة الأمريكية الصينية من حين لآخر وتعميقها فى مناطق نفوذ بينهما واتفاق الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة وهما الحزب الجمهورى والحزب الديمقراطى على مواجهة تحدى التنين الصينى رغم التنافس الشديد والانقسام فى الرأى بين هذين الحزبين على المستوى الداخلى فى الولايات المتحدة، وسوف يزيد ذلك من الجدل حول السعى لإقامة نظام دولى متعدد الأقطاب.

•فى إطار محاولتى اقتراح بعض الأفكار والخبرات من واقع خدمتى الدبلوماسية فى أديس أبابا ولندن وبروكسل وموسكو وغيرها للمساهمة فى مشروع عملية التحديث وبناء مصر الحديثة فى كافة المجالات من جانب ورصد نجاح التجربة الصينية من جانب آخر للاستفادة منها وتدعيم العلاقات المصرية الصينية، أخذاً فى الاعتبار أن لكل دولة خصوصيتها، وأن عملية التقدم ليست روشتة فإن التجربة الصينية ونجاحاتها تبرز فى عدة مؤشرات منها فى رأيى الآتى:

أولاً: قدرة هذه الدولة العظيمة على امتلاك كافة مقاييس القوة العظمى ومعاييرها خاصة القيادة والسيطرة بما فى ذلك القوة الصينية الناعمة المتنوعة والتلاحم بين القيادة والشعب واستحواذها على المركز الثانى على الصعيد الاقتصادى على المستوى الدولى منذ بضع سنوات.

وثانياً: اتباع القيادة الصينية نهج الإدارة الرشيدة بكافة أبعادها وفقاً للتعريف الذى وضعه برنامج الأمم المتحدة للتنمية.

ثالثاً: تبنى الصين إستراتيجية قوية من أجل الرصد الدقيق ومكافحة الفساد.

رابعاً: العمل من أجل تقوية مؤسسات الدولة والحفاظ على الأمن القومى الصينى وإعلاء قيم المواطنة

خامساً: القدرة على الإصلاح والانفتاح السياسى داخلياً وإقليمياً وعلى مستوى الاقتصاد العالمى خاصة منذ السبعينات وإحداث عملية نمو اقتصادى حوالى تسعة فى المائة سنوياً فى العقود الثلاثة الماضية وأصبحت الصين ثانى أكبر قوة اقتصادية فى العالم.

سادساً: إحياء وتدعيم طريق الحرير الذى يمثل مساراً إستراتيجياً واقتصادياً وحضارياً مهماً لتدعيم العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقات الصين مع دول كثيرة خاصة مع مصر وإفريقيا.

ومن المثير للدهشة أن الناتج المحلى الإجمالى الصينى فى يوم واحد من عام ٢٠٠٨ يوازى حجم الناتج المحلى للصين فى السنة قبل ثلاثة عقود وتحقيق فائض مالى كبير ويشترون قطاعاً كبيراً من السندات فى الخزانة الأمريكية.

•نجحت السياسات الإصلاحية فى الصين فى رفع مستوى معيشة المواطن الصينى والخدمات التى يحصل عليها فى التعليم والصحة واكتساب وصنع واستيعاب وابتكار التكنولوجيا فى مجالات عديدة وناجحة على مستوى العالم.

كما تشهد الصين حالياً نهضة صناعية وزراعية وعسكرية فضلاً عن تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الأمر الذى قد يجعلها فى تقديرى القوة الاقتصادية عالمياً قريباً والقوة العظمى عسكرياً على صعيد توازن القوى الثنائى على مستوى العالم، قد يكون فى حوالى عام ٢٠٢٥على ضوء متابعتنا لعمليات الإنفاق العسكرى الصينى والأمريكى فى الفترة الحالية وبضع سنوات ماضية ومشروعات الصين العملاقة على مستوى العالم.

وفى رأيى أن هناك عوامل متوفرة لدى مصر والصين تساعد على دعم التعاون فى كافة المجالات وتوثيق عرى الصداقة خاصة الاقتصادية ومن ذلك:

* أن الدولتين تتمتعان بحضارة عظيمة تضرب جذورها وأعماقها عبر التاريخ وتمتد حتى الآن وتمثل قوة ناعمة لنهضتيهما وتدعيم علاقات الصداقة بينهما.

* إن من عوامل التشابه المفيدة للبلدين وجود سوق كبير ويتميز السوق المصرى بأنه الطريق إلى إأفريقيا والدول العربية وتوفر العمالة الرخيصة الماهرة فى البلدين.

* كما أن مصر توفر تسهيلات للاستثمار وتعتبر سوقاً جاذباً للاستثمارات فى البنية التحتية وتكنولوجيا الاتصالات والسياحة واستخراج وتكرير البترول والغاز وتشييد السكك الحديدية ومترو الأنفاق وغير ذلك.

* هذا فضلاً عن عدم وجود خلافات بين البلدين فيما يتصل بالعلاقات الإستراتيجية بينهما.

وفى تقديرى أنه يمكن الاستفادة

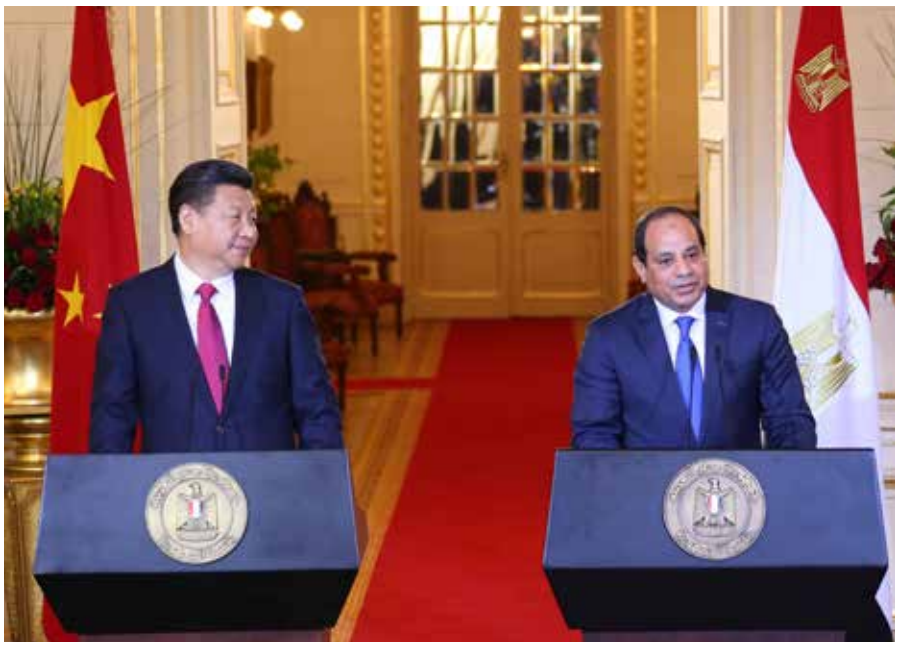

من التجربة الصينية فى إطار توثيق عرى الصداقة بين البلدين مصر والصين وتدعيم العلاقات فى كافة المجالات وتدعيم المشاركة الإستراتيجية المصرية الصينية من خلال الآتى:

1 - أهمية عقد دورات تدريبية للتعريف بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة.

2 - أهمية زيادة الناتج القومى الإجمالى والدخل للفرد والأسرة والأدوات التكنولوجية الحديثة لتسييرها. وإلزام الشركات الكبرى بتوفير الدعم المناسب للمشروعات الصغيرة خاصة من خلال تخصيص نسبة من أعمالها للشركات الصغيرة والمتوسطة وإقامة نظام المشاركة معها خاصة فى قطاع أعمال البناء والإنشاءات والتشييد وفى هذا الشأن فيسعدنى أن أشيد بما ذكره السيد الوزير الأسبق إبراهيم محلب وزير الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية ورئيس الوزراء السابق أن تنفيذ العديد من المشروعات فى هذا الإطار سوف يتم إسناده للشركات المتوسطة والصغرى ولن تكون مقصورة على شركة «المقاولون العرب» العملاقة والتى تقوم بدور متميز فى عمليات التشييد والبناء فى الدول الإفريقية والعربية وليس داخل مصر فقط وينبغى فى تقديرى أن يتم الاستفادة والاقتداء بهذا النموذج فى مجالات التنمية الاقتصادية والتكنولوجية والطاقة المتجددة والاجتماعية والأخرى فى مصر.

3 - أنه يجب أيضاً البناء واستثمار العلاقات التاريخية بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة العربية الإسلامية من جانب والحضارة الصينية وأن ما يعزز ذلك هو ما ذكره رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حول الاعتراف بأهمية العلوم الصينية حيث قال:{ اطلبوا العلم ولو فى الصين} هذا إلى جانب الصلات والروابط بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية والروابط التجارية بين الجانبين من خلال طرق التجارة والعبور عبر مصر إلى أفريقيا وأوروبا وغير ذلك.

4 - اشتراك الجانبين فى مصلحة مشتركة لإقامة نظام تجارى عادل وإحداث ديمقراطية فى العلاقات الدولية سياسيا واقتصاديا.

5 - إن تدعيم العلاقات فى هذا الشأن والاستفادة من التجربة الصينية يمكن أن يتم من خلال أهمية فتح جامعة صينية فى مصر وفقاً للقواعد القانونية المنظمة لذلك فى وزارة التعليم العالى وأن تكون المواد الدراسية معترفاً بها من وزارتى التعليم فى مصر والصين ويكون سوق العمل المصرى فى حاجة لتخصصات محددة بها ويمكن أن ترتبط تلك الجامعة بالشركات المصرية - الصينية العاملة فى مصر.

6 - تشجيع التبادل الطلابى بين الأساتذة والمختصين فى شئون البحث العلمى والتكنولوجيا والمجالات العسكرية بين مصر والصين.

7 - أهمية فتح فرع لجامعة القاهرة فى الصين لدراسة اللغة العربية وآدابها والعلوم المختلفة فى هذا الشأن والتجارة والسياحة لمصر وفنون العمارة وبناء علاقة مع المسلمين فى الصين على أساس أنهم جزء من النسيج الوطنى الصينى والنهضة الصينية وأنهم يدركون أنهم يتمتعون بهويتهم الحقيقية أى أنهم مسلمون صينيون.

8 - أهمية تدعيم التعاون بين مصر والصين فى مجالات التعاون النووى المختلفة للأغراض السلمية مثل توليد الكهرباء وتحلية المياه.

9 - يمكن فى تقديرى كذلك السعى من أجل إقامة وادٍ تكنولوجى صينى مشترك فى مصر للاستفادة من التكنولوجيا الصينية المتقدمة وليس التقليدية وعملية نقل التكنولوجيا والتدريب والأيدى العاملة المصرية الماهرة فى مجالات تصنيع مشترك فى مجالات مختلفة عسكرية وتكنولوجيا المعلومات والتكنولوجيا الزراعية وتكنولوجيا الرى وعلاج الأمراض والطاقة المتجددة وغير ذلك.

وسوف تستفيد الصين من موقع مصر الإستراتيجى للاستثمار والتسويق فى إفريقيا والدول العربية وغير ذلك.

10 - أهمية دراسة الاستفادة من تجربة زيادة الإنتاج الزراعى فى الصين ورفع الحد الأمثل للإنتاج لهذه الدولة الكبيرة التى يزيد عدد سكانها حالياً عن ١.٣مليار نسمة أى أكثر من أربعة أضعاف العالم العربى ونجحت فى تحقيق نهضة كبيرة فى التكنولوجيا الزراعية التى تمثل ركيزة قوية فى تقدم الصين ورفع مستوى معيشة سكانها.

11 - أهمية التوسع فى فتح أقسام لتعليم اللغة الصينية فى بعض الجامعات المصرية ومساعدة الخريجين من هذه الجامعات على توفير فرص عمل لهم.

12 - هذا ونأمل فى رأيى أيضاً أن تواصل الصين دعمها لتطلعات الشعب الفلسطينى فى ضوء علاقاتها المتنامية مع إسرائيل ومع تطلعات الشعوب العربية والأفريقية فى إطار win win relation فى كافة المجالات فى ضوء الانتشار الواسع للصين على المستوى الاقتصادى وقوتها المتنامية فى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

قراءة فى أجواء ونتائج القمة الاقتصادية العربية الرابعة

لقد أحاط بالقمـــة التنموية الاقتصادية العربية الرابعة التى عقدت فى بيروت ما بين 18 - 20 يناير 2018، ظروف وملابســـات خاصة سواء على المستوى الداخلى للدولة المضيفة وهى لبنان، أو الدول المشاركة فى القمة ســـواء بتأثير ما حدث فى الداخل اللبنانى مباشرة، أو لأسباب تعود إلى مواقف معينة أو تحســـبات بذاتها من جانب زعماء بعض الدول العربية أدت إلى إحجامهم عن الحضور للمشاركة فى القمة وترأس وفود بلادهم من ينوب عنهم.

وبالرغـــم من ذلك عقـــدت القمة وتناولت جـــدول أعمالهـــا الذى أعده الخبراء ومندوبو الـــدول الأعضاء فى الجامعـــة العربيـــة، واعتمـــده وزراء الخارجية وأقره رؤساء الوفود، وصدرت قـــرارات تناولت 27 بنـــدًا على جدول الأعمال، إلى جانب تبنى بعض البيانات الخاصة بقضايا معينة.

وفيما يلـــى عرض موجز لأجواء ونتائج هـــذه القمـــة الاقتصادية العربية:

أولاً: الأجواء والملابسات التى سبقت القمة:

تقرر منذ انعقاد القمة الاقتصادية الأولى فى الكويت عـــام 2009 أن يتم عقدهـــا كل عامين ومن ثم عقدت القمة الثالثة فى السعودية فى يناير 2013، أى أنهـــا لم تعقد منذ ســـت ســـنوات وطال انتظارها على ضوء ما تشـــهده المنطقة العربيـــة والعالم من تطورات وأزمـــات مالية واقتصاديـــة متلاحقة، وعلى ضوء الحاجة إلى توســـيع دائرة التنمية العربية الشـــاملة بكل جوانبها الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة. كما ظهر عامـــل جديد متزايد منـــذ قمة 2013 وهو الحاجـــة الملحة إلى إعادة الإعمار فى الدول العربية التى دمرتها الحروب والمنازعات الداخلية والإقليمية.

وتحدد موعد القمة العربية وبدأت الاستعدادات لعقدها فى بيروت، وفجأة، وقبيل انعقادها بوقت قليل أثيرت عدة أزمات ومواقف من داخل لبنان انعكست سلبيًا على الموقف العام ومواقف بعض الدول.

فقد أثار حـــزب أمل بزعامة رئيس البرلمـــان اللبنانى نبيـــه برى، مطلب

سفير رخـا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

عدم دعوة ليبيـــا إلى حضور القمة فى بيروت بدعوى عدم تعاون المســـئولين الليبيين فى إزاحة الغموض عن قضية اختفاء الإمام موســـى الصدر ومرافقيه عندما كانوا فى زيارة ليبيا فى أغسطس 1978 ولم يعـــرف مصيرهم أو كيف اختفوا حتى الآن. وطلب نبيه برى عدم دعوة ليبيا لأن فى دعوتها - من وجهة نظره - إهانة للبنان واللبنانيين، ولكن الرئيس اللبنانى ميشيل عون أوضح أن الجامعة العربية هى التى توجه الدعوات وأن ليبيا عضو فى الجامعة العربية ولا يملك لبنان عدم دعوتها.

عندئـــذ لجأ حزب أمـــل إلى إنزال بعض أعضائه فـــى مظاهرة احتجاج أمام السفارة الليبية وقاموا بإنزال علم ليبيا وحرقه، وإنزال أعلام دول أخرى، وهو ما اعتبرته ليبيا إهانة لها ولم تقبل اعتذار الحكومة اللبنانية، واعتذرت ليبيا عن عدم حضورها القمة، وأوضحت أنها غير مسئولة عن ما حدث للإمام موسى الصـــدر ومرافقيه وأنه جـــرى تغيير النظام فى ليبيا وقتل رأس النظام معمر القذافى.

وقد أثار ما حدث مع ليبيا اســـتياء الأمين العام لجامعة الـــدول العربية، وسعد الحريرى رئيس حكومة تصريف الأعمال اللبنانية، ودول عربية أخرى.

وحدث انقسام فى الرأى فى لبنان - وبالنسبة لدول عربية - بشأن دعوة ســـوريا لحضور القمة الاقتصادية فى بيروت، وتبنى رئيس البرلمان اللبنانى هـــذا الموقـــف ولم تعارضه رئاســـة الجمهورية ولا رئاسة الحكومة من حيث المبدأ، ولكـــن الموضوع لابد من تناوله داخل جامعة الـــدول العربية للموافقة وتوجيه الدعـــوة، ولكن كما أعلن الأمين العام للجامعة أحمد أبو الغيط فإنه لم يتوفر التوافق بشـــأن عودة سوريا إلى الجامعة العربية ومـــن ثم لم يكن من العملى طرحه، هذا رغم قول الأمين العام أنه شـــخصيًا لم يكن موافقًا على وقف عضوية سوريا فى الجامعة وقت حدوث ذلك، وأن ســـوريا من الدول المؤسسة لجامعة الـــدول العربية ووجودها فيها أمر مهـــم، وأنه ســـيجرى العمل على إحراز توافق لعودتها فى القمة العربية العادية القادمة والتى ستعقد فى تونس فى 31 مارس 2019.

ومع ذلـــك أصر نبيه بـــرى على المطالبة بتأجيل القمة الاقتصادية لمدة شهرين إلى أن يتم تشـــكيل الحكومة اللبنانية الجديدة، والنظر الإيجابى فى دعوة ســـوريا لحضورها على أساس أن القمة الاقتصادية ســـتتناول عمليات إعادة الإعمار فى الـــدول التى أضيرت من الحـــروب ومنها ســـوريا، والدول المستضيفة للاجئين ومنها لبنان الذى يســـتضيف أعداداً كبيرة من اللاجئين السوريين.

وقد أثار موقف الرئيس ميشيل عون

بتمسكه بعقد القمة فى موعدها وفقًا لما هو مقرر مزيداً من الحساسية والفتور فى علاقاته مع الرئيس الســورى بشار الأسد، خاصة وأن الرئيس عون لم يزر دمشــق منذ انتخابه حتى الآن، رغم أنه زار دولاً عربية أخرى وقد جرى العرف على أن تكون دمشق فى مقدمة زيارات رؤساء الجمهورية والحكومة فى لبنان عقب توليهم السلطة.

وبادر وزير خارجية لبنان بالإعراب عن الأســف لأية دولة عربية لم تحضر القمة، وقال «إننا كعــرب لا نعرف أن نحافظ علــى بعضنا، بل نحترف إبعاد بعضنا وإضعاف أنفسنا بخسارة بعضنا البعض» وقدم الشكر لكل «الدول التى شاركت على أى مستوى رغم الظروف الســيئة التى تحيط بالمنطقة العربية ولبنان».

ولم يحضــر القمــة كل من وليد جنبلاط ونبيه برى، رغم توجيه الدعوة لهما وكبار المســئولين من رؤســاء الحكومــات والأحزاب والشــخصيات العامة اللبنانية، وأنابا عنهما من يمثلهما فى الحضور.

وكان لكل ما حــدث من تجاذبات لبنانيــة آثاره الســلبية علــى القمة الاقتصادية العربية من حيث مســتوى رؤســاء الوفود، حيث تغيــب أغلبية الزعماء العرب وأنابوا عنهم لرئاسة وفود بلادهم نواب رؤساء ورؤساء حكومات ووزراء باعتبــار أن ما حدث فى لبنان يعبر عن حالة من عدم ســيطرة جهة واحدة على اتخاذ القرار، وأن ما حدث مع سفارة ليبيا أمر غير مقبول وخاطئ من حيث المضمون والشكل والتوقيت، كما تعاطفت دول أخرى مع ســوريا رغم أن دعوتها من عدمها تخص توافق الآراء فى جامعة الدول العربية، وكانت النتيجة مشــاركة 3 رؤســاء دول هم: رئيس لبنان، ورئيس موريتانيا، وأمير قطر الذى غادر بيروت بعد الجلســة الافتتاحية، و6 رؤســاء حكومات، و21 وزيرًا، وقد رأس وفــد مصر إلى القمة وزير الخارجية سامح شكرى.

وقال وزير خارجية لبنان إنه بالرغم من ضعف مستوى التمثيل «فى القمة» فإن قراراتها لن تتأثر بغياب بعض من الملوك والرؤســاء، وأن لبنان كان يأمل فى تمثيل أعلى وأكبر.

وقال وزيــر الاقتصاد اللبنانى «إن الاعتراض على مشــاركة ليبيا من حيث التوقيت والأســلوب شكل ضربة للقمة ولاقتصاد لبنــان»، ورد وزير الاقتصاد على ما تردد من أن واشنطن طلبت من لبنان عدم المشاركة فى إعمار سوريا، بأنه ليــس لديه معلومــات دقيقة عن صحة هذه المعلومــات أو عدمها، وأنه ســيعاد إعمار ســوريا ولابد أن يكون لبنان مشــاركًا فى هــذه المهمة فى السنوات المقبلة.

وربما ما يفسر تأخر انعقاد القمة الاقتصادية عن موعدها 4 ســنوات، ما أعاد طرحه رئيس الوفد السعودى وزير المالية محمد بن عبدالله الجدعان، من أن السعودية ستطرح مقترحها السابق بدمج القمة الاقتصادية فى القمة العربية العادية الدورية، ودراسة هذا المقترح بحيث تكــون الموضوعات الاقتصادية بندًا مســتقلاً على جدول أعمال القمة العربية العادية، وأن الســبب وراء هذا الطرح أن عقد القمة الاقتصادية دوريًا كل 4 ســنوات لا يتناسب مع التطورات المتســارعة فيمــا يتعلــق بالقضايا الاقتصادية والاجتماعيــة، كما أنه من الصعب عقد القمة الاقتصادية بمفردها سنويًا.

والحقيقة أن القمة الاقتصادية جرى العمل على عقدها فــى دوراتها الثلاث السابقة مرة كل سنتين، وليس كل أربع سنوات، وليس كل سنة. وإذا عادت إلى الانعقاد كل ســنتين مع التمسك بإبعاد القضايــا والخلافات السياســية عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وإنشاء آلية لمتابعة وتقييم مدى تنفيذ القرارات والأخذ بالتوصيات وإعداد تقرير يعرض علــى كل دورة بالإيجابيــات وكيفية تعظيمها، والســلبيات وكيفية تجنبها،

لو تم ذلك لاستطاعت الدول العربية أن تدعم العمل الجماعى المشترك فى أهم مجالين الاقتصادى والاجتماعى مهما كانت الأوضاع السياسية.

ثانيًا: نتائج القمة:

تناولت القرارات والبيانات الصادرة عن القمة التنموية الاقتصادية التى عقدت تحت شعار «الازدهار من عوامل السلام» والتركيز على التنمية فى البشر، الموضوعات التالية:

- تبنت المبادرة السعودية للتكامل بين السياحة والتراث الحضارى والثقافى للدول العربية، وإعمال مزيد من التعاون والتنسيق فى هذا المجال.
- أطلقت إستراتيجية عربية للطاقة وإقامة السوق العربية المشتركة للطاقة خاصة الطاقة الكهربائية وربط الشبكات الكهربائية بين الدول العربية والطاقة المتجددة والطاقة التقليدية.
- إطلاق إستراتيجية القضاء على الفقر عن طريق التنمية والرعاية الاجتماعية والصحية.
- دعم مبادرة الكويت لإنشاء صندوق للاستثمار فى مجالات التكنولوجيا والاقتصاد الرقمى بقيمة 200 مليون دولار أمريكى، وبادرت كل من الكويت وقطر بمساهمة كل منها بمبلغ 50 مليون دولار أمريكى أى 50٪ من رأس المال المقترح.
- قرار بشأن الخطة الإستراتيجية للتنمية القطاعية فى القدس 2018 - 2020 ودعوة جميع الدول والمنظمات العربية والإسلامية والصناديق العربية ومنظمات المجتمع المدنى والقطاع الخاص إلى توفير التمويل اللازم لتنفيذ المشروعات الواردة فى الخطة الإستراتيجية بالتنسيق مع دولة فلسطين.
- إدانة الخطط والسياسات الإسرائيلية الهادفة إلى تقويض الاقتصاد الفلسطينى وحرمان الشعب الفلسطينى من حقه غير القابل للتصرف فى التنمية بما فى ذلك السياسة الاستيطانية التوسعية الاستعمارية بمختلف مظاهرها على كامل أرض فلسطين المحتلة منذ عام 1967 بما فيها القدس الشرقية.
- التأكيد على أن مقاطعة منظومة الاحتلال الإسرائيلى هى إحدى الوسائل الناجعة والمشروعة لمقاومته وإنهائه ودعوة جميع الدول والمؤسسات والشركات والأفراد إلى الالتزام بوقف جميع أشكال التعامل مع منظومة الاحتلال الاستعمارى الإسرائيلى ومستوطناته المخالفة للقانون الدولى.
- دعوة البرازيل إلى عدم اتخاذ أى مواقف تخل بالمكانة القانونية لمدينة القدس الشريف حفاظاً على أواصر الصداقة والعلاقات مع الدول العربية والتصدى لأى قرارات تخل بالمكانة القانونية للقدس واتخاذ الإجراءات المناسبة السياسية والاقتصادية إزاء هذه الخطوات غير القانونية.
- دعوة القطاع الخاص العربى للاستثمار فى المشروعات التى توفرها المبادرة الخاصة بتحقيق الأمن الغذائى العربى والتى سبق أن قدمها السودان للقمة العربية العادية.
- متابعة تطورات منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى واستكمال متطلبات إقامة الاتحاد الجمركى العربى.
- تكليف الأمانة العامة للجامعة العربية بالسعى الجاد والعمل على استقطاب الاستثمارات العربية والدولية فى الدول المستضيفة للاجئين السوريين وفقاً لاحتياجاتهما ودعوة المجتمع الدولى والهيئات الدولية المختصة لتشجيع العودة الآمنة والكريمة على مراحل للاجئين والنازحين السوريين إلى المناطق التى توقف فيها القتال. ويلاحظ أن هذه الفقرة كانت موضع اختلاف عند مناقشتها فى اجتماع وزراء الخارجية. وهى فى نفس الوقت موضع اهتمام خاص من جانب لبنان والأردن بوجود أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين وما يمثله ذلك من ضغوط على أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.
- أكدت على كافة القرارات للقمم العربية السابقة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى والمجالس الوزارية الخاصة بالأعباء الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على استضافة اللاجئين والنازحين السوريين وأثرها على الدول المستضيفة، ودعت المجتمع الدولى لمساعدة هذه الدول وإقامة المشروعات التنموية لديها للمساهمة فى الحد من الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الدول العربية المستضيفة.
- قرار بشأن التحديات التى تواجهها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين

دعم فنى ومادى لليمن فى إعادة الإعمار والتنمية

مقاطعة منظومة الاحتلال الاسرائيلى

الفلسطينيين «الأونروا» وتبعاتها على الدول المستضيفة للاجئين الفلسطينيين، وتأكيد حق العودة والتعويض للاجئين الفلسطينيين وذريتهم، وعدم المساس بولاية الأونروا وضرورة استمرارها فى تحمل مسئولياتها فى تقديم الخدمات للاجئين الفلسطينيين داخل الخيام وخارجها فى كافة مناطق عملياتها بما فى ذلك القدس المحتلة إلى أن يتم حل اللاجئين والقضية الفلسطينية حلاً عادلاً وشاملاً وفقاً لقرار الأمم المتحدة 194 لسنة 1948 ومبادرة السلام العربية مارس 2002، ورفض أى محاولات أو قرارات لإنهاء أو تقليص دور وولاية الأونروا عن أية دولة، والتزام المجتمع الدولى بتعويض الوكالة وتأمين الموارد والمساهمات المالية اللازمة لموازنتها وأنشطتها، وتوسيع دائرة المساهمات الدولية واستكمال سداد المساهمات العربية للأونروا.

- دعم فنى ومادى لليمن فى إعادة الإعمار والتنمية من الدول الأعضاء والمؤسسات والصناديق العربية والمنظمات العربية المتخصصة والجهات المانحة، وذلك فى إطار برنامج لإعادة الإعمار والتعافى وعودة التنمية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والمساعدة فى مجال الهجرة والنازحين والتدريب والتعليم الشامل والرعاية الصحية وتقديم المساعدات الإنسانية والإنمائية وتوصيلها لمستحقيها.

- دعم الصومال فى مساعيه لتنفيذ خطة التنمية وإعفائه من ديونه الخارجية «وهو ما قامت به السعودية والجزائر»، وتنفيذ قرارات القمة السابقة بأهمية تقديم دعم مالى عاجل بقيمة 10 ملايين دولار أمريكى شهرياً لمدة سنة من خلال الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لدعم موازنة الحكومة الصومالية.

- إقرار منهاج العمل للأسرة فى المنطقة العربية ضمن أهداف تنفيذ التنمية المستدامة 2030.

- الإعلان العربى عن الانتماء والهوية.

- الميثاق العربى الاسترشادى لتطوير قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والمتناهية الصغر.

- الإستراتيجية العربية لكبار السن.

- الإستراتيجية العربية لحماية الأطفال فى مواضع اللجوء فى الدول العربية.

- العقد العربى لحقوق الإنسان 2019 ـــ 2029 وغير ذلك من الموضوعات التى تم تناولها سواء فى القمة وفقاً لجدول الأعمال أو على هامش القمة أو فى الكلمات التى ألقاها رؤساء الوفود.

- وقد وافقت القمة على استضافة موريتانيا للقمة الاقتصادية الخامسة 2023.

ثالثاً: ملاحظات عامة:

يلاحظ الآتى:

1 - كثرة بنود جدول الأعمال وهو ما يثقل على المشاركين فى مناقشة كل بند مناقشة وافية وتقييم ما تم إنجازه من البنود السابقة والمعوقات التى حالت دون تنفيذ بعض البنود وكيفية تلافيها، ويمكن الاكتفاء فى كل قمة بعدد محدود من الموضوعات وإعداد الدراسات الكافية بشأنها، واستطلاع آراء الدول الأعضاء ذات التأثير حتى لا يكون إقرار أى بند دون النية فى تنفيذه.

2 - العودة إلى عقد القمة الاقتصادية كل عامين ودراسة تحديد موعد انعقادها لتعتمد القمة العربية العادية الدورية الجوانب السياسية أو مؤثراتها على كل ما يتخذ من قرارات فى القمة الاقتصادية، وذلك لأن العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية العربية هى الدعامة الحقيقية للأمن القومى العربى وتوثيق الصلات وربط المصالح بين الدول العربية، مع العمل بكل السبل الممكنة على استبعاد تأثير الأوضاع والخلافات السياسية على العلاقات الاقتصادية والتجارية.

3 - أهمية وضرورة التدقيق والدراسة لأوضاع الدول التى تعقد فيها القمم العربية ليس عند اتخاذ قرار استضافتها للقمة، وإنما فى التوقيت المختار لعقدها حتى لا يكون للأوضاع الداخلية للدولة المستضيفة للقمة تأثيرات سلبية على القمة، وفى حال حدوث ظروف طارئة لم تكن متوقعة فى الدراسات المسبقة فإنه يكون معروفاً لدى جميع الدول الأعضاء أن الملاذ فى هذه الحالة هو المقر الدائم لجامعة الدول العربية بدون أى حساسيات.

4 - أن القمة التنموية الاقتصادية الرابعة فى بيروت اتخذت عدة قرارات وأصدرت بيانات غاية فى الأهمية، ويبقى توفر الرغبة والعزم والإرادة لوضعها جميعاً موضع التنفيذ لدعم العمل العربى المشترك بل والأمن العربى.

الضرائب على التجارة والإعلانات الإلكترونية

كان من أهم ركائز سيادة الدولة قدرتها على السيطرة على مواردها وتعبئتها من أجل تحقيق الأهداف القومية، ولكن فرض العصر الرقمى تحديات تدفع بالعمل على إعادة تعريف سيادة الدولة لمواكبة التغير فى البيئة الدولية، وكثيراً ما كانت الضرائب والحق فى فرضها هى أصل من أصول السيادة، ولكن هذه المرة تواجهه الدولة بشركات عابرة للحدود دون أن يكون لها مكتب داخلها وتجنى الأرباح الطائلة من خلال تطبيقات التجارة الإلكترونية أو الإعلانات الإلكترونية دون أن تخضع تلك الشركات للمحاسبة الضريبية، وهو أمر يحتاج إلى ضغوط ومفاوضة وتعاون مع الدولة لخدمة التنمية.

د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى

adelsadek@hotmail.com

أولاً: الاقتصاد الرقمى والنظام الضريبى فى عالم متغير

بات الاقتصاد الرقمى يشكل أبرز منصات دفع النمو الاقتصادى العالمى، وأصبحت التجارة الإلكترونية تنمو بشكل متسارع، وبخاصة فيما يتعلق بالإعلانات الرقمية والتى تنمو فى مقابل الإعلانات على التليفزيون أو الصحف الورقية، لما تتميز به من خصائص الجاذبية والسرعة فى الانتشار والرخص فى التكلفة، وسهولة استخدام المنصات التى توفر خدمة الإعلانات سواء كانت «مواقع إلكترونية» أو تطبيقات للشبكات الاجتماعية وغيرها، أو فيما يتعلق بقدرة الفرد أو المستخدم أو الشركة على القيام بمهمة الإعلان دون الحصول على أية تصاريح مسبقة أو شروط لاحقة.

وتختلف طبيعة المعاملات التجارية فى الاقتصاد الحقيقى عما بات يعرف بالاقتصاد الرقمى، وكانت ترتبط بقدرة الدولة على التدخل وفرض السيادة على الشركات والمؤسسات الاقتصادية، ومن ضمنها القدرة على فرض «الضرائب» والرسوم «الجمركية»، والتى تعد من أهم الموارد المالية للموازنة العامة للدولة، ومؤشراً لممارسة الدولة لسيادتها على حدودها، وكانت تتطلب عملية فرض الضريبة أن يكون هناك قانون ينظمها ويحددها، ولخطورة فرض «الضريبة» لما تمثله من عبء على المواطن اشترطت العديد من الدساتير إجراءات خاصة لفرضها، حيث بات العرف بأنه «لا ضريبة إلا بنص»، وتتطلب عملية فرض الضرائب سن تشريعات منظمة، ويرادفها كذلك القدرة على التحصيل، وسبل فرض العقاب على المخالفين.

وجاءت ثورة المعلومات والاتصال لتفرض تحديات تجاه ممارسة الدولة لسيادتها التقليدية على أراضيها أو «منافذها»، لصالح حرية الانتقال للأفكار والأموال عبر الحدود، وبروز ما بات يعرف بالثورة الصناعية الرابعة والتى ارتكزت على الاقتصاد الرقمى، وأصبح له دور فى النمو الاقتصادى معتمداً على إنتاج السلع والخدمات ذات الصلة مباشرة وغير مباشرة بالثورة الرقمية، ومكوناً للثورة والمكانة بعيداً عن المؤشرات التقليدية للقوة الاقتصادية المعتمدة على الموارد الطبيعية أو السلع المادية.

ومع اتساع نطاق الارتباط والانتشار بتطبيقات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وبروز البنية التحتية الحيوية، تسارع فى الوقت نفسه حجم الاعتماد والتعامل للحصول على الخدمات والسلع بما انعكس على زيادة حجم التجارة الإلكترونية من ناحية وعلى زيادة ما ينفقه المواطنون والشركات على التجارة والإعلانات من جهة أخرى.

وأصبح من المهم المواءمة بين النشاط التجارى الرقمى ومستوى وضع السياسات أو التطبيقات أو البنية التحتية اللازمة.

وتميزت حركة التعاملات الإلكترونية بأن التحويل النقدى يتم عبر الإنترنت وبدون سيطرة مباشرة على تلك التحويلات من البنوك المركزية فى العديد من الدول، وكون حقيقة أن الشركات المشغلة للخدمة هى عابرة للحدود الدولية، ومن ثم لا تخضع للولاية القضائية الوطنية، وليس لأغلبها مكاتب داخل البلدان التى تعمل بها.

وهى بذلك تختلف عن باقى الشركات متعددة الجنسيات العاملة فى مجال النفط والغاز أو غيرها والتى ترتكز على الوجود الفعلى كأساس لعملها وعلى خضوعها للقانون المحلى الخاص بالاستثمار الأجنبى.

ومن جهة أخرى تتميز التعاملات التقليدية بوجود نقطة «دخول وخروج» للتحكم من قبل الدولة تتمثل فى الجمارك والمنافذ الحدودية، حيث يتم فرض رسوم جمركية على السلع والخدمات، وتضمن سيطرة الدولة على التعاملات مع الدول الأخرى سواء عن «التصدير» أو «الاستيراد» للسلع المادية. وذلك بالإضافة إلى قدرة الدولة على إلزام «المتعاملين» أو «التجار» بقيد كافة المعاملات التجارية التى يقومون بها سواء أكانت مؤسسات فردية أو شركات، وحق الإدارة الضريبية فى المطالبة بمراجعة وفحص الدفاتر والسجلات، ومراقبة وفحص عملية دفع المنشأة للمستحقات الضريبية

والجمركية، وذلك بالاعتماد فى عملية التبادل على عقود تجارية مكتوبة بين الأطراف المعنية.

وأما فى التعاملات ذات الطبيعة الإلكترونية، فإن سيطرة الدولة على دخول وخروج المعاملات على السلع المادية تبقى ولكنها تتقلص فى حالة السلع غير المادية مثل الكتب والبرمجيات أو الصحف وغيرها والتى تمر عبر الفضاء الإلكترونى.

وتتوفر السهولة فى استخدام التطبيقات والبرامج الإلكترونية لتسجيل التعاملات والاسترجاع والفحص، وتواجه عملية التعاقد مدى الاعتراف بالتوقيع الإلكترونى كوسيلة من وسائل الإثبات والتحقق لإتمام الصفقات التجارية.

ولا شك أن طبيعة وخصائص التجارة الإلكترونية بشكل عام تفرض طرقاً وأساليب جديدة للتعامل معها، وبخاصة فيما يتعلق بالتحديات، والتى من أهمها، اختفاء البعد المادى للشركات أو الأشخاص الذين يقومون بتقديم الخدمة أو السلعة عبر الإنترنت، والاعتماد بشكل أكبر على المستندات الإلكترونية كبديل عن الورقية، ويتم التعامل بين الأطراف فى شكل آلى ومباشر وبدون وسطاء، وتباين التشريعات والقوانين الضريبية من دولة إلى أخرى، إلى جانب تباين الطرق المحاسبية وشروط الإفصاح عن تلك الصفقات، وعدم توافر المعلومات أو النتائج عن الأرباح المتحققة للشركة من الإقليم أو الدولة، إلى جانب صعوبة تطبيق آليات للرقابة على المبيعات.

وأثرت تلك المتغيرات فى هيكل النظام الضريبى الذى يمكن أن تطبقه الدولة، حيث أثرت فى التشريعات الضريبية وفى طرق عمل الإدارة الضريبية وفى المجتمع الضريبى، وأصبحت أية محاولة لوضع تشريعات منظمة ترتكز على تغيير العادات الاجتماعية والعلاقة بين الأسواق والتكنولوجيا، إلى جانب معالجة الفجوة التشريعية، ومواجهة عجز التشريعات القائمة على مواكبة التطور، ومعالجة الفجوة الإدارية والتى تعانى منها الإدارة الضريبية، إلى جانب الفجوة المعرفية والمفاهيمية والتى يعانى منها المجتمع الضريبى والمتكون من الأفراد أو الشركات والمؤسسات. ويأتى ذلك فى إطار العلاقة بين هيكل النظام الضريبى وتطبيقات تكنولوجيا المعلومات.

وتتناول الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات الجمركية «الجات»، الواجبات العامة فيما يتعلق بالمعاملة الوطنية، وتسمح باستعمال القيود الكمية من جانب الدول للحفاظ على حقوقها، وتركز على التجارة فى السلع عبر الحدود، بينما تحدد اتفاقية التجارة الدولية الخاصة بالخدمات «الجاتس» الالتزامات على مستوى كل قطاع، وتحظر فرض القيود الكمية وتضع فى اعتبارها التواجد التجارى فى الدولة الأجنبية وحركة الأشخاص الطبيعيين كجزء من التجارة فى الخدمات.

وتركز «الجاتس» على القطاعات التى تساعد فى تطوير البنية الأساسية للتجارة الإلكترونية مثل الاتصالات والخدمات المرتبطة بها، والقطاعات التى يمكن فيها التوريد الفعلى للخدمات بشكل إلكترونى مثل قطاع الأعمال والترفيه والخدمات المالية، والتى تكون مكملة لأنواع التجارة بما فى ذلك التجارة الإلكترونية مثل الخدمات البريدية والنقل. إلى جانب القطاعات التى يمكن الاستفادة منها فى تدفق المعلومات الإلكترونية.

ثانياً: الإعلانات الرقمية مكاسب طائلة للشركات

دفع التقدم الكبير فى التبنى والانتشار على نحو متسارع لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وزيادة عدد مستخدمى الإنترنت بشكل كبير، إلى تعزيز حركة التبادل التجارى، وأصبحت الإنترنت من أكبر الأسواق التجارية فى العالم، فهى تقدم العديد

الضرائب على التجارة والإعلانات الالكترونية

من المزايا غير الموجودة فى الأسواق التقليدية، وتضم مئات الملايين من المستخدمين والذين يمكن تحويلهم إلى زبائن حقيقيين للمنتجات، وبلغ عدد مستخدمى الإنترنت فى عام 2018 حوالى 4.021 مليار، بزيادة تبلغ 7٪ سنوياً. بينما بلغ عدد مستخدمى وسائل التواصل الاجتماعى 3.196 مليار، أى بزيادة 13٪ سنوياً. وبلغ عدد مستخدمى الهواتف المحمولة فى عام 2018 حوالى 5.135 مليار، بزيادة 4٪ سنوياً. وبلغ متوسط استخدام الإنترنت للمستخدم 6 ساعات يومياً، أى ما يقترب من ثلث فترة استيقاظه، ويحدث هذا من خلال استخدام الأجهزة الهاتفية واللوحية والخدمات التى تعمل عبر الإنترنت.

وبلغ إجمالى الإنفاق السنوى فى عام 2017 ما يقرب من 1.5 تريليون دولار على التجارة الإلكترونية، وارتفع عدد الأشخاص الذين يستخدمون منصات التجارة الإلكترونية لشراء السلع الاستهلاكية بنسبة 8٪، وبما يقترب من قيام 1.8 مليار شخص بالبيع والشراء من خلال الإنترنت.

ويستعمل حوالى 45٪ من مستخدمى الإنترنت مواقع التجارة الإلكترونية. ويزداد المبلغ الذى ينفقه كل شخص على التجارة الإلكترونية، حيث يرتفع متوسط الإيرادات لكل مستخدم بنسبة 7٪ سنوياً ليصل إلى 833 دولاراً فى بعض الدول، ومن المرجح أن تصل القيمة الإجمالية للتجارة الإلكترونية العالمية إلى 2 تريليون دولار. وتهيمن شركتا جوجل وفيسبوك على سوق الإعلانات الرقمية، حيث يعتمد 85٪ من السوق البريطانى على جوجل فى الترويج للإعلانات الرقمية، وتستحوذ الشركتان على حوالى 55٪ مما يتم إنفاقه فى هذا القطاع.

وزاد حجم الإنفاق العالمى على الإعلانات عبر الإنترنت بمعدل 13٪، ليبلغ 205 مليارات دولار عام 2017، فى حين بلغ حجم الإنفاق على الإعلان التليفزيونى 192 مليار دولار، وبذلك يبقى لكل الوسائل الأخرى مثل الصحف المطبوعة والسينما والراديو وإعلانات الطرق وغيرها 155 ملياراً فقط.

وفى عام 2017 جذب الإعلان عبر الإنترنت 37٪ من مجمل الإنفاق الإعلانى حول العالم، ويتوقع أن ينمو بنسبة 12 و10٪ على التوالى لعامى 2018 و2019.

ويتوقع أن يصل حجم الإنفاق على الإعلانات عبر وسائل التواصل الاجتماعى إلى 55 مليار دولار فى 2019، ليتجاوز بذلك حجم ما ينفق على الصحف المطبوعة المقدر بنحو 50 مليار دولار. وتعد شركة جوجل أكبر مستفيد من إيرادات الإعلانات عالمياً، حيث وصلت حصتها إلى 79 مليار دولار فى عام 2016، وفيسبوك فى المرتبة الثانية من حيث حجم الإيرادات التى بلغت 27 مليار دولار. والشركتان المذكورتان تسيطران على20٪ من إيرادات الإعلانات مقابل حصة لم تكن تتجاوز 11٪ فى 2011.

وفى الربع الأول من عام 2018 أعلنت شركة فيسبوك عن ارتفاع قدره 50٪ فى عائدات الإعلانات لتبلغ 11.79 مليار دولار، فيما قالت جوجل إن عائداتها من الإعلانات خلال الربع الأول ارتفعت بنسبة 24٪ على أساس سنوى، وبلغت 26.64 مليار دولار، وبلغت عائدات «أمازون» 2 مليار دولار لينافس هيمنة الشركتين.

وأصبحت قضية التهرب الضريبى أو اللجوء إلى الملاذات الضريبية مشكلة كبيرة تعانى منها الدول النامية مقابل الشركات الكبرى المدعومة حيث تخسر الدولة النامية ما يزيد على 100 مليار دولار سنوياً.

ثالثاً: إشكاليات المحاسبة الضريبية على التجارة والإعلانات الإلكترونية

هناك اختلاف فى وجهات النظر حول مدى القابلية لتطبيق الضرائب على التجارة الإلكترونية فهناك، وجهة نظر أولى، ترى أن التطبيق من شأنه أن يعيق عملية تحرير التجارة بما يؤثر سلباً على النمو الاقتصادى والتكنولوجى، وترى وجهة النظر الثانية، أن الإعفاء الضريبى للتجارة الإلكترونية يمكن أن يعمل على التأثير السلبى على الموازنة العامة للدولة على النحو الذى يؤثر فى خططها التنموية، خاصة وأن هناك إقبالاً متصاعداً على التجارة الإلكترونية مع سهولة إبرام الصفقات، ووجهة نظر ثالثة، ترى أن هناك صعوبة فى تطبيق القوانين الخاصة بفرض الضرائب على شركات هى بالأصل غير مقيمة داخل الدولة، ولا تمتلك الدولة أية إجراءات عقابية على المخالفين، ناهيك عن

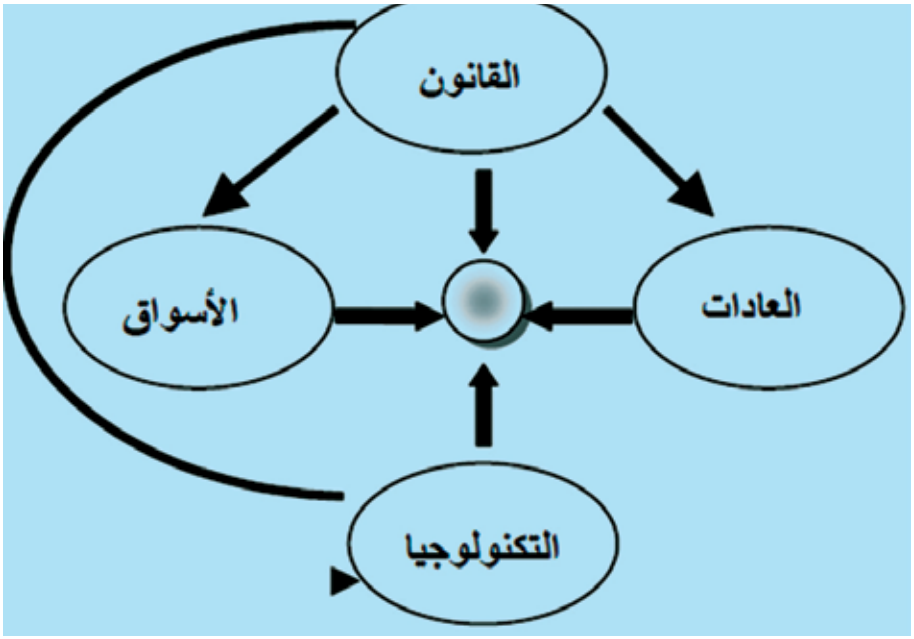

صعوبة حصر تلك العمليات من خلال رصد المبيعات أو الخدمات التى يمكن أن تخضع للضريبة.

وتواجه عملية فرض الضرائب على التجارة الإلكترونية عدة صعوبات ترتبط بطبيعتها العابرة للحدود الدولية، والتداخل فى التعامل مع قوانين وتشريعات متعددة، وهو ما يفرض صعوبة فى الوصول إلى معاملة موحدة، التضارب بين تطبيق مبدأى «عالمية الإيراد» أو» إقليمية الضريبة» وذلك كأساس لعملية فرض الضرائب، ففى حين يتم الاعتماد على جنسية الممول يتم الأخذ فى الاعتبار محل إقامته الدائمة، وهو ما يعرف بـ»عالمية الإيراد» من خلال فرض ضريبة على غير المقيمين بالنسبة للدخل الذى يتحقق من مصادر داخل الدولة سواء تم عن طريق تواجد مادى للمنشأة فى هذه الدولة أو وكيل له سلطة إبرام العقود. ولا يتحقق ذلك فى حالة أن تكون المنشأة المعلنة مقيمة فى الخارج وليس لها وجود مادى فى الدولة الأخرى.

ويعتمد «مبدأ الإقليمية» على مصدر الدخل كأساس لفرض الضريبة حيث لاتؤخذ الضرائب من الدخول التى تتحقق من مصادر خارج الدولة. ويتم فرض الضريبة على الدخل لكل ممول مقيم داخل الدولة التى تفرض الضريبة أو ينتمى لجنسيتها بصرف النظر عن مكان تحقق الإيراد.

وترتبط مشكلة التحصيل الضريبى من الإعلانات الإلكترونية بالكيفية التى تتم بها عبر الإنترنت خاصة وأنه يتم الدفع إلكترونياً بدون وسيط مالى محلى، وتتجنب الشركات العاملة الوجود الفعلى فى أراضى الدولة، وبشكل يخرجها عن قدرة الأخيرة على السيطرة عليها وتطبيق قانون الاستثمار الأجنبى، وهو ما يفرض صعوبة تحقيق العدالة الضريبية، وغياب التشريعات التى تعتمد العمليات التى تتم إلكترونياً، وهو ما يشكل تحدياً للنظام الضريبى والذى يعتمد على التشريع الضريبى الذى ينظم التعاملات والمنازعات، بالإضافة إلى طبيعة التغير المطلوب فى الإدارة الضريبية (وزارة المالية أو مصلحة الضرائب) والتى تختص بعملية التطبيق للقوانين والتحصيل ومتابعة الممولين، والتى تقتصر على المواطن «الممول» أو الشركة المحلية أو الأجنبية المقيمة فى الدولة.

وأصبح لتلك المتغيرات تأثيرات سلبية على كفاءة الأداء الضريبى من جهة، وقصور فى معالجة الإعلانات الإلكترونية من جهة أخرى، سواء على مستوى «التشريع والإدارة الضريبية والفجوة المعرفية».

وتتم الصفقات الخاصة بالتجارة الإلكترونية إما بشكل إلكترونى بالكامل فى جميع مراحلها، أو تتم بشكل جزئى. وذلك مع تجنب «الشركات» مفهوم المنشأة الدائمة من خلال ممارسة أنشطتها فى دولة أخرى من خلال وكيل بالعمولة.

وبرزت عدة اتجاهات للتعامل مع إشكالية تحديد المعاملة الضريبية على الصفقات التى تتم عبر التجارة الإلكترونية، فهناك اتجاه أول، يرى أنه يتم التطبيق مثلما يتم مع الصفقات التى تتم عبر الأوامر والرسائل البريدية «بين البائع والمشترى»، ولكن يكون هناك بائع ومشتر واحد لسلعة مادية بينما تكون الصفقةً عبر تطبيقات التجارة الإلكترونية متاحة أمام المشترين كافة، ودون التقيد بمكان محدد، ولاتعبر الرسالة البريدية عن إتمام كلى للصفقة بقدر ما تعبر عن مرحلة تمهيدية لإتمامها مقارنة فيما يتعلق بالتجارة الإلكترونية حيث يتم عقد الصفقة لحظياً وآنياً ودون تأخير عبر الإنترنت.

الاتجاه الثانى، يرى أنه فى حالة مزاولة النشاط عبر آليات أوتوماتيكية بصفة رئيسية يمكن اعتبار المكان الذى توجد فيه هذه الآلات هو الدليل على وجود المنشأة الدائمة فيه، وهو لايعد حلاً حاسماً لأساس فرض الضريبة على الدخل الناتج من هذه الصفقات، وقد تتم «الحركة» من خلال أكثر من جهاز فى دول مختلفة، وإعطاء دولة الممول الحق فى فرض الضريبة وليس دولة مصدر الدخل.

والاتجاه الثالث، يركز على إمكانية تطبيق تشريعات الضرائب القائمة على الصفقات التى تتم عبر الإنترنت وحماية الشركات من أن تخضع للضريبة فى إقليمين أو دولتين عن نفس الصفقة.

والاتجاه الرابع، يعتبر أن شبكة الإنترنت تماثل الطريق العمومى الذى لاتمتلكه دولة بعينها وبالتالى فإن كل دولة تستطيع أن تخضع للضريبة أية صفقة تتم عبر شبكة الإنترنت وتمر عبر حدودها.

ولم تشفع تلك الاتجاهات الأربع فى إيجاد حل جذرى لمشكلة المعاملة الضريبية وبخاصة مع حالة الاختلاف فى وجهات النظر فيما يتعلق بالدولة التى لها الحق فى فرض الضريبة على الدخل المستحق على الأرباح، والتضارب حول أحقية الدولة إما وفق مكان البائع أم المشترى أو بمكان الجهاز المستخدم فى العملية.

وعلى الرغم من ذلك لم تقف العقبات التشريعية واللوجيستية عائقاً أمام اتجاه العديد من دول العالم لمحاولة فرض ضرائب على أرباح الشركات التكنولوجية وبخاصة «جوجل» و»الفيسبوك» مثلما حدث فى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا وإندونيسيا وروسيا وإيطاليا وأستراليا، وليس هذا فحسب بل لجأ الاتحاد الأوروبى إلى وضع سياسات صارمة تم تطبيقها فى 25 مايو الماضى لحماية الخصوصية والبيانات الشخصية ضد استغلال تلك الشركات فيما عرف باللائحة العامة لحماية البيانات الشخصية. ولم يشفع لتلك الشركات التعلل بأنها بالأصل غير هادفة للربح وأنها قائمة فى «نموذج الأعمال» الخاص بها على تقديم الخدمات المجانية إلا أنها تتكسب من الإعلانات التى يتم نشرها على منصاتها المختلفة.

رابعاً، الضرائب على الإعلانات فى التشريع المصرى

هناك عدد من التشريعات التى تنظم عملية فرض الضريبة على الإعلانات، والتى منها المادة 60 من قانون الدمغة 111 لسنة 1968، والمعدل لسنة 2008، والذى نص على أحقية الدولة فى فرض ضريبة بمقدار 15٪ من أجر

الضرائب على التجارة والإعلانات الالكترونية

الإعلان أو تكلفته، وهناك قانون التجارة رقم 17 لسنة 1997 يتضمن العديد من النصوص التى يمكن تطبيقها على التجارة الإلكترونية إلى جانب إمكانية الرجوع إلى القانون 91 لسنة 2005 فيما يتعلق بالمعاملة الضريبية للنشاطين التجارى والصناعى.

وتحدد المادة (60) من القانون رقم 9 لسنة 2013 بتعديل بعض أحكام قانون ضريبة الدمغة الصادر بالقانون رقم 111 لسنة 1980 المعدل بالقرار بقانون رقم 104 لسنة 2012، وفرض الضريبة النسبية بواقع 20٪ من أجر الإعلان، ويشمل ذلك الإعلانات التى تعرض على لوحات السينما أو التليفزيون أو القنوات الفضائية أو شبكة المعلومات الدولية أو كابلات البث، والإعلانات على الراديو أو القنوات الفضائية المسموعة، والإعلانات الخاصة بالطرق وأسطح العقارات وواجهاتها والإعلانات التى تنشر فيما يطبع ويوزع فى مصر بما فيها الصحف والمجلات والمطبوعات بكافة أشكالها، ويعفى القانون الإعلانات التى تصدر بقصد الإعلام بأوامر السلطات العامة أو لتنبيه الجمهور والإعلانات الخاصة بالتبرعات للعلاج والرعاية الطبية بالمستشفيات الحكومية وإعلانات البيوع الجبرية والخاصة بالانتخابات أو إعلان طالب فرص عمل، وتنظيم عمل المنشآت أو البحث عن المفقودين.

وهناك مشروع قانون التجارة الإلكترونية، والذى يتم فيه وضع عدد من المعايير والضوابط الجديدة التى تحكم صفحات التسويق الإلكترونى المنتشرة فى الآونة الأخيرة على موقع التواصل الاجتماعى، وحسابات «المؤثرون».

وجاء مشروع قانون تنظيم الصحافة والإعلام، والذى أقره البرلمان، بالنص على أنه لا يجوز بث المحتوى الخاص بالوسيلة الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية على الهواتف الذكية أو غيرها من الأجهزة

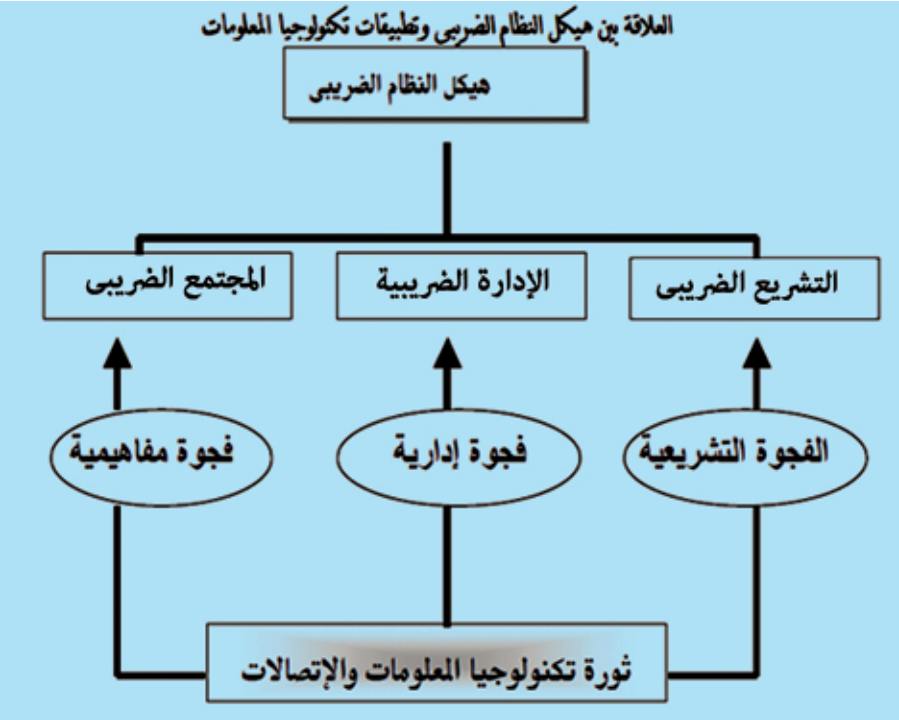

أو الوسائل المماثلة قبل الحصول على موافقة المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام وفق القواعد والإجراءات التى يحددها.

وتنص المادة 59 على أنه مع عدم الإخلال باختصاص الجهاز القومى لتنظيم الاتصالات فى إصدار تراخيص إنشاء أو تشغيل شبكات الاتصالات أو تقديم خدمات الاتصالات، لا يجوز إنشاء أو تشغيل أية وسيلة إعلامية، أو موقع إلكترونى، أو الإعلان عن ذلك، قبل الحصول على ترخيص من المجلس الأعلى، ويحدد المجلس الأعلى شروط ومتطلبات الترخيص. وفى جميع الأحوال، لا يجوز البث من خارج المناطق الإعلامية المعتمدة التى يحددها المجلس الأعلى إلا بتصريح مسبق من المجلس الأعلى محدد فيه وقت البث ومكانه.

وتنص المادة 67 أنه لا يجوز بث المحتوى الخاص بالوسيلة الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية والإلكترونية على الهواتف الذكية، أو غيرها من الأجهزة أو الوسائل المماثلة قبل الحصول على موافقة بذلك من المجلس الأعلى وفق الإجراءات والقواعد التى يحددها. ولا يجوز فى جميع الأحوال لأى موقع إلكترونى جلب إعلانات من السوق المصرى، ما لم يكن مقيداً بالمجلس الأعلى، وخاضعاً لأحكام القانون رقم 11 لسنة 1991 بشأن التهرب الضريبى.

ومن جهة أخرى فقد أعلنت وزارة المالية المصرية أن قانون الضريبة على القيمة المضافة يسمح بوضع آلية خضوع خدمة الإعلانات المقدمة من جهات غير مقيمة فى مصر، ومنها الإعلانات التى تنشرها المواقع الإلكترونية من خلال حسابات المواطنين، خاصة وأن ما ينشر على الحسابات المصرية خاص بالترويج لمنتجات شركات عالمية ومحلية تعمل بالسوق المصرية بالفعل.

خامساً: مكاسب وفرص فرض الضرائب على الإعلانات الرقمية

تعتبر الضرائب من أهم الإيرادات التى تعتمد عليها خزينة الدولة، حيث إنها تمثل نحو 75٪ من حجم الإيرادات كاملة بالموازنة العامة. وبلغت قيمة الضرائب المتوقعة فى الموازنة العامة للدولة لعام 2017 - 2018 نحو 603 مليارات و918 مليون جنيه بزيادة قدرها 17 ملياراً و618 مليون جنيه عن العام المالى السابق. ووفقاً لتقديرات الموازنة الجديدة، فإنه من المتوقع

ارتفاع حجم الإيرادات الضريبية لتصل إلى 776 مليار جنيه خلال العام المالى المقبل 2018 - 2019.

وبلغ حجم التهرب الضريبى إلى أكثر من نحو 400 مليار جنيه سنوياً، وهناك توقعات بأن حجم ما يتم إنفاقه على الإعلانات والتجارة الإلكترونية يزيد على 50 مليون دولار سنوياً دون أن تخضع للمعاملة الضريبية.

وغالبية الشركات العاملة فى مجال الإعلانات الرقمية لا تخضع لقانون الضرائب الحالى، وذلك لأن غالبيتها لا يوجد مقر لها فى مصر مثل فيسبوك وجوجل وتويتر، وهو ما يفرض صعوبة قيام الحكومة بتحصيل ضرائب على الإعلانات المنشورة عليها. خاصة وأن مصر بها ما يزيد على 49 مليون مستخدم للإنترنت، وبلغ عدد مستخدمى التواصل الاجتماعى 35 مليوناً. حيث زادت نسبة الإقبال على التجارة الإلكترونية فى السوق المصرية بمتوسط مرجح يبلغ 8.8٪ فيما بلغ حجم سوق التجارة الإلكترونية فى مصر مستوى 6.1 مليار دولار.

وتأتى محاولة فرض ضرائب على الشركات المعلنة على «فيسبوك» و«جوجل»، بهدف زيادة الإيرادات الضريبية للدولة، وتوسيع قاعدة المتعاملين مع مصلحة الضرائب عن طريق البحث عن منافذ جديدة لتحصيلها، والحد من تسريب رؤوس الأموال الوطنية إلى الخارج دون الدخول فى دورة رأس المال والتى يكون لها تأثيرات اقتصادية محلياً، وتوظيف تلك العائدات من الضرائب فى خدمة برامج التنمية وتعزيز المسئولية الاجتماعية للشركات العاملة فى مجال الاتصالات والإنترنت، والاستثمار فى تطوير البنية التحتية المعلوماتية وفى نمو رأس المال البشرى.

وبالرغم من أنه لم ينص قانون ضريبة القيمة المضافة على إعفاء منصات التواصل الاجتماعى من الضريبة فى جدول الإعفاءات. وأن فرض ضرائب على إعلانات فيسبوك وجوجل سيؤدى إلى تحصيل ما يقرب من نحو مليار جنيه سنوياً تدخل خزينة الدولة.

وعادة تفرض الضرائب على أموال تدخل شركات أو مؤسسات مسجلة داخل مصر، وبالتالى لابد أن تكون لهذه الشركات مقار رئيسية فى مصر حتى يتم تحصيل ضرائب منها على الإيرادات، ومن ثم فإن الضريبة المقرر تحصيلها لن يدفعها مستخدم فيسبوك أو جوجل، ولكن من سيدفعها المالك للنافذة التى يتم الإعلان عليها. وذلك من خلال تطبيق ضريبة القيمة المضافة ونسبتها 14٪ بأثر رجعى منذ سبتمبر 2016، على إعلانات جوجل وفيسبوك، والمنصات الإلكترونية المختلفة المتحصلة من السوق المصرية، وهو ما يتطلب وضع تصور ودراسة شاملة لآلية تحصيل الضريبة على تلك الأنشطة. ومن أهم المتطلبات أو التحديات:

الأول، وجود المقرات الرئيسية للشركات التكنولوجية العاملة مثل «جوجل أو الفيسبوك» خارج مصر ومن ثم ضعف القدرة على تطبيق الولاية القضائية عليها أو تطبيق قانون الاستثمار الأجنبى.

الثانى، صعوبة حصر أو رصد الأموال التى يتم إنفاقها على الإعلانات سنوياً ومن ثم تكون هناك صعوبة فى التقدير المحاسبى أو بفاعلية فرض الضريبة.

الثالث، صعوبة مراقبة الإدارة الضريبية أو المأموريات أو وزارة المالية لشركات الدعاية والإعلان التى تنشر إعلاناتها عبر شبكات التواصل الاجتماعى.

الرابع، صعوبة إحصاء كامل للمنتجات أو السلع التى يتم نشرها أو بيعها عبر تلك المواقع أو المنصات وهو الأمر الذى يتطلب مساعدة تلك الشركات التى قد لا تفعل ذلك.

الخامس، صعوبة تحديد مكان أو نشأة المنتج سواء أكان من داخل مصر أو من خارجها، وهو ما يعمل على مشكلة فى تطبيق القانون.

وتبقى هناك فرص لتحقيق المكاسب وتقاسم العائد وإصلاح النظام الضريبى وذلك من خلال:

العنصر الأول، تطوير التشريعات الضريبية للدولة من أجل صياغة نموذج ضريبى يمكنها من فرض سيادتها على الدخل المتحقق من الصفقات والإعلانات الرقمية.

العنصر الثانى، إلزام البنوك المصرية بإخطار وزارة المالية والضرائب عن التحويلات المالية التى تتم سواء أكان هذا التحويل داخل الدول أو خارجها، وتحصيل نسبة تحت حساب الضريبة المستحقة وتوريدها.

العنصر الثالث، التنسيق بين كافة الجهات المعنية فى تدشين البنية التحتية المعلوماتية القادرة على استيعاب النمو فى حجم التجارة الإلكترونية.

العنصر الرابع، الاستفادة من تجارب الدول الكبرى التى تعتمد بشكل كبير على التعاملات الإلكترونية ونجحت فى تحصيل ضرائب على أرباح الشركات التكنولوجية.

العنصر الخامس، تحديث الإدارة الضريبية بتبنى أساليب الرقابة الحديثة والتى تعتمد على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ومتابعة وضبط أنشطة التجارة الإلكترونية.

العنصر السادس، عقد الاتفاقيات الضريبية وعدم وجود الازدواج الضريبى بين العديد من الدول للحيلولة دون فرض أكثر من ضريبة من قبل عدة دول على مكلف واحد، وإلزامها بتوريد الضريبة.

العنصر السابع، أهمية الأخذ بعين الاعتبار حقوق الملكية على المحتوى وحماية الصحافة المصرية من التأثيرات السلبية لإعلانات جوجل وفيسبوك، والسعى لتصبح مستفيدة من أرباحها.

العنصر الثامن، تعديل قانون ضريبة القيمة المضافة لإلزام الشركات الدولية بخصم الضرائب من الشركات المعلنة فى كل دولة وتوريدها لسلطات الضرائب بها.

العنصر التاسع، تكوين قاعدة بيانات بالتعاون مع أجهزة الضرائب فى العديد من الدول لتقليل فرص التهرب الضريبى فى مصر، فيما يخص خضوع التجارة الإلكترونية للضريبة.

أخيراً، العمل على تسهيل الإجراءات الجمركية والتحصيل والتسجيل والإقرار الضريبى للشركات إلكترونياً.

الأزمة الاقتصادية الفنزويلية وتداعياتها

تشغل فنزويلا موقعاً حيوياً فى أمريكا الجنوبية، زاد من أهميته ما تحتويه أراضيها من ثروات طبيعية هائلة، ويحتل البترول قمة هذه الثروات حيث إن فنزويلا بجانب أنها واحدة من أكبر الدول المنتجة والمصدرة للبترول فإن الاحتياطيات المؤكدة لديها تبلغ 300 بليون برميل، وهى أكبر كمية احتياطيات لدى أى من الدول المنتجة للبترول. ورغم ما تمتلكه فنزويلا من ثروات كبيرة فإنها تشهد فى الوقت الحالى أزمة اقتصادية طاحنة تفاعلت خلالها العوامل الاقتصادية والسياسية لتدفع بها إلى مستوى من التعقيد يجعل إيجاد أى حل لها أمراً بالغ الصعوبة والتعقيد.

سفير على مراد

alimourad62@hotmail.com

الأزمة الاقتصادية التى تعيشها فنزويلا فى الوقت الراهن بدأت فى عام 2014، حينما أخذت أسعار البترول فى الهبوط. ونظراً لأن البترول يمثل أكثر من 95٪ من صادرات فنزويلا، وأكثر من نصف الموارد الحكومية، وثلث الناتج القومى، فقد كان حجم الضرر الذى عانى منه الاقتصاد الفنزويلى غير محتمل، والذى أدى بدوره إلى تناقص قدرات الحكومة الفنزويلية التى تعتمد بشكل كبير على الاستيراد من الخارج لتوفير متطلباتها من الغذاء والأدوية والسلع الأساسية، وهو ما أدى إلى قلة المعروض وبالتالى إلى ارتفاع الأسعار وارتفاع نسبة التضخم لمعدل غير مسبوق.

ورغم أن الأزمة الحالية بدأت عام 2014، إلا أن جذور هذه الأزمة تعود إلى عام 1998 حينما تم انتخاب هوجو تشافيز رئيساً لفنزويلا، حيث انتهج نهجاً اشتراكياً لإدارة البلاد فكان أهم أولوياته تقديم الخدمات العامة وتحسين الأحوال الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للطبقات الفقيرة والعاملة والتى كانت تشكل الأغلبية، وبالفعل تم إنشاء آلاف المراكز الطبية لعلاج الفقراء، وتقديم الدعم فى مجالات الغذاء والتعليم وهو ما أدى إلى تحسن الأحوال المعيشية بشكل ملحوظ لهذه الطبقات، وبالطبع زيادة شعبية الرئيس تشافيز بشكل كبير.

وفقاً لتصورات الرئيس تشافيز والمحيطين به فإنه كان من أهم متطلبات توفير الموارد لتحسين الأحوال المعيشية للمواطنين السيطرة الكاملة على الموارد الاقتصادية للبلاد، فتم تأميم قطاع البترول وتعديل قانون شركة PDVSA لإدارة قطاع البترول والسماح لها بمشاركة الشركات الأجنبية على أن يكون للشركة الفنزويلية نسبة ملكية لا تقل عن ٦٠ ٪، أما على مستوى الصناعات المحلية والتى كانت قليلة فقد تم تأميم العديد من المصانع، وأسندت إدارة الشركات المؤممة بما فيها شركة PDVSA لمن يمكن اعتبارهم أهل الثقة من الشخصيات التى ترتبط أو تدعم هذا التوجه الحكومى الاشتراكى، بصرف النظر عما إذا كانت تتمتع بالكفاءة من عدمه، أو إذا ما كان من الممكن إغراؤها وتعريضها للفساد وهو ما أدى إلى هبوط إنتاجية هذه المصانع أو إغلاقها، إما بسبب الفساد أو سوء الإدارة. فإذا أضيف إلى ذلك أن فرض تسعيراً جبرياً بهامش ربح بسيط على المنتجات التى تباع للمواطنين تضرر منه أصحاب المصانع التى لم تؤمم وبالتالى قاموا بإغلاق مصانعهم. وهو ما أدى إلى تعرض الصناعة المحلية لأضرار كبيرة وبالتالى أدى إلى نقص السلع فى الأسواق، وبالتالى زيادة الواردات. فإذا ما أخذنا فى الاعتبار تأثير هذه العوامل السلبية مجتمعة، بالإضافة إلى انخفاض دخل الدولة من الصادرات البترولية أى تناقص قدرة الدولة على الاستيراد، فإن الناتج كان المزيد من نقص السلع فى الأسواق، والمزيد من التضخم.

شهد عام 2010 نقصاً للسلع الغذائية والاستهلاكية بصورة كبيرة فى الأسواق، علاوة على نقص العملات الأجنبية نتيجة تزايد الاستيراد، وهو ما أدى إلى إعلان الرئيس تشافيز أن بلاده تتعرض لحرب تجارية وبناء على ذلك قام باتخاذ عدد من الإجراءات التى تحكم سيطرة الدولة على إنتاج وتسويق السلع الاستهلاكية، وقام بتخفيض قيمة العملة الفنزويلية، كما تم وضع العديد من القيود على تداول العملات الأجنبية، التى أدت بدورها إلى أن يشهد قطاع البنوك العديد من حالات الفساد التى تورط فيها عدد من كبار مسئولى الدولة وكمثال لذلك فقد وجه المدعى العام الفنزويلى مؤخراً اتهاماً لوزير البترول الأسبق ورئيس شركة PDVSA رفائيل راميرس (فى الفترة 2002 - 2014، والذى أنهى خدمته الحكومية مندوباً دائماً لفنزويلا لدى الأمم المتحدة) باختلاس مبلغ 4.2 بليون دولار بالاشتراك مع ابن عمه Deigo Salazar من خلال بنك Andorra الخاص.

صاحب الاعتماد المتزايد على المؤيدين بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى سواء فيما يتعلق بالكفاءة أو طهارة اليد، بالإضافة إلى انعدام الشفافية، استشراء الفساد فى فنزويلا وخاصة فى الشركة الحكومية للبترول PDVSA، وطبقاً لما أعلنه المدعى العام فى ديسمبر 2018 بعد إلقاء القبض على أربعة من كبار مسئولى الشركة فإنه منذ عام 2012 تم إلقاء القبض على أكثر من 100 من مسئولى الشركة بتهم الاختلاس أو الفساد منهم ثلاثة من وزراء البترول ورؤساء الشركة السابقين، وتتراوح المبالغ التى اتهم المسئولون باختلاسها أو إضاعتها على الدولة لكل حالة بين 10 ملايين دولار، و 4.8 بليون دولار.

كان نتيجة استشراء الفساد وسيطرة

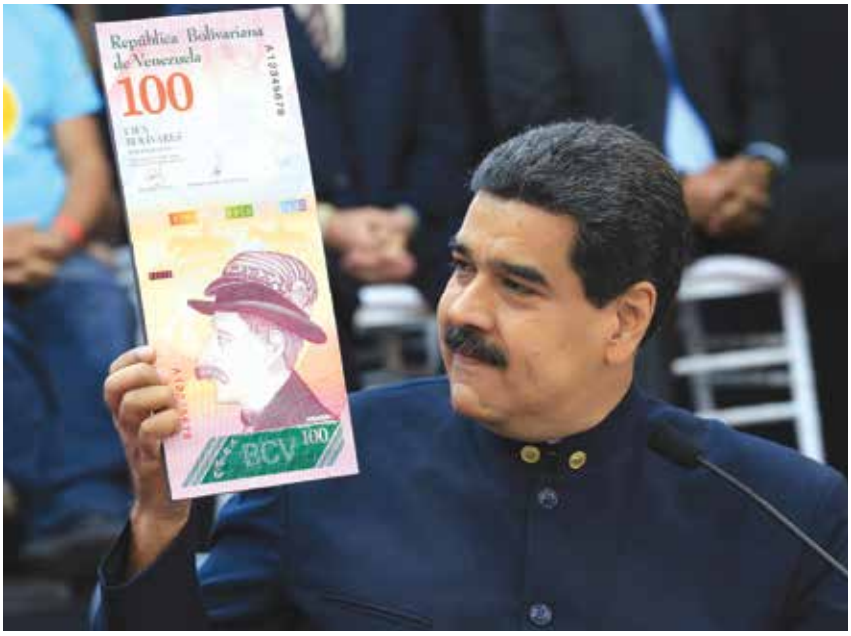

فنزويلا تلغى 3 اصفار من العملة الفنزويلية لمواجهة الأزمة الإقتصادية

ذوى الحظوة والنفوذ على نظام الحكم زيادة معدلات الجريمة ومنها الاتجار فى المخدرات، ولعل أبرز الحالات التى كانت مثيرة للجدل هى قيام القوات الأمريكية لمكافحة الاتجار فى المخدرات فى هايتى يوم 10 نوفمبر 2015 بإلقاء القبض على كل من (Flores de Freites/ Cambo Flores) ابنى عم سيليا فلورس زوجة الرئيس مادورو بتهمة تهريب المخدرات وجاء فى أقوالهما ما يفيد بتورط كبار رجال الدولة فى نشاطهما. حيث ذكرا أسماء كل من Diosdado Cabello الرئيس السابق للبرلمان الفنزويلى، وطارق العيسمى حاكم ولاية Aragwa (ووزيراً للداخلية، ثم نائباً للرئيس فيما بعد)، وWalter Gacobo، وهو نجل زوجة الرئيس الفنزويلى مادورو، ويعمل قاضياً فى كاراكاس.

تزامن مع الإنفاق الكبير على تحسين الأوضاع المعيشية للمواطنين، والذى مثل ضغطاً كبيراً على الموازنة التى تشكل الموارد البترولية أكثر من 95٪ من إيراداتها، تطلع الرئيس تشافيز إلى الزعامة فى منطقة الكاريبى فقام فى عام 2005 بإنشاء تحالف دول البترو - كاريبى الذى يتكون من 17 دولة من دول الكاريبى، وبموجب الاتفاق الذى تم توقيعه لهذا التحالف فإن الدول المشاركة تحصل على البترول الفنزويلى بتخفيض يتراوح بين 5 ـ 50 ٪ من السعر السوقى للبترول، ويتم السداد على فترة تتراوح بين 17 - 25 عاماً، مع وجود فترة سماح تتراوح بين عام واحد أو عامين، بفائدة 1٪ إذا كان سعر البترول يزيد عن 40 دولاراً للبرميل. وهو ما يمثل إهداراً كبيراً فى أهم مورد من موارد الدولة من العملات الأجنبية.

من العوامل الإضافية التى أثرت سلبياً وبصورة كبيرة على الاقتصاد الفنزويلى تحالف رجال الأعمال والصناعة والذين كانوا يتحكمون فى الاقتصاد قبل انتخاب تشافيز (ذى التوجهات الاشتراكية) مع الشركات والحكومات الغربية وهو ما أدى لوضع العديد من العقبات أمام تطور الاقتصاد الفنزويلى وخلق المشاكل التى تحول دون نهوضه.

وفى ضوء ما سبق من عوامل والتى شكلت أساس الأزمة الاقتصادية فى فنزويلا، أخذت الأزمة فى التصاعد تدريجياً منذ عام 2014، وكان أهم مظاهرها التضخم الرهيب فى مستوى الأسعار والذى بلغ مع نهاية عام 2018 المنقضى أكثر من 1000000٪ (مليون فى المائة)، علاوة على تناقص الناتج القومى الإجمالى من 2013 - 2017 بنسبة 18٪، كما تناقص خلال عام 2018 بنسبة 18٪. وتعانى البلاد خلال هذه الأزمة نقصاً شديداً فى المعروض من المواد الغذائية والأدوية والمستلزمات الطبية، ومستلزمات النظافة والعناية الشخصية. ووفقاً لبيانات الأمم المتحدة فقد أدت هذه الأزمة إلى هجرة ما يقرب من 2.3 مليون فنزويلى فى الفترة من 2014 إلى 2017 (كولومبيا 600.000، الولايات المتحدة 290.224، أسبانيا 208.333، أكوادور 39.519، البرازيل 35.000، بيرو 26.239، شيلى 119.051).

ولمواجهة هذا التدهور الاقتصادى الكبير اتخذت الحكومة عدداً من الإجراءات أهمها:

- حذف خمسة أصفار من العملة الرسمية البوليفار. (الدولار الأمريكى حتى عام 2010 كان يساوى 6 بوليفار، أما الآن وقبل حذف الأصفار الخمس فكان يساوى 600.000 بوليفار).
- مضاعفة الحد الأدنى للأجور 34 مرة.
- ربط البوليفار بعملة Petro وهى عملة افتراضية ترتبط باحتياطيات فنزويلا من البترول.

وبعد فإنه على الرغم من أن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة الفنزويلية لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية الشديدة تبدو إجراءات مناسبة على المستوى الاقتصادى إلا أن احتمالات تجاوز هذه الأزمة تبدو ضعيفة للغاية، حيث إن هذه الإجراءات تتعامل مع مظاهر الأزمة وليس مع جذورها، كما أنها تفتقر إلى التعامل مع الجانب السياسى للأزمة التى تعيشها فنزويلا فى الوقت الراهن. يضاف إلى ذلك أن العديد من الدول المجاورة والتى كانت مساندة للحكومة الفنزويلية، تخلت عنها وأصبحت داعمة للمعارضة، ولعل مواقف الدول أعضاء Lima - Group، التى تعارض المواقف السياسية للحكومة الفنزويلية وبصفة خاصة تراجع الديمقراطية، تظهر صعوبة موقف الرئيس مادورو ونظامه، خاصة وأن هذه المجموعة تضم دولاً مثل البرازيل، والأرجنتين، وهى دول مؤثرة فى منطقة الكاريبى وكانت من قبل من أشد مؤيدى الحكومة الفنزويلية. فإذا أضيف إلى ذلك أن أكثر من 60 دولة من دول العالم (أغلبها دول الاتحاد الأوروبى والأمريكتين) لا تعترف بصحة الانتخابات التى أدى بموجبها الرئيس مادورو فترته الرئاسية الثانية يوم 10 يناير 2019، يمكن التعرف على حجم صعوبة الموقف أمام الحكومة الفنزويلية والضغوط التى تواجهها بالتوازى مع الأزمة الاقتصادية.

ما بعد قمة بيروت الاقتصادية.. الفرص والتحديات

ينظر لمؤتمرات القمة العربية على أنها أعلى درجات التنسيق العربى المشترك والآلية الأنجح لإنجاز الملفات وحسم القضايا، طالما تبلور حولها إجماع عربى خاصة وأن منطقة التجارة العربية الحرة واتفاقية تيسير التجارة البينية العربية والتى تعد أهم إنجاز اقتصادى للدول العربية كانت إحدى نتائج القمة العربية التى عقدت بعمان عام 1997.

ورغم هذه النظرة الإيجابية إلا أن القمة العربية الاقتصادية الأخيرة التى عقدت يناير الماضى فى العاصمة اللبنانية بيروت، مثلت تراجعاً عن هذه النظرة حيث خلت توصياتها من أى قرار تنفيذى جديد يتعلق بالملفات الاقتصادية العربية الأكثر إلحاحاً مثل حلم إنشاء اتحاد جمركى عربى الخطوة الأولى لإقامة السوق العربية المشتركة، حيث اكتفى البيان الختامى أو إعلان بيروت بالإشارة إلى متابعة تطورات إقامة منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى ومتطلبات الاتحاد الجمركى العربى.

وفى المقابل فإن قضية اللاجئين سيطرت على جدول أعمال القمة والتوصيات حيث دعا إعلان بيروت المجتمع الدولى إلى مضاعفة الجهود الجماعية لتعزيز ظروف عودة النازحين واللاجئين خاصة السوريين إلى أوطانهم، وتقديم المساعدات للنازحين واللاجئين فى أوطانهم تحفيزاً لهم على العودة. ومناشدة الدول المانحة الاضطلاع بدورها فى تحمل أعباء أزمة النزوح واللجوء والعمل على تقديم التمويل المنشود للدول المضيفة لتلبية حاجات النازحين واللاجئين ودعم البنى التحتية. وإقامة المشاريع التنموية لديها للمساهمة فى الحد من الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على هذه الاستضافة.

ويحسب لقمة بيروت أنها تبنت خطوة واحدة فقط للمستقبل تمثلت فى المبادرة الكويتية لإنشاء صندوق للاستثمار فى التكنولوجيا والاقتصاد الرقمى برأس مال 200 مليون دولار. إلى جانب تعهد القمة بدعم جهود الدول العربية الرامية لخفض مؤشر الفقر بنسبة 50٪ بالمنطقة العربية بحلول عام 2030، وهذا الدعم عبر عنه السيد أحمد أبوالغيط أمين عام الجامعة العربية فى كلمته بالقمة حيث قال: إن الإسراع بانتشال أكبر عدد من السكان من هوة الفقر المدقع هو الطريق الأمثل لتجفيف منابع التطرف والإرهاب، مشيراً

أحمد عبد السلام

باحث فى الشئون الاقتصادية فى الأهرام

إلى أن نحو 20 فى المئة من سكان العالم العربى يعيشون فى أوضاع تدخل تحت مسمى الفقر المتعدد الأبعاد.

خروج إعلان بيروت بهذا الحد الأدنى من التعاون العربى - العربى إنما يرجع إلى تحديات تواجه العمل العربى المشترك تتمثل فى سيطرة الخلافات السياسية وقضايا الإرهاب والتوترات الأمنية التى تعصف بكثير من الأقطار العربية خاصة سوريا واليمن والعراق وليبيا وحتى لبنان نفسها بجانب الخلاف من الموقف من إيران مما أدى لغياب معظم الزعماء العرب عن القمة باستثناء زعماء 4 دول منهم رئيس الدولة المضيفة لبنان.

لكن هل هذا يعنى أنه لا يوجد مستقبل للتعاون العربى بما قد يغير قواعد اللعبة ويدفع السياسيين لنبذ خلافاتهم والعمل بجدية من أجل إرساء تكامل اقتصادى حقيقى بين الأقطار العربية، بما ينعكس على رفاهية الشعوب، والأهم يزيد من مكانة المنطقة العربية على خارطة السياسة الدولية والتكتلات الاقتصادية الآخذة فى التصاعد. فبعد أن كان الاتحاد الأوروبى هو التجمع الأبرز سياسياً واقتصادياً شهدنا مولد تجمع الآسيان وتجمعات اقتصادية عديدة بإفريقيا، وأحدث تجمع اقتصادى ظهر مؤخرا ليجمع قدرات روسيا الاتحادية فى أقصى الشمال والهند والصين شرقاً والبرازيل غرباً وجنوب إفريقيا جنوباً فيما يطلق عليه تجمع دول بريكس BRICS، التى أنشأت بنكاً مشتركاً لتمويل عمليات التنمية وتسعى بقوة لزيادة علاقاتها الاقتصادية خاصة التجارية.

وبالنظر لمستقبل التعاون العربى المشترك نجد أن إحدى الثمار غير المباشرة لثورات الربيع العربى أنها أعادت قضايا الإصلاح الاقتصادى والتنمية لبؤرة الاهتمام العام، سواء من قبل صانع السياسة أو رجل الشارع العادى. فالكل ينظر للاقتصاد الآن باعتباره حجر الأساس فى استقرار الدول العربية، لأن أى تعثر اقتصادى فى دولة عربية ما يهدد بأزمة سياسية مثلما يحدث فى السودان حالياً، كما أيقن الجميع أن المنطقة العربية تمتلك فرصاً هائلة للنمو والتقدم نظراً لما تحتويه من ثروات طبيعية هائلة تتمثل فى بترول وغاز وثروات تعدينية بجانب ثروة أهم من الموارد البشرية الشابة كفيلة بوضع المنطقة العربية ضمن أكبر 5 تكتلات اقتصادية على مستوى العالم وبالتالى مزيداً من الصقل السياسى للعرب.

لكن كيف نترجم هذا الاهتمام الرسمى والشعبى بقضايا الاقتصاد والتنمية؟ وكيف نقنع صانع السياسة فى جميع الدول العربية بأهمية الإسراع فى خطوات التكامل الاقتصادى فى ظل نظرة البعض إلى وجود تنافس غير حميد بين الدول العربية؟ لاشك أن المهمة ليست صعبة بفضل حجم العمل الذى أنجز على طريق التكامل العربى حتى الآن. فالمتابع لأجندة اجتماعات القمم العربية خاصة فى آخر 3 قمم، والتى عقدت فى الرياض والكويت وبيروت، لاشك سيلاحظ الجهد الكبير الذى يبذل فى الاجتماعات التحضيرية وكم التقارير والتوصيات التى ترفع للزعماء العرب، والتى لو تم الأخذ بها لقطعنا شوطاً كبيراً على طريق السوق العربية المشتركة خاصة وأن هذا الحلم ينقصه فقط قليل من

الإجراءات ليتحقق.

وهذه الإجراءات تتمثل فى إنشاء الاتحاد الجمركى العربى الذى تم الاتفاق بالفعل على إنشائه، كما تم الانتهاء من كثير من الترتيبات الخاصة به خاصة على الصعيد الفنى ونظم العمل، ويتبقى فقط توحيد قواعد المنشأ للمنتجات الصناعية المتبادلة إلى جانب الربط الإلكترونى بين سلطات الجمارك بجميع الدول العربية، والاتفاق على جميع التفاصيل الفنية الأخرى المتعلقة بمنظومة الجمارك خاصة النواحى الرقابية والتعامل مع محاولات التهريب والسلع الممنوع تداولها.

أيضاً فإن حلم إقامة السوق العربية المشتركة يقترب فى حالة الموافقة على اتفاقية النقل البحرى للركاب والبضائع بين الدول العربية التى تم التوصل لها على مستوى الخبراء منذ 4 سنوات ولاتزال تراوح مكانها حتى الآن، ناهيك عن الحاجة لاتفاقية أخرى للنقل البرى الذى يواجه بالكثير من العراقيل والمشكلات، مما يحد من حجم التجارة العربية البينية إلى حد كبير، رغم أن أغلب الدول على مستوى العالم والتى حققت طفرة فى حجم تجارتها الدولية كان أساسها التجارة عبر الحدود مع دول الجوار، نرى هذا فى حجم تجارة ماليزيا مع إندونيسيا على سبيل المثال، وحجم تجارة اليابان مع الصين، أو حجم تجارة كندا مع الولايات المتحدة الأمريكية، وفى كل تلك الحالات نتحدث عن أرقام بعشرات المليارات من الدولارات.

أما إذا نظرنا للحالة العربية نجد أن الشريك التجارى الأول لمعظم الأقطار العربية من خارج المنطقة العربية مثل الصين أو الاتحاد الأوروبى أو الهند، رغم أن هناك فرصاً تجارية ضخمة يمكن للدول العربية أن تضاعف من خلالها حجم التجارة العربية البينية، وهو ما يرجع إلى تفاوت المستوى الذى بلغته الصناعة والخدمات على سبيل المثال بين بلد عربى وآخر، فمثلاً تمتلك مصر قاعدة صناعية متطورة يمكنها تلبية احتياجات المنطقة العربية بالكامل، ولعلها مفاجأة للكثيرين أن نعلم أن مصر تصدر لألمانيا ماكينات ومعدات تستخدم فى تصنيع المنتجات الغذائية رغم أن ألمانيا يطلق عليها بلد الماكينات.

وتمتلك مصر خبرات كثيرة فى الملف الاقتصادى مثل خبراتها فيما يتعلق بمفاوضات منظمة التجارة العالمية، أو قضايا الدعم والإغراق، أو فى تطوير السياسات المالية والنقدية، أو فى مجال الصناعات التحويلية خاصة البتروكيماويات وكل هذه الخبرات يمكن الاستفادة منها عربياً ليس فقط لإصلاح السياسات المحلية بالدول العربية الأخرى وإنما لبلورة رؤية عربية موحدة إزاء القضايا المطروحة فى المحافل الدولية التى تتزايد الضغوط عليها حالياً بسبب سياسة الرئيس الأمريكى دونالد ترامب أمريكا أولاً. وفى مقابل تلك الخبرات المصرية هناك خبرات عربية يمكن للقاهرة الاستفادة منها مثل خبرة الأردن فى استثمار أموال التأمينات الاجتماعية، حيث تعد عمان نموذجاً ناجحاً فى هذا المجال، بل إن رئيس الوزراء الأردنى الحالى عمر الرزاز استفاد من هذا النجاح باعتباره كان يشغل منصب رئيس هيئة التأمينات الاجتماعية الأردنية.

كما أن المغرب يمتلك تجربة ثرية فى ملف الإسكان وتخصيص الأراضى للبناء، فبفضل ما تقدمه الحكومة المغربية من تيسيرات للقطاع الخاص نجحت فى حل تلك المشكلة التى تعانى منها العديد من الدول العربية ومنها مصر، التى تشهد انفجاراً فى أسعار العقارات بأسواقها بما يهدد بفقاعة عقارية. إضافة إلى أن الفوائض المالية الضخمة لدى دول الخليج وحتى ليبيا والجزائر تحتاج لأسواق للاستثمار الآمن وعالى الربحية، ولا يوجد أفضل من المنطقة العربية التى تلبى هذه المعايير لجذب تلك الفوائض المالية، والاستفادة أيضاً من الفرص الاستثمارية الضخمة المتوافرة بالعديد من الأقطار العربية وعلى رأسها مصر والسودان وتونس والمغرب وكل الدول العربية، خاصة وأن تنمية المنطقة العربية أصبحت ضرورة سياسية وأمنية للأنظمة العربية، وأفضل رد على المخاطر المتزايدة التى تواجهها المنطقة العربية الآن سواء بسبب تمدد نفوذ إيران أو تركيا أو إسرائيل المستفيد الأول من حالة الضعف العربية الراهنة.

مفاتيح النجاح الاقتصادى فى الصين

عندما نتحدث عن الصين اقتصادياً فلا يمكن لنا أن يمر هذا الحديث مرور الكرام، ولكن هناك سياسة أخذت من الانفتاح الاقتصادى عنواناً لها ومتمثلة فى عوامل عدة. واسمحوا لى أن أسردها لكم، فالعامل الأول والأهم هو العامل السياسى وقدرة القيادة السياسية على هذا الانفتاح، ثم العامل الثانى وهو التخطيط الاقتصادى، وكيفية استخدام التدرج فى الإصلاح، ثم يأتى العامل الثقافى وتوفير العوامل البيئية التى تتمثل فى بيئة العمل والتى وفرتها القيادة السياسية والتنفيذية، وبهذه العوامل نؤكد أنها كانت المفاتيح للنجاح الاقتصادى العالمى للصين.

أبو اليزيد عمارة

باحث بمركز الوعى العربى للدراسات الاستراتيجية

a.elyazeed84@gmail.com

فمنذ أربعين عاماً قدمت الصين نموذجاً مهماً لسياسة الانفتاح، ونأتى بهذا النموذج بعد دراسة التجارب والسياسات الاقتصادية الناجحة فى دول الجنوب، وكانت السياسة الاقتصادية لغزاً يستحق الدراسة. وهنا تأتى القيادة السياسية على قمة التحدى من خلال إعلان دنج سياو بينج عام 1978 أن مستقبل الصين يعتمد على Gaige Kaifang (الإصلاح والانفتاح على الغرب) ومن ثم قامت الصين باتخاذ قرار تاريخى بتبنى سياسة الانفتاح والإصلاح، إذ قامت بإصلاح نظامها الاقتصادى، من خلال الاندماج فى الاقتصاد العالمى. فضلاً عن اتخاذها خطوات لإعادة هيكلة نظامها السياسى، وخصصت موارد كبيرة لتنسيق العلاقات مع جيرانها، على الرغم من التكاليف البيئية وعدم المساواة الاجتماعية، وتفاوت التنمية فيها، ومحاولات تضييق الصراعات الاجتماعية، وتضييق عدم المساواة الإقليمية بين المدن الريفية والحضرية.

وفى ضوء هذه التغييرات، يعرض هذا المقال عوامل نجاح هذه السياسة، التى تعد عوامل داخلية صرفة، سواء عامل القيادة السياسية، أو العامل الثقافى أو عامل التخطيط الاقتصادى والتدرج فى الإصلاح.

وقد أثارت التجربة الصينية إشكالية سياسة الإصلاح الاقتصادى والعوامل الداخلية خاصة دور القيادة السياسية الصينية، والثقافة الصينية، والتخطيط الاقتصادى. وهو ما سيتم التطرق إليه فى ثنايا هذا المقال بعد الدراسة، ومن ثمّ، تتمثل المشكلة البحثية فى تحديد العوامل التى ساهمت فى نجاح سياسة الانفتاح الصينية، والمتمثلة فى مجموعة من العوامل، أبرزها العامل السياسى أى القيادة السياسية، والعامل الثقافى، وعامل التخطيط الاقتصادى، وقد تثير هذه المشكلة البحثية العديد من الأسئلة، ونأتى هنا بالسؤال الرئيسى ما العوامل والمفاتيح التى ساهمت فى نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى فى الصين؟

ثم الأسئلة الفرعية والمتعلقة بما هو دور العامل السياسى «القيادة السياسية» فى نجاح سياسة الانفتاح؟ وأيضاً ما دور العامل الثقافى فى نجاح سياسة الانفتاح؟ وكذلك ما دور عامل التخطيط الاقتصادى والتدرج فى الإصلاح فى نجاح سياسة الانفتاح؟ وتتحدد الفترة الزمنية للدراسة من 1978 حتى 2018 بدءاً من رئاسة دنج سياو بينج، وهى التى أطلقت فيها هذه السياسة، حتى الرئيس الصينى الحالى.

ويتطرق مقالى هذا بعد الدراسة باستخدام منهج تحليل النظم لديفيد إستون، وفقاً للمدخلات التى تتمثل فى العوامل التى ساهمت فى نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى، والعمليات وهى عبارة عن آليات عمل الرؤساء الصينيين. والمخرجات وهى نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى فى الصين.

ونأتى هنا بسرد المفاتيح بشكل أكاديمى بحثى للعالم بأسره للاستفادة من هذا النموذج ويكون السرد مقسماً إلى أربعة مفاتيح:

المفتاح الأول: ملامح سياسة الانفتاح الاقتصادى ففى ديسمبر عام 1978 فى الجلسة الكاملة الثالثة لمؤتمر الحزب الحادى عشر، اتخذت السلطات الصينية قراراً مهمًا بتجنب العقائد الشيوعية، والتصدى لعقود من سوء الإدارة الاقتصادية والاجتماعية؛ من أجل فتح البلاد أمام التجارة والاستثمار الأجنبيين. فقد انتهت الثورة الثقافية التى استمرت عقدًا من الزمن منذ ذلك الحين؛ مما ترك البلاد فى حالة من الفوضى. وكانت الصين فى حالة حرب مع فيتنام، ولكن فى شهر ديسمبر 1978 استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، وبالتالى كانت الصين مستعدة لبداية جديدة، وقد لعبت القيادة السياسية فى الصين دوراً محورياً فى الدفع بسياسة الانفتاح الاقتصادى. إذ تصدرت أولويات الرئيس دنج سياو بينج، هدف الإصلاح الاقتصادى وتحقيق مستوى من العيش الكريم للمواطن الصينى وصولاً إلى رفاهية هذا المواطن.

ولقد هدف سياو بينج هذا الزعيم الصينى إلى زيادة الإنتاج والوصول بالمجتمع إلى الرفاهية الاقتصادية، وفى سبيل تحقيق ذلك فإن على الصين أن تسير فى الطريق الذى يوصلها إلى ذلك بغض النظر عما إذا كان اشتراكياً

أم رأسمالياً، وبالتالى يمكن القول، إن عام 1978 شهد بداية النهضة الاقتصادية لجمهورية الصين الشعبية، هذه النهضة التى حققت الكثير من الإنجازات ومازالت تسعى لتحقيق المزيد منها. وما يشهده الاقتصاد الصينى من معدلات نمو كبيرة جداً، وارتفاع فى الناتج القومى، وتحسين فى مستوى المعيشة للمواطن الصينى دليل على ذلك. ومما لاشك فيه أن مثل هذه التطورات الكبيرة على المستوى الاقتصادى تزيد من فرص الصين أن تحتل مكانة متميزة على مستوى العالم. فالرؤية الصينية للإصلاحات الاقتصادية تستند على اعتبار أن إجراء هذه الإصلاحات من أبرز أولويات السياسة الخارجية الصينية لارتباطها باستقرار المجتمع وتحسن مستوى المعيشة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك بدون هذه الإصلاحات: لقد خرج المارد الاقتصادى الصينى من قمقمه، وانطلق مندفعاً منافساً للقمم الاقتصادية العالمية.

المفتاح الثانى وهو العامل السياسى «القيادة السياسية» والذى يتناول التركيز على دور القيادة السياسية فى الصين فى التخطيط وتنفيذ سياسة الانفتاح الاقتصادى، وبموجب ذلك فقد جاءت عمليات الإصلاح الاقتصادى من داخل وتحت مظلة الحزب الشيوعى الصينى نفسه وليس انقلاباً من فئات سياسية خارجة عنه كما حصل فى أوروبا الشرقية. كما لم تتخل القيادة الصينية عن أولوية القطاع الزراعى لصالح القطاع الصناعى كما هو شأن التجربة السوفيتية والأوروبية الشرقية، حيث أسهم ذلك فى تعجيل الفشل الاقتصادى ومن ثم السياسى والأيديولوجى فى هذه التجارب.

المفتاح الثالث وهو العامل الثقافى ويتناول التركيز على الثقافة الكنفوشيوسية ودورها فى نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى فى الصين، وأهم عوامل تبنى سياسة انفتاح اقتصادى جديدة، خلق ثقافة سياسية جديدة لدى النخب الحاكمة، تسمح ببناء وعى سياسى جديد يؤدى إلى إعادة صياغة مصادر الشرعية وبناء المؤسسات، وهذا يحتاج إلى حاضنة ثقافية؛ من أجل تحقيق تطلعات الشعوب، ويمكن تفسير هذه الظاهرة من خلال مبدأين: أولهما، الفرق بين «الداخل والخارج»:

تصنف العلاقة بين الأب والأم والزوج والزوجة على مبدأ «الداخل والخارج» أو القريب والغريب، فمسافة القرب والبعد لعائلة الزوجة وعائلة الزوج ليست نفسها.

فالجدّ والجدّة من جانب الأم يصنّفان فى جهة «الخارج»، والجدّ والجدّة من جانب الأب، يصنّفان فى جهة «الداخل». أما المبدأ الثانى، فهو البناء الهرمى للعائلة الصينية، حيث تولى الثقافة الصينية أهمية كبيرة للتراتبية بين الإخوة من الكبير نحو الصغير، لحفظ المقامات دون خلط.

المفتاح الرابع: وهو عامل التخطيط الاقتصادى والتدرج فى الإصلاح، ولقد ساهم فى نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى فى الصين، الاعتماد على التخطيط الإستراتيجى، والتدرج فى تنفيذه، وأدى التخطيط الإستراتيجى إلى تحقيق طفرة اقتصادية هائلة، بعد مرور ثلاثين عاماً على الخمسيّة السادسة، حيث استقرّت نسب النموّ فى الناتج المحلى الإجمالى عند 9.8%، أو يزيد؛ مما أهَّل الصّين لتصبح ثانى أكبر اقتصاد فى العالم بنهاية الربع الثانى من العام 2010. فبعد أن كان الناتج المحلى فى العام 1978 نحو 364 مليار يوان، بلغ فى العام 1991 نحو 2 تريليون يوان، ووصل فى العام 2001 إلى نحو 10 تريليونات يوان، وفى العام 2011

مفاتيح النجاح الاقتصادى فى الصين

إلى نحو 47 تريليون يوان؛ ومازال فى نموّ مستمر حتى بلغ فى نهاية العام 2015 نحو 70 تريليون يوان، ولقد ركزت سياسة الانفتاح الاقتصادى على تطوير التعليم، والبحث العلمى؛ وهو الأمر الذى أسهم فى توليد أنماط تكنولوجية أسهمت فى الاكتشافات العلميّة والابتكارات التكنولوجية المهمّة، وبما يؤثر بالإيجاب على القدرة التنافسية للصّين، وشكّلت الحلول الجديدة العاملَ الرئيسى فى صناعة النهضة الشاملة. وقد دعمت عمليّات تطوير تكنولوجيا المعلومات والبرمجيّات الاقتصادَ الصينى بصفة عامّة، وقادت تقنيّات المعلومات والاتصالات إلى الحدّ من تكلفة رأس المال، وزيادة القيَم المضافة للمنتجات الصينية، فضلاً عن الجهود الرامية إلى زيادة إنتاجية المشروعات الصينية عن طريق تطوير رأس المال البشرى بالسبل كافّة. وقد تمكّنت العقول من ثمّة من ابتكار تقنيّات محلية استخدمت فى إنتاج السلع بتكاليف منخفضة، وبجودة متنوّعة الدرجات، وذلك لكى تتناسب مع الإمكانيّات المختلفة للشرائح المستهلكة فى كلّ بلد مستورد للمنتجات الصينية. هكذا، تمكّنت السلع من اختراق الأسواق الدولية بسهولة ويسر، ما أدّى إلى زيادة نموّ حركة التجارة لصالح الاقتصاد الصينى، فضلاً عن اعتماد الصين أسلوب عمل الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل تدريجى، هو ما يميز التجربة الاقتصادية، حيث العمل بنظام اقتصاد السوق ومغادرة نظام التخطيط المركزى. فقد اقتصرت التجربة فى البداية على مناطق محدودة، والعمل على نقلها إلى كل المناطق فى البلاد فى حال نجاح التجربة. كما أن الأسلوب التدريجى كان واضحاً أيضاً فى أن تقتصر تجربة الإصلاح على قطاع معين ثم تعميمها على القطاعات الأخرى. فتم اختيار قطاع الزراعة، ثم انتقلت إلى بقية القطاعات الأخرى. هذا الأسلوب قد ساعد على استمرار هذه التجربة وعدم فشلها، وهنا نؤكد أن الفضل يرجع إلى دينج سياو بينج الذى وصل إلى السلطة فى الصين عام 1978 وبدأ تطبيق سياسة الإصلاح الاقتصادى والانفتاح على العالم، كبداية مرحلة جديدة فى مسيرة جمهورية الصين الشعبية، والتى حققت لها فيما بعد نتائج مذهلة، بل أصبحت نموذجاً يشار إليه من قبل بقية دول العالم، ولقد حققت سياسة الانفتاح الاقتصادى تحولات كبيرة فى الاقتصاد الصينى، وتبين ذلك معدلات النمو الاقتصادى العالية التى تحققت، وارتفاع الناتج المحلى الإجمالى فيها، وارتفاع معدل الاستثمارات الأجنبية فى الصين، وزيادة مساهمة الصين فى حجم التجارة العالمية؛ مما أدى إلى تحسن ملحوظ فى مستوى دخل الفرد فى الصين، قياساً مع الفترة السابقة على تطبيق هذه السياسة. فكانت ومازالت تحقق مستويات أكبر مما تحقق فى أية دولة أخرى، وساهمت العديد من العوامل فى نجاح هذه السياسة، لعل أبرزها العامل السياسى/ القيادة السياسية، والعامل الثقافى، وعامل التخطيط الاقتصادى والتدرج فى الإصلاح، ولقد كان معدل التنمية السنوى للاقتصاد الصينى 1978 حتى 2017 قرابة 9.5% فى المتوسط، وازدادت حصة الصين فى الاقتصاد العالمى من 1.8 إلى حوالى 15%،

وكان متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى عام 1978 فى الصين نحو 155 دولاراً أمريكيا فقط، وكان ترتيبه الثالث فى ذيل قائمة دخل الفرد فى العالم. وفى عام 2017 وصل هذا الرقم إلى أكثر من 8800 دولار أمريكى، وأصبحت الصين من دول الدخل المتوسط الأعلى.

فضلاً عن انخفاض نصيب قطاع الزراعة فى الناتج المحلى الإجمالى بنحو 16.7% ونصيب قطاع الصناعة 7.2%، وارتفع نصيب قطاع الخدمات إلى 23.9% فى الناتج المحلى الإجمالى. وارتفعت نسبة الحضر من 17.9% عام 1978 إلى 58.5% عام 2017، وبالتالى حققت أعلى معدل للتحول الحضرى فى العالم. وقد حققت إنجازات كبيرة فى البنية التحتية، فزادت كثافة السكك الحديدية من 53.0% كيلومتر لكل مائة كيلومتر مربع عام 1978 إلى 1.3 كيلومتر لكل مائة كيلومتر مربع حالياً، بنسبة زيادة قدرها 144.3%، ووصل طول السكك الحديدية فائقة السرعة إلى أكثر من عشرين كيلومتراً، ليحتل بذلك المرتبة الأولى فى العالم.

وفى مجال الرعاية الصحية والتعليم الأساسى، زاد متوسط العمر المتوقع للفرد عند الولادة من 65.8 سنة عام 1978 إلى 76.1 عام 2015، بزيادة قدرها 10.3 سنة، وزاد عدد الأطباء لكل عشرة آلاف فرد من 10.8 عام 1978 إلى 23.1 عام 2015، ومن أبرز المؤشرات على نجاح سياسة الانفتاح الاقتصادى الصينية، المؤشرات الكمية. إذ تجاوزت نسبة مساهمة الاقتصاد الصينى فى الاقتصاد العالمى 30% لسنوات عديدة، وبلغ الاقتصاد الصينى حوالى 115% من حجم الاقتصاد الأمريكى. وبلغ حجم الناتج المحلى للصين عام 2017 حوالى 80 تريليون يوان «الدولار الأمريكى يساوى 6.6 يوان تقريباً»، وتم خلق 13 مليون فرصة عمل جديدة فى المدن والبلدات. وتفخر الصين بأنها صاحبة أكبر احتياطى للنقد الأجنبى فى العالم. وأنها أكبر دولة فى تجارة السلع والبضائع فى العالم، وأكبر شريك تجارى لأكثر من مائة دولة ومنطقة حول العالم. وفى مجال الابتكار العلمى والتكنولوجى والهندسى، يتخرج من الجامعات الصينية أكثر من مليون وثلاثمائة آلاف مقابل ثلاثمائة آلاف فى أمريكا «حوالى أربعة أضعاف عدد الخريجين فى الولايات المتحدة الأمريكية»، وبدأ القمر الصناعى «هوى يان» يحلق فى الفضاء، كما حلقت فى السماء طائرة الركاب الكبرى سى 919، وتم ابتكار الحاسوب الكمى، وجرى الاختبار على زراعة الأرز بالمياه البحرية، وتم تدشين أول حاملة طائرات محلية الصنع، وأنجزت منزلقة «هاى يى» مهمة الرصد فى عمق البحار، ونجحت العملية التجريبية الأولى لاستخراج الجليد القابل للاحتراق من البحر، وبدأ بشكل رسمى بناء المرحلة الرابعة من ميناء يانجشان الأوتوماتيكى، واكتمل المشروع الأساسى لجسر هونج كونج - توهاى - ماكاو، وجرت القطارات على الأراضى الشاسعة للوطن. كما عبر عن ذلك الرئيس الصينى الحالى شى جين بينج فى كلمته بمناسبة حلول السنة الجديدة. وبلغ الإنفاق العسكرى الصينى أقل من 140 مليون دولار أمريكى، فإن الصين تؤمن بأن العالم أسرة واحدة ولا مناص عن سياسة الفوز المشترك والاستفادة المشتركة والسعى إلى التعاون، لبناء مجتمع يسوده الخير لكافة شعوب العالم. وتدافع عن سلطة الأمم المتحدة ومكانتها، وتنفذ بشكل إيجابى واجباتها ومسئولياتها الدولية - فقد قدمت مساعدات خارجية تجاوزت أربعمائة مليار يوان، وأكثر من 10 آلاف دورة تدريبية لأفراد من الدول النامية - وتلتزم بتعهداتها الخاصة بمواجهة تغيرات المناخ، وتدفع لتحقيق مبادرة الحزام والطريق، ومن أجل مستقبل أكثر ازدهاراً وأمناً للبشرية جمعاء. وتسعى نحو مزيد من المساواة والتكافؤ فى علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، بما يحقق المصالح العليا للدولتين، فى ظل رؤيتها للنظام الدولى المنشود، فإذا تحدثت عن الصين، فاعلم أنك تتحدث عن أعلى معدلات فى العالم فى كل شىء. وحاول أن تستفيد منها لبلدك.

ترشيد المياه ... فى الشريعة الإسلامية والقانون الدولى

« وجعلنا من الماء كل شىء حى».. قولٌ فصل يلخص ويبين ويقرر أهمية المياه كمصدر للحياة، بشـــكل لا يقبل الجدل أو التأويل. نعم هى المياه دون غيرها من الموارد الطبيعية لها كل الحق فى أن تحتل ذلك الموقع الفريد، ولم لا وقد ورد لفظ الماء فى القرآن الكـريم 63 مرة. ويصف الرحمـن سبحانه وتعالى عرشـــه بأنه كان «على الماء»، وتوصف الجنة دائما بأنها «جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار»، ناهيك عن الأحاديث الشريفة.

د.حسام الإمام

مدير المركز الإقليمى لأخلاقيات المياه

hosamelemam111@yahoo.com

وحيث أن الترشـــيد يتطلب تنظيم استخدامات المياه وصيانتها والحفاظ عليها، نجـــد القوانين والممارســـات الدولية وقد اجتهـــدت لتضع عدداً من المبادئ المحققة لذلك الهدف مثل: مبدأ الانتفاع المنصف والمعقول، عدم الضرر الملموس، الإخطار المســـبق، حســـن النية وحســـن الجوار، مكافحة التلوث، التعاون...إلخ. وتعتبر أبرز الجهود على الصعيد الدولى فـــى هذا الصدد قواعد هلسنكى 1966 واتفاقية الأمم المتحدة لتنظيم الاســـتخدامات غيـــر الملاحية للمجارى المائية الدولية 1997.

غيـــر أن المتأمل يجـــد - وبحق - أن جميـــع تلك القواعـــد والمبادئ التى تم إقرارها بعد جهد مضن ووقت طويل تجد أصولها قائمة ومستقرة فى الشريعة الإسلامية منذ 14 قرناً، نتناول فى السطور القادمة بعضاً منها.

مبدأ الانتفاع المنصف والمعقول

نجحـــت كل من قواعد هلســـنكى 1966 واتفاقيـــة الأمـــم المتحدة عام 1997 فـــى وضع نص يحـــدد ماهية الإنصاف والمعقولية فى استخدام المياه وسردت على ســـبيل المثال لا الحصر بعـــض العوامل ذات الصلـــة بتحديد الإنصـــاف والمعقولية مثـــل جغرافية الحوض، هيدرولوجية ومناخ الحوض، الاستخدام الســـابق للمياه، الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعيـــة لكل دولة... إلخ. وبتأمل النظام الإســـلامى ومبادئه وتوجيهاتـــه الخاصة بـــإدارة المياه، نجد أن تلك العوامـــل قائمة وموجودة بالفعـــل. فالمياه تخص المجتمع ككل.

ويوجد حقان أساسيان للمياه هما حق الشفة، أى الحق فى الحصول على الماء لرى العطش ولســـقاية الحيوان، وحق الشـــرب، أى استخدام المياه لغرض رى الأرض والأشـــجار والنباتات. والجنس البشـــرى يعتبر حارســـاً على المياه الموجودة على الكـــرة الأرضية وليس سيداً عليها.

وقـــد ورد فى هذا الشـــأن العديد من الأحاديث الشـــريفة التى تؤكد أن الناس شـــركاء فى ثلاث: الماء والكلأ والنار .لكنها ليست شراكة مطلقة، بل مقيدة بالتزام الإنسان باستخدام المياه - كماً ونوعاً - بالشـــكل الذى يتمناه لنفســـه ولغيره (لا يؤمن أحدكم حتى يحـــب لأخيه ما يحب لنفســـه). ووجه العظمة فى ذلك الحديـــث هو الولوج إلى الجانب الوجدانى لدى الإنسان من خلال الربط بين العدالة والإيمان، فمن نجا من العقـــاب الدنيوى لن ينجو فى الآخرة وسيحاسب على تقصيره فى حق مورد الحياة. ويوضح الرســـول (صلى الله عليه وسلم) جزاء منع الماء: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل مـــاء بقارعة الطريق يمنعه ابن السبيل، فيقول له الله - عز وجل - : «اليوم أمنعك فضلى إذ منعت ما لم تصنع يداك».

مبدأ عدم الضرر

(لاَ ضَـــرَرَ وَلاَ ضِرَار) يتضمن هذا الحديث مفهوماً شـــاملاً لفكرة الضرر التى احتـــارت لجنة القانون الدولى فى مشـــروع قانونها فى تعريفها. الالتزام وفقاً لهذا الحديث ينصرف إلى ضرورة الامتناع عن جميع الممارســـات الضارة للغير. والضرر قـــد يكون فى البدن أو فى المال أو فـــى الأولاد، كما قد يكون فى المواشى أو الماء وغيرها. والضرر يحدث بدون قصد، أما الضرار فبقصد. ووجـــه الإعجاز فى هـــذا الحديث هو اتسامه بالشمولية فالإنسان لا يجوز له أن يضر لا بنفسه ولا بغيره، لا قاصداً ولا غير قاصد. والقاعدة فى الدين الإسلامى أنه متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبـــت الإضرار وجب رفعـــه مع عقوبة قاصد الإضرار، فالشريعة لا تقر الضرر، وتنكر الإضرار إنكاراً شديداً.

الالتزام بالإخطار والتشاور

هو أيضاً مـــن الالتزامـــات التى حرصت الاتفاقيات الدولية على إدراجها ضمن بنودها والتأكيـــد على أهميتها. على الجانب الآخر نجد أن مبدأ الشورى يعتبر فى الإســـلام أساســـاً تقوم عليه عملية صناعة القرار. وهذا هو ما توصل إليه القانون الدولى للمياه، حينما ألزم الدول النهرية بالتشـــاور مع بعضها

البعض فى شئون المياه.

وقد حفلت السنة النبوية بكثير من النصوص التى تدل على التزام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهج المشاورة قولاً وعملاً، من ذلك استشارته لهم يوم بدر، وأخذه برأى الحباب بن المنذر. ومنها استشارته أصحابه قبل غزوة الأحزاب وأخذه برأى سلمان الفارسى بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة. ومنها عمله بمشورة السعدين: ابن معاذ وابن عبادة، إذ أشارا يوم الأحزاب بعدم مصالحة رؤساء غطفان. ومما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن قال: لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومكانة الشورى وحجيتها فى الإسلام عظيمة لدرجة أن حملت إحدى سور القرآن الكريم اسم (سورة الشورى).

حماية النظم الإيكولوجية وحفظها

قررت اتفاقية 1997 «أن تقوم دول المجرى المائى ـ منفردة أو مجتمعة ـ بحماية النظام الإيكولوجى للمجرى المائى الدولى وبحفظها» (المادة 20). «وأن تقوم بمنع وتخفيف ومكافحة تلوث المجرى المائى الدولى» (المادة 21).

ومرة أخرى، وليست بالأخيرة، تكون الأسبقية للشريعة الإسلامية فى هذا الصدد. حيث نجد من الأحاديث الشريفة الخاصة بحماية البيئة وصيانتها والحفاظ عليها الكثير والكثير، لتفوق فى معناها وصياغتها ما جاء به علماء القانون فى العصر الحديث ولتكون آية على الإعجاز العلمى للقرآن والسنة. مثال الأحاديث الشريفة فى هذا: (ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة). (إن قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها(، (إذ أبيتم إلا الجلوس فى الطريق فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، ورد السلام، وإماطة الأذى عن الطريق). (النهى عن البول فى الماء الراكد، وفى ظل شجرة مثمرة، وفى قارعة الطريق)، النهى عن هدر الموارد (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - سورة الأنعام الآية: 141). وقال: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين - سورة الإسراء، الآية: 27).

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لسعدٍ وهو يتوضأ (ما هذا السرف يا سعد؟ فقال: أفى الوضوء سرف؟ قال صلى الله عليه وسلم: نعم وإن كنت على نهر جار)، وفى الحديث أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان يغتسل بالصاع (حوالى 3 لترات). (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد) المد حوالى 4/3 لتر.

إن قضية ترشيد المياه سواء فى الشريعة الإسلامية أو غيرها من الشرائع أو القوانين الوضعية ليست ولن تكون ترفاً فكرياً ولا استعراضاً بلاغياً، بل هى قضية حماية لحياة الإنسان وكرامته، ولا شك أن الجانب الوجدانى الذى ترسخه العقيدة الدينية فى هذا الصدد يمكن أن يسمو بأخلاقيات المجتمعات، ليصبح السلوك العام الطبيعى هو الحفاظ على المياه بناء على وازع داخلى ويقين قوى أننى لن أحب للآخرين إلا كما أحب لنفسى، ودون انتظار عقوبة لن يفرضها القانون إلا على من جرد نفسه من تلك الأخلاقيات... ذلك هو المجتمع الذى نبتغيه والذى يجب علينا أن نجتهد ونعمل على وجوده بإذن الله.

الطب الصينى بين الإبداع والفهلوة

هل يجوز أن يقوم طالب فى السنة الأولى بكلية الطب بعلاج المرضى واستخراج تصريح مزاولة مهنة ويتردد المرضى على عيادته الخاصة؟
الإجابة بالقطع لا.

وهذا ما يحدث على أرض الواقع فى فوضى العلاج بالإبر الصينية فى العالم العربى، وللأسف بمصر بصفة خاصة بالرغم من كون العلاج بالإبر الصينية يعد من أهم أساليب العلاج من أمراض شتى، ويتم تطبيقه فى المئات من مراكز العلاج والمستشفيات فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها من دول العالم المتحضر، بشرط أن يكون المعالج قد أتم سنوات من الدراسة الجادة العملية والنظرية فى الكليات المعتمدة بالصين والعالم الغربى الذى أدرك قيمة الطب الصينى. على عكس للأسف ما يحدث فى مصر فى هذا السياق، إذ أن العلاج بالإبر الصينية غير معترف به أصلاً فى مصر بالرغم من تدريسه وتطبيقه فى أكثر الجامعات والمستشفيات ذات الشهرة والمكانة الدولية.

واتصالاً بذلك فالكارثة هى أن من يقوم بالعلاج بالإبر الصينية فى مصر يسىء بشكل كبير إلى الطب الصينى،

د. عبير النجار

حرم السفير مهاب نصر

دكتوراه فى الإبر الصينية جامعة نانجينج الصين

abirelnaggar@hotmail.com

إذ أنه لا يأتى بأية نتائج ملموسة على المريض، وذلك بسبب أن المعالج يستند إلى أنه تلقى دورة تدريب فى أى معهد غير مرخص لمدة ساعات قليلة ثم يعتمد هذا المستند المضلل بشكل روتينى من الجهة المعنية التى تتبعه، ثم يعود إلى الوطن ليمارس ممارسات طبية خاطئة بصفته خبيراً فى الإبر الصينية وينعكس ذلك سلباً على المريض وسمعة الطب الصينى، وما يزيد الطين بلة أن هناك من يستخدمون نفس إبر العلاج لأكثر من مرة ليساهموا بشكل مباشر وفعال فى نقل الأمراض الخطيرة.

فى هذا السياق يمكننى القول إن هؤلاء تجب مسائلتهم قانونياً كما يحدث فى بلاد الغرب، ولكن للأسف بعض من دول عالمنا العربى يسبح فى عالم الفوضى فيما يتصل بالتوعية الصحية.

وإليكم نبذة مختصرة عن هذا النوع من العلاج، فيعد الصينيون هم أول من استخدم الإبر الصينية لعلاج الكثير من الأمراض والآلام وذلك منذ آلاف السنين، ويرون أن الإبر تعمل على تنشيط الجهاز المناعى وإعادة التوازن بجسم الإنسان. وتتم إعادة التوازن بالجسم بغرز الإبر فى مواضع محددة بمسارات الطاقة داخل الجسم وتسمى «تشى».

والإبر الصينية هى إبر رفيعة جداً تغرز فى أماكن محددة من الجسم وفقاً لكل حالة أو الوقاية منها، وهى طريقة

مســـالمة وطبيعية لعـــلاج الكثير من الأمراض أو الاختلالات، وتعالج اعتلالات بدنية أو عقلية أو عاطفية.

وأقـــرت منظمة الصحـــة العالمية العلاج بالإبـــر الصينية. وكما ســـبق الإشـــارة فإنه توجد المئات من الكليات المتخصصـــة تختص بهـــذا النوع من العـــلاج بالمجتمع الغربـــى والصين وآســـيا بالطبع. وللأســـف فإن وزارة الصحة بمصر لا تعتـــرف بهذا النوع من العلاج حتى الآن! ومن بين الأمراض التى حقق الطـــب الصينى نتائج جيدة للغاية ومدعمة بأبحاث ونتائج معتمدة: الاكتئاب. جميع أنـــواع الآلام. الصداع. الشـــلل النصفى ومضاعفاته. السمنة والنحافة. بعض حالات العقم. مشاكل الضعف الجنســـى. الخصوبة. أمراض الأنف والجيوف الأنفية. مشكلات تأخر الأطفال فـــى الحركة والـــكلام. القلق والأرق. تنظيـــم إفراز اللبن بعد الولادة. ارتفاع ضغط الـــدم. التنميل. الأمراض الصدريـــة وتقويـــة تنشـــيط الجهاز المناعى وغيرها من الأمراض الأخرى.

ومن المهم التأكيـــد على أن هناك أمراضاً لا يمكن للإبر الصينية أن تتعامل معها أهمها: الســـرطان بكافة أنواعه والالتهاب الكبدى والوبائى والســـكر، وإن معالج تباهى بأنه يمكنه علاج هذه الأمراض فلابد من توخى الحذر منه.

هـــذا ومن المهم الإشـــارة أنه بلغ العلاج بالإبر الصينية من الدقة والكفاءة بحيث تجرى حالياً عمليات تخدير كلى للمريض بواسطة هذا النوع من الطب الصينى خلال جراحات القلب المفتوح. ويبقى المريض يقظـــاً أثناء الجراحة ومنتبهاً لما يدور من حوله ولا يشـــعر المريض بالألم حتى أثناء نشـــر عظم صدره.

جدير بالذكر أيضاً أنه توجد العديد من الأساليب حول كيفية استخدام الإبر والتى أثبتت فعاليتهـــا خلال التجارب العلمية الموثقة وتتلخص فى الآتى:

1 - الوخـــز بالإبر الـــذى يحفز إفـــراز المـــادة المخففـــة لـــلآلام «اندورفين»Endorphin .

2 - الوخز بالإبـــر الذى يؤثر على إفراز المواد التى تنقل إشارات الأعصاب مـــن وإلى المخ «نيروترانســـميترس» Neurotransmitter.

3 - الوخز بالإبـــر الذى يؤثر على الجهاز العصبى.

4 - الوخز بالإبر الذى ينشط الدورة الدموية.

5 - الوخز بالإبـــر الذى يؤثر على التيار الكهربائى للجسم.

وفيمـــا يتصل بوخـــز الأذن Ear Acupuncture فيمكن اســـتخدام هذا النوع من العلاج لعلاج أمراض مختلفة: كإنقاص أو زيادة الوزن والمســـاعدة فى الإقلاع عن التدخين وبعض أمراض الجهـــاز الهضمى والربـــو والضعف الجنســـى. ويوضح الطب الصينى أن الأذن هى مفتـــاح الجســـم كله تعيد الطاقة إلى كل مســـارات الجسم. ومن الثابت علمياً أن استخدام الإبر الصينية للعلاج مأمون تماماً ولم تســـجل له أية مضاعفات أو أعراض جانبية.

وفى النهاية. يهمنـــى أن أكرر أنه يجب فى مصـــر ألا نتعامل مع الطب الصينى بســـطحية، مع ضرورة توخى الحذر فـــى اختيار الطبيـــب المعالج، والتأكد أنـــه درس الطب الصينى بعمق وتدرب عليه لســـنوات بحيث لا يصبح نوعاً من الفهلوة وليس علماً نافعاً شهد له العالم المتحضر بعظمته وبراعته.

الشخصية المصرية

أنا المصري كريم العنصرين
جدودي انشأوا العلم العجيب
لهم في الدنيا الآف السنين
بنيت المجد بين الأهرمين
ومجرى النيل في الوادي الخصيب
ويفنى الكون وهما موجودين

عبير الروح سعيد

أبيات شعرية قصيرة من تأليف بيرم التونسى لحنها وغناها فنان الشعب سيد درويش ليستنهض همة الشعب المصرى فى وقت الاحتلال البريطانى لمصر، وليذكر المصريين بأجدادهم العظماء. وتلك الأغنية كانت من الأغانى الوطنية التى تحث المصريين على الثورة ضد هذا الاحتلال الأجنبى الغاشم.

وهى أيضاً توضح لنا من يكون المصرى صاحب أطيب وأطهر أرض وهى أرض مصر، تلك الأرض الحبيبة إلى القلب التى ينتمى إليها كل مصرى. هذه الأرض صاحبة الوادى الخصب الذى يشقه نهر النيل.

وجدها أجدادنا القدامى كما هى لم يغيروا فيها شيئاً، فهى خصبة صالحة للزراعة، استقر بها المصريون القدماء وبنوا لنا أعظم وأقدم حضارة عرفها التاريخ على مر العصور. تلك الأرض التى ارتبط بها المصريون فأصبحت قطعة من قلوبهم لا يستطيعون الابتعاد عنها، فتكونت شخصيتهم من حبهم لهذه الأرض الطيبة فأصبحت هذه الشخصية المصرية الطيبة الودود المضيافة الكريمة صاحبة حس الدعابة والمرح والمحبة للاستقرار. وبما أن المصرى مرتبط بأرضه محباً للزراعة واللون الأخضر فقد لوحته أشعة الشمس بالسمرة ولذلك يطلق على المصريين السمر الأشداء.

وتتميز الشخصية المصرية بالتعاون وحب الله. وقد وصف هيرودوت أبو التاريخ والذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد شعب مصر فى كتابه بأنه شعب متدين بطبعه ويلزم ذلك التدين حسن الخلق.

وحينما نتحدث عن الشخصية المصرية لابد وأن نتحدث عن شخصية مصر، فالمصرى يتكامل ويتمازج مع أرضه ومصريته.

إن رحلة مصر الطويلة بدأت قبل بناء الأهرامات بآلاف السنين، نستطيع عند زيارة المتحف المصرى أن نتابع هذه الرحلة خطوة بخطوة ونرى تاريخ مصر وهو ينسج خيطاً خيطاً.

هذا التاريخ يبدأ من قاعة العصر الحجرى حيث نجد الأوانى الجميلة المتعددة دليل تعدد وجوه الاستعمال، وهى دلالة حضارية ونجد وسائل الحياة اليومية مصنوعة فى دقة وجمال أذنت بارتفاع قدر مصر فى هذا العصر السحيق.

وسبق هذا بالطبع آلاف السنين، حيث جفت الصحراء وانتقل العمران إلى الوادى فشب الصراع بين ست وأوزوريس أى بين الجدب والخصب أو بين الحق والباطل. فى هذا المكان نشأت قبل مينا ملحمة تاريخية من الجهاد الحضارى، لقد تضافر النيل والإنسان المصرى على إخراج هذه الملحمة وإقامة الحضارة. حولت مصر المستنقعات وأحراش البردى إلى جنة خضراء وهو إنجاز حضارى لا يقل عن بناء الأهرام.

لقد أعطى النيل لمصر الكثير وعلمها الكثير، ولكن مصر هبة النيل وهبة الإنسان المصرى وثمرة جهوده، فهناك أنهار كثيرة لم تقم فى وديانها ما قام فى مصر من حضارة متفوقة متألقة باقية على مر الأيام.

لقد استجاب الإنسان المصرى لصراحة التحدى. فالبيئة ليست السبب الوحيد الذى تتولد عنه الحضارة إنها همة الإنسان المصرى.

النيل والأرض:

لقد ملأ النهر العظيم دنيا المصريين، عرفوه منعماً يحيى الأنفس والثمرات. رأوه فضة مذابة بين الجانبين، ورأوه جنات خضراء على الضفتين، ورأوه ذهباً براقاً فى حقولهم قمحاً وشعيراً وخيرات أخرى، وسمعوه فى تغريد الطير فجنوا بحبه حتى عبدوه أو عبدوا الإله من خلاله، فكانت صلاة إخناتون حمداً عميقاً لله يحدث بنعمة النيل. لقد ازدهى أحد الفراعنة الإعجاب والعجب فهتف مزهواً يعلن فى كهنته حدود مصر، ولقد رسمها متصوراً النيل. فالأرض المشمولة بفيضه هى مصر وكل إنسان يشرب منه حتى جزر ألفنتين إنما هو مصرى.

عقيدة البعث والخلود:

وأحبوا حياتهم معه فكرهوا الموت وأنكروا أن يحول بينهم وبين النيل، فآمنوا بالبعث والخلود والحياة الأخرى، واقترن فى أذهانهم عقيدة الحياة الأخرى بالثواب والعقاب والجنة والنار والخير والشر والإحساس بهذا كله يعنى الضمير، علمهم النيل التدين.

إنه النيل الذى يحبه المصريون. إنه قوام العدل يظلمه من يقارنه بالبحر فالبحر لا ينبت قمحاً كما الصحراء التى لا تؤوى طيراً، فى بساطة وعمق أحبوه ونحبه من بعدهم.

عقيدة إخناتون والنيل:

أحب المصريون مصر النيل إلى الحد الذى سموها (عين الله) ونحن نسميها (كنانة الله)، وكان المصريون القدماء يعتقدون أن إعزاز الله لمصر فى كفة وسائر العالم فى الكفة الأخرى، ولذلك خلق نيلاً لها وحدها ثم خلق نيلاً آخر لسائر البلاد الأجنبية كما جاء فى نشيد إخناتون:

أنت الذى يعطى الحياة أيضاً لكل البلاد الأجنبية البعيدة لأنك خلقت نيلاً فى السماء (المقصود المطر) لينزل من أجلهم ويحدث أمواجاً فوق الجبال مثل أمواج البحر.

لتروى حقولهم التى فى قراهم ما أجمل أعمالك يا رب الأبدية

فالنيل الذى فى السماء خلقته للأجانب ولكل حيوانات الصحراء التى تسعى على الأقدام

أما النيل الحقيقى فإنه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر. بل بلغ اعتدادهم بمصرهم ونيلهم حداً جعل البطل تحتمس صاحب أول إمبراطورية فى التاريخ يقول بعد انتصاره فى معركة مجدو، وقد رأى دجلة والفرات عند منبعيهما فى الشمال:

هذه المياه التى تجرى فى اتجاه خاطئ
إن البطل يجرى نيله من الجنوب إلى الشمال فكل ما عداه خاطئ
إنه زهو البطولة وعز الانتماء

حتى الشمس فى عين المصريين لا تكون دائماً فى غير مصر توهجاً وضياء.

تعلمت مصر من النيل التعاون والنظام للعمل وبناء الجسور عليه ودرء خطر الفيضان عن الوادى، وأصبح لزاماً على كل مصرى من أية طبقة حماية البلاد من فيضه.

ولم يعط النيل مصر الماء فحسب بل أعطاها الأرض أيضاً بما يحمله معه من الطمى كل عام ويرسبه على جانبيه، حتى إذا انحسر الماء شرع المصرى القديم فى الزراعة.

مصر والزراعة منذ الألف الخامس قبل الميلاد:

فى بداية العصر الحجرى الحديث عرف أهالى مرمدة بنى سلامة والفيوم الزراعة فكانوا أول من عرفها فى التاريخ.

زرع الإنسان المصرى فمر بتجربة بذر وسقى ثم جنى المحصول فحقق الوفرة وتعلم من هذا الكثير. عرف أن الجزاء على قدر الكفاح والعمل لا الكسل، وأصبح النبات هو أستاذ النفس المصرية فتعلمت السماحة والطيبة والود والاستعلاء على المحنة.

قد تشقى مصر ولكن تشفى
وقد تمرض ولكن لا تموت
تعلمت مصر من الزراعة الصبر
تعلمت مصر من الزراعة الرسم والتلوين

تعلمت كذلك الحرية لأن الزراعة معناها الفائض بعكس الصيد الذى يكفى ليوم واحد.

تحررت مصر من الخوف ومن الحاجة حين منحها الوادى والنيل الرخاء المادى فطعم المصريون وأطعموا.

اكتسبوا الرخاء النفسى. وتتألق شخصية مصر، شخصية فيها نزوع إلى السلاسة فى همس يبلغ بالخفوت قوة التوثيق.

شخصية فيها حنان فى حنايا الأعمدة وعروق النبات ونمنمة الفن المصرى، فإذا التشابه والتشابك ليس بينهما فراق أو شقاق.

شخصية فى قلبها سعة يوحيها التقسيم ودعة يهديها صبر طويل ورحيم. فيها ثراء البساطة وزهد الغنى وجلال التواضع، ثم وصل بها النضج إلى التجريد كما فعل العظيم إخناتون. بل إن مصر قبل إخناتون تصورت الإله فى روعة فائقة.

وإذ تطلعت مصر إلى الله أشرق عليها نوره وبارك لها فى الرزق وازدهر الوادى وطابت فيه جنات وعيون.

علم النبات الإنسان المصرى صناعة الحصير، فقد أدرك أن النبات حين يجف يستطيع أن يصنع منه جداراً أو وثاراً.

فالحصير نسيج نباتى عرفته مصر قبل التاريخ، علمت الزراعة مصر الامتداد والاستشراف إلى الأعلى كنخلة النيل، وعندما زرعوا استقروا، وعندما شعروا بالاستقرار عبروا عنه معمارياً فى الأعمدة الضخمة الثابتة فى الأرض الممتدة إلى السماء كالنخيل حولهم.

تعلمت مصر من الزراعة الحب:

فالمصريون أحبوا كل شئ حولهم، النيل، المركب، الأرض، السماء، النبات، الحيوان، فغنى لهم الشجر وسهر معهم القمر وأعطاهم النيل الخير كله، فعاشوا وعرفوا كيف الحياة لاكمها وأبدعوا فى الفن فصنعوا بكل ذلك الحضارة. لقد عرف المصرى الكتان فى وقت سحيق حين اكتشف ألياقاً فى بعض النباتات وصنع منها قماش الكتان.

علمت الزراعة المصرى كيف يصنع:

ابتكر المصرى الفأس والمنجل والمذراه لفصل التبن عن الحب، والشادوف للرى لرفع الماء للأراضى العالية، والبلطة لتنظيف الأرض من الحشائش، والسكين والمجارف والحبال ومكاييل خشبية ومضارب وآلات النحاس والجرار كل هذا عثر عليه فى آثار الدولة القديمة.

وعرف الطهى وتحضير الطعام، عرف الطحن وصناعة الخبز بل الحلوى.

عرف البناء من الطمى ثم تطور فأصبح من الطوب الأحمر ثم من الحجر.

صنع السلال من سعف النخيل والحصير، جفف الفاكهة وعصرها واستخرج منها النبيذ والبيرة.

عرف الصباغة والدباغة، عرف التجارة والحرف.

صنع القوارب، صنع الأثاث من خشب التوت والبندق والجوز والخروب.

ومن الصفصاف صنعوا المشن أو المشنة.

أما شجرة الجميز فهى عندهم ظل وثمر وخشب، ومن الجميز صنع تمثال شيخ البلد.

استخرج المصرى القديم الزيت من الكتان منذ عصر ما قبل الأسرات لأغراض الغذاء والتدليك، وللإضاءة ولزوم الطقوس الدينية فى المعابد. واستخرج زيت الزيتون، واستخدم فى علاج الكبد ودهاناً لتقوية الشعر، وللإضاءة. واستخدم زيت الخروع فى الطب والعلاج من الأمراض.

وعرف المصرى النسيج منذ عهد بعيد فمن مأثوراتهم أن إيزيس نسجت وغزلت وبيضت.

وحين تطلع المصرى إلى النسيج اخترع المغزل والمشط والنول والبكرة والمكوك.

وبرع المصرى فى النسيج براعة فائقة، فقد عثر فى أحد قبور الأسرة الحادية عشرة على أقمشة كتانية ذات طيات بليسية.

وفى أحد قبور طيبة من الأسرة الثامنة عشرة نماذج كتان ذى طيات متعامدة فى غاية الدقة والإبداع.

وكان النساج المصرى يصنع أنسجة موشاة بصور ملونة، وقد وجد كتان موشى بأسلاك الذهب فى قبر تحتمس الرابع بطيبة، كما وجد كتان عليه شغل إبرة وتطريز فى قبر توت عنخ آمون وكتان يشبه الحرير فى الدير البحرى.

وتبين من فحص المنسوجات أن بعضها مصنوع من القطن. شكل الإنسان المصرى الشظية وعرف النحاس واستخرجه من سيناء وابتكر الأسس كلها التى تقوم عليها صناعة التعدين كما يشير متحف العلوم فى لندن أن جميع الصناعات تبدأ بقدماء المصريين النسيج– الفخار– الزجاج.

لقد أرسل الملك أمنحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة بعثة من عشرة آلاف نفس للبحث عن المعادن ما دلالة هذا؟

أية إدارة عظيمة وراء هذا العمل التى خططت وسيرت ووفرت المؤن والماء والوسائل.

استخدم الجيش المصرى أقدم سلاح مصنوع من المعدن، النصل العريض المثلث الشكل ثم نصلاً رفيعاً فى وسطه خط غائر. استخدم المضرب على هيئة قرص ثم أصبح على هيئة الكمثرى واستخدم الحربة المصنوعة من النحاس والدبوس المدبب الطرفين والقوس والسهم وعصا الرماية، وكان ذلك فى مستهل الأسرة الأولى أى منذ عهد مينا حوالى 3200 قبل الميلاد.

وبرع الفراعنة فى صناعة الورق، وصناعة الطب والحساب والهندسة والفلك.

يقول وارن داوسن:

إن المصريين يتمتعون بأعلى سمعة فى كفاءتهم الطبية، وأيضاً ذوو مقدرة فى الفلسفة والعلوم النظرية والتجريدات. ويقيناً أنهم كانوا أناساً موهوبين لهم مقدرة فذة فى الإنجازات العلمية. وإن أسس علوم الطب وضعت فى مصر منذ أكثر من خمسين قرناً بما لا يدع مجالاً للشك.

ولم يعد خافياً أن علوم الإغريق التى عرفتها الدنيا ليست من ابتداعهم، فهنا على هذه الأرض الطيبة وجدوا القواعد الأولى فى الرياضيات والعلوم التى قاموا بنشرها أخذاً عن المصريين. فمن خلال الإغريق انتشر التراث المصرى إلى شتى بقاع الأرض.

«شآبيب» الجزء الثانى

فصل من كتاب «تاريخ لا يحكونه فى المدارس»

سوسن رحمى

يشعر القارئ، وهو يطالع هذا العمل، أن مبدعه، من شدة حبه واعتزازه بالأمة العربية، قد تقمص شخصية تعود بالقارئ إلى الوراء إلى الزمن البعيد، زمن الفتوحات والأمجاد والتمسك بالعرق العربى. فسندبادنا يبحر بنا إلى زمن الفتوحات، ويعود بنا إلى الزمن البعيد: عام 800 هجريًا. نحن بصدد معرفة الخيانة والأسباب التى أدت إلى الوقيعة بين الحارث بن مسعود والقصر، أى الخليفة فى بغداد.

الحارث يبحر للجنوب الشرقى للمحيط الهادئ. ترسو السفينة على جزيرة قريبة من إندونيسيا. ويقول الكاتب: «كان على أستراليا أن تنتظر قدوم «كوك» حتى يتم اكتشافها».

كانت الأمطار قد بدأت فى السقوط: قطرات خفيفة، فأطلق عليها الحارث اسم: «شآبيب»، أى بداية سقوط القطرات الأولى من المطر.

بدأ الحارث فى وضع خطط التعمير وقد كان، لديه البناءون والمهندسون اللازمون لإتمام المشروع. هذا إلى جانب العلماء والأطباء والدعاة، وهكذا صارت شآبيب عاصمة العرب فى جنوب شرق المحيط الهادئ.

أصلح الحارث سفينة من السفن، التى أتى بها، وجعلها تتجه إلى الخليفة فى بغداد، ثم قال لمن معه:

«شآبيب هى بغداد الجنوب».

أرسل الخليفة، من ضمن ما أرسل نساء حتى يتزوجهن العرب المقيمون فى الجزيرة، نظراً للأمراض المتفشية فى الجزيرة والتى تمنع الزواج من نسائها، حدثت وقيعة بين الخليفة - فى بغداد - وحاكم شآبيب، الذى رغم بداية ازدهارها فقد أصبح لها جيش وشيدت فيها المبانى ومسجد كان تحفة فنية ثم هدم، وقتل الخليفة - أى حاكم شآبيب - ووضع رأسه فى الخل، حتى يتم إرساله للخليفة فى بغداد.

قال الفيلسوف ابن عمواس: «كتب على هذه الأمة أن تترنم إلى الأبد».

صدرت الأوامر بتجاهل هذه البقعة، التى كانت علامة من أمجاد الأمة العربية، وقد كانت مسرحًا لخطوات بالغة التحضر، نجحت فى معالجة الأمراض المستوطنة وإنشاء مدارس وأبنية.

يقول الكاتب ملخصًا هذه المجزرة: «ما نريد قوله هو أن هذه الحضارة قد دمرت وأحرقت ولكنها مازالت تحت الغبار متوهجة كالفحم، يمكنك أن تنقب وتجد آثارها وعندها يعرف العالم كله أننا كنا هنا».

يستكمل الكاتب حديثه عن هذه الجزيرة، الحديث الذى عبر فيه عن أمجاد ونشاط أمته، فيتحدث عن نظام الحكم، الذى اعتمد على الحكمة والعدل: لجان الحرب.. تأسيس مراكز العلاج.

يتحدث عن مجالس الحرب فيقول: تميزت بحرية الحوار والعدل والمساواة، وقد ابتعد الحاكم عن أسلوب التقديس الذى يجعل المرؤوسين يلجأون إلى الزيف والتملق.

أنشأ الحاكم بن مسعود نظامًا مركزيًا يعتمد على الحاكم، فى القلب، كما أنشأ مجلسًا للحكماء يتكون من شعراء وأطباء، وعلماء دين وفلاسفة. وكان مجلس الحرب يتبع مجلس الحكماء.

يعود الكاتب مرة أخرى، وكأنه سندباد يعبر التاريخ، إلى أوسلو، ويعود للحديث عن أمينة، المهاجرة التونسية وهى تجلس داخل منزلها تطالع كتاب «العربى التائه» وكانت قد طالعت من قبل كتاب «تاريخ لا يحكونه فى المدارس».

كانت الحياة بالغة القسوة فى أوسلو، لهؤلاء المستوطنين العرب، ولذا وجدت فى هذا الكتاب صدى لمشاعرها.

كانت تفكر فى أسرتها وقررت أن تعلم ابنتها العربية وأن تطلعها على تاريخ أمتها، التاريخ غير المزيف، غير أنه كان لزوجها رأى آخر: يرى أن هذا التاريخ، الذى تسرده الكُتب التى تطالعها، تاريخ مزيف، خلقه الخيال، فلا توجد حضارة يطمسها الزمن مثل الحضارة العربية الخاصة بـ «شآبيب». فحضارة الأطلنطس أقدم منها - ويقصد شآبيب - والتاريخ يذكرها، فكيف لم يحك عنها أى مؤرخ؟ وكيف لم يبق منها مزهرية واحدة، أو إناء شرب واحد؟

وتجيب أمينة: الغرب يهمه ألا نتذكر تاريخنا المجيد.

ويعلق الزوج: «نعود إلى نظرية المؤامرة».

يستمر الحوار والإحباط يخيم على المجلس وكأن هذه الأمة قد كُتب عليها ألا تعود مرة أخرى إلى أمجادها.

وتتساءل أمينة: لماذا يتم إقحام الإسلام فى أى تفجير يحدث؟ أصبح الناس يخشون الصلاة فى المساجد.

بدأ العرب يتركون النرويج وهذا ما كانت تفكر فيه أمينة، غير أن زوجها رفض الرحيل. بدأت تشعر بالحيرة والتمزق، ويحدث الطلاق وترحل، وقد كان أغلب سكان البناية العرب قد رحلوا.

ينتقل الكاتب إلى بقعة أخرى «مونروفيا» المنفى الجديد، الذى توجد به وكالة لاجئية تابعة للولايات المتحدة.

سليم، شخصية أخرى يقدمها الكاتب وهو جار لأمينة فى النرويج. إنه تائه بين البقاء فى النرويج أو الهجرة ويتساءل: «هل أنا عربى حقاً؟ أنا ضائع فى أفق أسود». يذهب إلى قبر زوجته ليودعها ويقول لها: «يوماً ما سأعود لأسترد رفاتك وأدفنه فى وطنى الجديد».

الراوى محمد عدنان هو المهاجر

الوحيد فى المصرف قال له من سبقوه، فى الهجرة إلى أستراليا: إن الأستراليين قد تغيرت معاملاتهم بعد حدوث بعض الانفجارات. دخل الحمام وغسل ملابسه واغتسل وخرج وذهب إلى المدير وكأنه غريق انتشل من المحيط. وكان التعليق لا يقل قبحًا عن الفعل: «لست أدرى لماذا تحول مزحة بُولغ فيها إلى جريمة كراهية».

ذهب إلى منزله واستبدل ثيابه وعاد إلى عمله ليفاجأ بابتسامة ساخرة ومتشفية تكسى الوجوه. ويتذكر الشاب مراقبته للنجوم، من شرفة منزله فى مصر، وسجن المنصورة.. والمصرف الذى كان يعمل فيه. فقال محدثاً نفسه: «الحقيقة إنى حبيس الكون».

الصفحات تمتلىء بالشجن الذى يدمى قلب العربى بصدمات متفرقة فى العالم. تخترق صفحات الرواية فى الجزء الثالث، مسرحية من فصل واحد، فيها أبطال قليلون. بعضهم متجه لشآبيب أو غينيا الجديدة.

كل واحد منهم قادم من البلد التى كان قد هاجر إليها وكل واحد منهم يحمل فى قلبه آمالاً جديدة للراحة، وكل واحد منهم له فكره الخاص:

أمينة التونسية الهاربة من الفكر والاضطهاد النازى، المصرى المهاجر أصلاً إلى أستراليا تركها بسبب النظرة المُتعالية والعنصرية والدينية. فقد كانت أستراليا قد عانت فى الفترة الأخيرة من بعض الانفجارات بسبب الأحداث الإرهابية. مصرى آخر علمانى يقف أمامه إسلامى متشدد يحلم بالدولة الإسلامية، وكل واحد منهم يشك فى الآخر. يقف الكاتب متفرجاً، وربما أراد اختراق صفحات الرواية بهذه المسرحية، حتى يقدم الحال المحزن الذى وصل إليه الإنسان العربى وقد قدم - فى ذات الوقت - نموذجًا لأنماط المهاجرين العرب الذين أتوا من أنحاء متفرقة، من البلاد التى كانوا قد هاجروا إليها.

يستهل الكاتب هذا الباب بمقولة لأحد المفكرين: سمير الشيخ: «من قلب الظلام قد يولد فجر جديد ومن قلب الفجر قد يولد ظلام دامس. عليك أن تتحيز لخطتك المثلى فأنت من يصنع فجرك أو ظلامك».

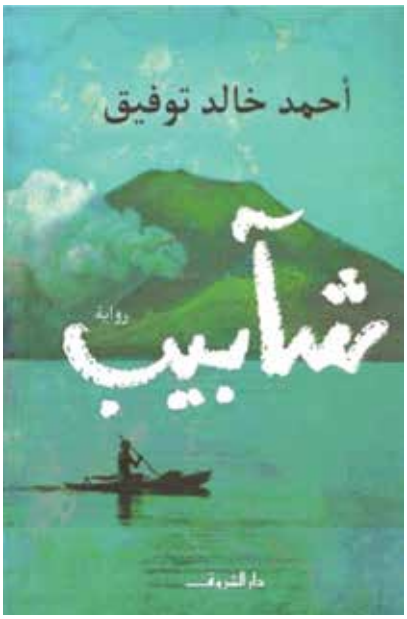

غلاف الروايه

أحمد خالد توفيق

تبدأ حياة المهاجرين على أرض الجزيرة، التى حضروا إليها، وقد اختلطت مشاعرهم بالعديد من المتناقضات، الخوف من المجهول وديانات عديدة وسط قوم بدائيين.

سميرة تعيش فى خوف من المجهول الذى ينتظرها، مكرم أيضاً، الصدام يحدث بين المبادئ التى تربت عليها والجرأة التى تحيط بها وبابنتها المراهقة، وقد اصطدمت بغياب الحياء. ويعلق الكاتب فيقول: «المعلمة أمينة ما ينغص عليها حياتها، كأنها تلميذة غريرة».

ينتقل الكاتب بنا إلى عائلة المصرى المسيحى: ترك الولايات المتحدة وتأهب للذهاب إلى جزيرة شآبيب، وكانت الصدمة الحضارية. فالفرق مذهل بين المستوطنين: حياة جافة، فقيرة، خالية من أى مظاهر للحياة العصرية المريحة، الزاهية بوسائل عدة: فلا سيارات ولا سوبر ماركت ولا شوارع ولا ناطحات سحاب.

شعرت الزوجة أن زوجها مايكل بدأ يكتسب ملامح مختلفة: نظرة صادمة، صوتاً أجش ذا طبقة آمرة، حتى وجوده أصبح آمراً.

وضع صفية كان مختلفًا: بدت لها الأيام ممتعة بلا مدرسة ولا أعباء ولا قيود، بدأ الأمل يدب فى القلوب. قال المهندس الزراعى الفلسطينى: هذه تربة بركانية خصبة لو تمت زراعتها بشكل سليم فلن تجوع المستعمرة.

تعالى صوت الأذان معلنًا الظهيرة. فقد اتخذ القادمون كوخًا صغيرًا مسجدًا، واتخذوا أيضًا من كوخ آخر، كنيسة، وعلق عليه صليب وجرس.

ابتسم مايكل وهو يحلم بأن تكون هذه الخطوات بداية مبشرة لحرية الأديان. أخذ يتنقل بين المهاجرين ويتأمل ملامحهم المختلفة.. سورى، لبنانى، مصرى، وسودانى.. وكذلك خليجيون.. حدث انهيار سقف، أدى إلى بعض الإصابات. تقدم شاب فقام بعملية الإنقاذ لبعض المصابين.

أنا عربى اسم بلا لقب
إنى من أسرة المحراث

وجدى كان فلاحًا بلا حسب ولا نسب

كلمات محمود درويش الشهيرة.. إنه مطرب سورى اسمه مصطفى.

أخذ مكرم يتأمل الموجودين حوله ويفكر فى المشاريع التى تتطلبها الجزيرة، وهو يسير مع مجموعة مهندسين.

لابد من عمل صرف صحى. السفن الأمريكية تمدهم بما يريدون مادام أثرياء العالم العربى تحمسوا للفكرة.

رأى مايكل أمينة، وعندما عرف تخصصها قال لها: «نحن بحاجة إلى معلمة «.....» سوف تدرسين التاريخ العربى واللغة العربية». ضحكت أمينة، وهى تنظر حولها وهم فى قرية صغيرة.

«شآبيب» الجزء الثانى

لاحظ مايكل تعبيراتهـــا ولكنه كان يفكر فيما فعلـــه اليهود عندما قدموا إلى فلســـطين، ووعد بلفور اللعين «.....» كان عليهم القضاء على الفلســـطينيين، فهل ســـيكون قتل ســـكان بابوا غينيا الجديدة.

يتنقـــل الكاتـــب من ســـرد هذه المقترحات ويتفق مايكل مع رفاقه على مد يدهم فى بئـــر التاريخ عبر الحضارة العربية. وخرجوا بمنهج خاص من كتابين بالإضافة إلى كتاب «تاريخ لا يحكونه فى المدارس لأحمد صفوان».

بدأت أمينة أول درس فى التاريخ كما لاحظت أن أغلبية التلاميذ من المستوطنين قال مايكل: «بعد قليل سيشعر كل واحد منهم أنه عربى».

يســـتمر الكاتب فى عـــرض أفكار مايكل أو أحلامه لإيجاد حل لأمته ويقول، وهو يعلق على التحـــول الذى طرأ على مايكل إنه يفكر فى جلب بعض «الأسلحة المتقدمة» وتكلم عن تأســـيس الولايات المتحدة عندما جلبت «البطاطس الملوثة بالجدرى»، وكان الثمـــن باهظًا وهكذا ولدت المتحدة: «ارتجف الفتى المهاجر وهـــو ينظر إلى وجه مايـــكل، رأى الدم والصراخ والألم». أقسى الرجال هم الذين تستولى عليهم فكرة السيطرة.

وتبدأ المعـــارك ويســـتمر العنف ونزيف الدم، دم أبرياء جدد. وتتســـاءل أمينة: هل حضروا هنـــا ليفعلوا بأبرياء ما عانوا منه؟ إنـــه الاختلاف، لم يعد فى الأرض ســـلام. ويعلق أحد القادمين: «إن الولايات المتحدة وجدت عن طريق إبادة الهنود الحمر».

امتـــلأت الصفحات بوصف المعارك الدامية التـــى أقدم عليها القادمون الذين يبحثـــون عن وطن جديـــد يحميهم من المعاناة فى أماكن أخرى ففروا منها لأنهم مختلفون.

ويتساءل القارئ: أين هؤلاء القادمون العصريون من الفتوحـــات العربية التى كانت تنشـــر المعرفة وتقدم على علاج المواطنين الأصليين وتبنى حضارة؟

غير أن القادمين لم يلبثوا أن بدأوا فى تأسيس قواعد لهم: فكروا فى وضع اسم الجزيرة فأطلق عليها «شآبيب».. لم تكن غينيا الجديدة قد ظهرت بعد. بدأ أحدهم ينظم الشعر، فقد كان مكرم يعرف أهمية الأقصوصة والأغنية لصنع مشروع قومى.

بدأت أمينة تعيش عاطفية مع سليم، الذى كان جارها فى أوســـلو. اســـتمرت عمليات البحث عن الآثار العربية القديمة: المســـجد والقصر، ثم العثـــور على إناء فخار.

تستعرض الأبواب الباقية من الرواية المجهـــودات التى تبذل مـــن أجل تهيئة إقامـــة القادمين: صراعـــات مع مواقف عديـــدة: المنـــاخ والتكيف مع ســـكان الجزيرة الأصليين. يقول ســـليم - الفتى الساخط - لأمينة: أنا لا أطيق هؤلاء القوم، والسبب، لأنهم يعوقوننا.

ثم يضيـــف: «نحن نحتـــاج لهذه الجزيـــرة بالكامل. لابد مـــن إبادة هؤلاء القوم، إنهم أقرب للقردة ولن يخســـروا شيئًا بفقدهم حتى هم».

تتساءل أمينة: «ماذا فعلوا هؤلاء القوم ليســـتحقوا هذه القسوة؟». وكانت إجابة ســـليم: «هى مزيج من الانتقام لما حدث لزوجته وطفليه لمجرد أنهم مختلفون».

هذه هى رسالة العنف التى نأخذها وننقلها بأمانة وصدق للآخرين.

تتناول الصفحات، بعد ذلك، ســـرد تفاصيـــل مجهودات الإقامة والتشـــييد، فالحفريـــات تـــدور على قدم وســـاق والمدرسة فتحت أبوابها. وابتهج الرجال لعثورهم على إنـــاء فخار، غير أن مكرم كان على يقين من أن هذا الإناء تم شراؤه من الصين وأن الملصق الذى كان عليه قد انتزع.

اســـتمرت الحفريات فـــى حماس واقتـــرح أكرم ألا يذاع هذا الشـــك حتى يشـــعر القادمون أن لهم جذوراً فى هذه الجزيرة.

بدأ مكرم يشـــعر باليأس فهو يقول: «الأمـــر أضخم ممـــا يمكنـــك تصوره، الوطنيـــون يحاولون منعنـــا من صنع دولتنا».

ويقتل مكرم. غرس فتى من الجزيرة ســـهماً فى صدر الرجـــل «وغاب الرجل العظيـــم». لم يعترف أحـــد أنه قد كذب عليهم، ثم قتـــل الفتى الذى اغتاله وتقرر زوجته العودة للولايات المتحدة.

تســـتمر الحوارات بين المهاجرين وتطرح الأفكار ويســـتمر الجدل وتحدث معركة بيـــن العرب أنفســـهم: العمال القادمون مـــن أوروبا والعمال القادمون من أفريقيا.

معارك أخـــرى تنصب على التفرقة. هل عادوا إلى الأجواء التى تركوا بسببها البلاد الغربية التى كانوا قد هاجروا إليها؟ أخذ العرب يســـتعملون سكان الجزيرة فى مواجهة خصومهـــم من المهاجرين، تعقدت الأمور، كثرت المشاجرات. كانت المشاكل متنوعة ما بين دينية أو عرقية. تم تكوين فرقة شرطة. لم تقف الخلافات عند هذا الحد، بل جـــاء اليوم الذى طلب فيه بعض الشباب تسليمهم الجامع فهم أولى به.

يقـــول الكاتـــب معلقًـــا على هذه المواقـــف: «عندما يعتقـــد البعض أنهم يتكلمون بلسان السماء، فالنقاش معهم مستحيل، وســـوف يتحول المجتمع إلى فـــرق تعتقد كل فرقة أنهـــا وريثة الرب والأرض».

ويتم عقد اجتماع. يعبر ســـليم فى كلمته عن حزنه ويأســـه من اســـتحالة تحقيق حلـــم الوحدة بيـــن العرب. ثم يضيف: «مشكلة العرب موضوع الخلاف والانقسام».

تحدث مشكلة خطيرة: بركان خامد، منذ أجيال، ينذر بالانفجـــار وقد أعلنت وسائل الإعلام من الولايات المتحدة ثبوت هذه المعلومة. بدأ الوافدون الرحيل.

يصل القارئ إلـــى هذه النهاية، بعد أن تابع المشـــاكل العرقية التى حدثت بين الوافدين. ونتســـاءل: هل أصبح من المســـتحيل أن يعيد العـــرب أمجادهم القديمة، ووحدتهـــم التى حققها الخلفاء الراشدون التى اســـتمرت حتى تم نقل السلطة للدولة العثمانية؟

تنتهى الرواية برســـالة بعثها سليم يعبر فيهـــا عن اســـتحالة التعايش مع أهل هـــذه الجزيرة. فلابـــد من الاندماج التام، والاندماج صعب مع هذه العقليات المتخلفة. التعايش أن نذوب فى الآخر.

«تجربة أستراليا نجحت لأن الاستعمار نجح فى إبادة شـــعب كامـــل «.....» تعلمت أن الاستعمار يورث القسوة».

القـوة النـاعـمة

سفير أشرف عقل

aklashraf56@gmail.com

يعد الكاتـــب «جوزيف نای» العميد الســـابق لجامعة هارفارد الأمريكيـــة أول من صـــك تعبير «القوة الناعمة» فی كتابه الصادر عام 1990 تحت عنوان « Bound to Lead» لكـــن مفهوم «القوة» نفسه يعود إلى ما قبل نای بكثير.

عـــرف « نای» القـــوة الناعمة بأنها القـــدرة على الحصول على ما تريد عن طريـــق الجاذبية بدلاً عن الإرغام، وهی القدرة على التأثير فی سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخاة بدون الاضطرار إلى الاســـتعمال المفـــرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة. وهذا ما حـــدث مع الاتحاد الســـوفييتی السابق حيث تم تقويضه من الداخل .

وقـــد اقتبـــس «نـــای» ثنائية الصلـــب والناعـــم من التقســـيم المعروف لتكويـــن أجهزة أو قطع الكمبيوتر الـــذی يتألف من أدوات ناعمـــة Software وأدوات صلبة Hardware، فهذا التقسيم راج فی تسعينيات القرن الماضی على إثر انتشار الكمبيوتر والإنترنت .

قســـم «نـــای» مـــوارد القوة الناعمة إلى محاور ثلاثة هی: القيم والمؤسســـات الأمريكية، وجاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأمريكية، وصورة أمريكا وشـــرعية سياســـاتها الخارجية وتعاملاتها وسلوكياتها الدولية .

كما حـــدد مصادرهـــا بأنها: مصانع هوليـــوود والإنتاج الإعلامی والســـينمائی، والطلاب والباحثون الوافدون للدراســـة فـــی الولايات المتحـــدة، والمهاجـــرون ورجال الأعمال الأجانب فی السوق الأمريكية، وشبكات الإنترنت، وبرامج التبادل الثقافـــی والمؤتمـــرات الدوليـــة، والشركات العابرة للقارات، والرموز والعلامـــات التجارية مثل كوكاكولا وبيبسی وماكدونالد وغيرها ..

وبعبارة أخـــرى، ترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات الإعلامية والثقافيـــة والتجاريـــة والعلاقات العامة، وكل مـــورد لا يدخل ضمن القدرات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة.

تعد القـــوة الناعمة أو ما يمكن تســـميته الحرب الناعمـــة البديل المجـــدی لأمريكا بعـــد الإخفاقات والتكاليـــف الماليـــة والبشـــرية والمعنوية الباهظة لحروبها الصلبة، حيث تعد الحـــرب الناعمة خلاصة تراكـــم مجموعة من السياســـات والأفكار التی جری تطبيقها بشكل مستقل على مراحل تاريخية متعاقبة وفی مواجهة أوضاع دولية مختلفة بداية من فكرة الاحتـــواء المزدوج التـــی اعتمدتها فی التســـعينيات للتعامل مع البيئات والنظم المعادية لها، مروراً بعقيدة الصدمة والترهيب التی طبقتها ضد يوغسلافيا السابقة

جوزيف نای

وأفغانستان، وكذلك ضد العراق عام 2003 م، لكن الإخفاقات التی منيت بها دفعـــت الباحثين وصناع القرار للتفكير فی العودة إلى سياســـات القوة الناعمة التی طبقت أيام الحرب الباردة وأثمرت ســـقوطاً للاتحاد الســـوفييتی والمحور التابع له فيما بعد بدون إطلاق أيـــة رصاصة أو قصف أی صاروخ .

وقد استخدمت الولايات المتحدة قوتها الناعمـــة المتمثلة فی الوكالة الأمريكيـــة للتنميـــة الدولية التی تعـــد ذراع وزارة خارجيتهـــا عبر البرامج التنموية للمنظمات الأهلية والمؤسســـات العامـــة والخاصة، فضلاً عن برنامج المنح الدراســـية من خلال جامعاتها المنتشـــرة فی أفغانستان ومصر ولبنان والإمارات والأردن وغيرهـــا، لتحقيق أهدافها وتطويع إرادات الـــدول والأطراف الأخرى خاصة فيما سمی « ثورات الربيـــع العربی»، ويعـــد ذلك من الموضوعات التی أثارت جدلاً واسعاً نظـــراً لتطبيقها برامج سياســـية وثقافية خفية .

ذكـــريات معه

لقد ناقشـــت العديد من الأدبيات بتفصيل كبير شـــخص الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من النواحى القيادية والعســـكرية والسياسية، لما كان لهذا الزعيم وتحركاته فى شتى مراحل حياته من تأثير فى مصر والمحيط العربى وامتداد تأثيره للعالمية، وبالتحالفـــات التى حرص أن تكون مصر بقيادته جزءاً لا يتجزأ منها فى تلك المرحلة التى كانت غنية بالتغيرات الجذرية فى المشـــهد السياسى الإقليمى والدولى. ولجمال عبد الناصر جانب آخـــر لوجه القيادى والثائر والرئيس، وهو جمال الزوج الهادئ والمهتم ما أمكنه برعاية شـــئون زوجته السيدة تحية وأبنائه الخمسة. يتجلى الجانب الشخصى للرئيس الراحل للمتصفح فى كتاب زوجته الراحلة تحية جمال عبد الناصر بعنوان «ذكريات معه».

يقع الكتاب فـــى 136 صفحة من القطع المتوســـط، وقد قســـمت هذه الصفحات لتضم بيـــن طياته عناوين كبيرة ومحطات مهمة فى حياة الزعيم الراحـــل وحياة زوجتـــه وأطفاله. فقد احتوى فهرس الكتاب علـــى ما يناهز الأربعين عنواناً، لا تقل أهمية أى منها عن الآخر على الصعيدين الشخصى والعام للرئيـــس جمال عبد الناصر وأســـرته. ولعل الكثير من تلك العناوين مفصلية تتناول العديد مـــن المحطات الفارقة فى التاريخ المصـــرى وتاريخ المنطقة بأسرها، كحصار الفالوجة، ليلة الثورة، تأميم القناة، العـــدوان الثلاثى، الوحدة والانفصال، عدوان 1967... وغيرها.

مذكرات أم يوميات:

تســـتهل تحية جمال عبد الناصر كتابها بالتطـــرق لرغبتها المتكررة فى الكتابة عن تجربة مرافقة الرئيس الراحل خلال حياته، ولقد ناقشته بذلك فى أكثر من مناسبة ولم يبد حينها أى تحفظات، بل على العكس تقول تحية فى معرض كتابها «لقد فكرت فى الكتابة عن حياتى مع جمـــال عبد الناصـــر أول مرة فى سوريا أيام الوحدة فى سنة 1959 وقت عيد الوحدة، وأمضيت ما يقرب من ثلاث سنوات أكتب باستمرار عما مضى وعن الحاضر، لكنى فى يوم قلت: لم أكتب؟ وكان الرئيس يعلم أنى أكتب ومرحباً». بل وتضيف أن جمال عبدالناصر شعر «بالأســـف» لأنها لم تســـتمر بالكتابة وتخلصت مما كتبت حينها.

لعل قرار الســـيدة تحية جمال عبد الناصـــر الكتابة بعد ثلاثـــة أعوام من رحيل الرئيـــس جعـــل اعتمادها على ذاكرة انتقائية ســـردية بأسلوب أقرب إلى محادثة مع صديقة عن أحوال يومية لأسرتها الصغيرة. وقد يكون هذا السبب

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمال عطا

لعدم تطرقها لمحطـــات كثيرة فاصلة فى حياة الزعيم ومشـــاطرتها له الثقل لحظات فارقة كان ومازال لها وقع على كافة الأصعدة. فعلى ســـبيل المثال لا تذكر السيدة تحية فى أى من العناوين حرب اليمن أو فيما يتعلق بكيف قضى الرئيس الأيام الأربعـــة الفاصلة ما بين 5 - 9 يونيو حيـــث إنها تقول فى هذا الحدث وفـــى باب بعنـــوان «عدوان 5 يونيو 1967» كان الاعتداء الإســـرائيلى على ســـوريا وكان الرئيس يجلس معنا فى الصباح، وقال: إن اليهود سيعتدون على مصر، وحـــدد بالضبط يوم الاثنين المقبل. وحصل الاعتداء الإسرائيلى فى اليوم الذى حدده الرئيس 5 يونيو 1967 فى الصباح». ثم تردف قائلة: «فى يوم 9 يونيو ألقى الرئيس خطاباً يعلن تنحيه عن الحكم».

ويمكن القول بأن ما أنتجته زوجة الرئيس الراحل فى هذا الكتاب مشكورة يمثل انطباعات عن بعض المحطات التى شهدتها وربما مشـــاركتها فى بعضها خلال كافة هذه المراحل. ولعل المأخذ الرئيسى على تحية جمال عبدالناصر هو طرحها لعناوين وأيام فارقة فى تاريخ مصر ومرورها عليها مرور الكرام دون أن تتطرق إلى الجو الذى ســـاد المنزل وقتها أو ما قام بـــه الرئيس فى البيت وهذا ما سيبحث القارئ عنه بين سطور مذكرات زوجة جمال عبدالناصر، وكان هذا فـــى كثير من المواضـــع لا يرتقى لأهمية العناوين المدرجة.

ورغـــم أنه كان لشـــخصية جمال عبدالناصـــر الكارزماتيـــة تأثير كبير فى الشـــأن العام، لكنه وكما يظهر من مذكرات زوجته تحية كان رجلاً يتســـم بالبساطة الشديدة، لا يلح بمتطلباته فى المنزل. فتذكـــر زوجته بأنه كان يعتنى بشـــئون ملبســـه ومأكله فى كثير من الأحيان، لا بل كان يلح عليها ويشـــترط عدم نهوضها باكراً فى الأيام التى يغادر بها المنزل مبكراً لتحضر له الطعام أو الملبس.

ولعـــل جمـــال عبدالناصـــر كان محظوظاً بالـــزواج من تحية، وذلك لأن طبيعة هذه المـــرأة اللافضولية، قليلة الأســـئلة، المتفهمة للغياب المســـتمر لزوجها، والحضـــور المفاجئ لكل من يجتمع بهـــم وما يقوم بـــه قد تماهت بانســـجام وما تســـتدعيه حساســـية تحركات الزعيم فى شتى مراحل حياته. فتجد فى كافة سطور الكتاب وبتفصيل حضور الكثير من الشـــخصيات المهمة إلى منزله، أشـــخاص شـــاركوا جمال عبدالناصر رسم ملامح تلك الحقبة وما بعدها مـــن تاريخ مصر والمنطقة. لكن تحية وكما تكرر فـــى أكثر من موضع فى الكتـــاب «لم تكن تعلم من هم وماذا يصنعون وعن ماذا يتحدثون»، باستثناء قيامها باســـتضافة أى مـــن زوجات الحاضرين إن طلب منهـــا، وإلا فإنها كانت تغيب عن المشهد بكل هدوء ودون

أى استفسارات أو طلب لتوضيح أى شئ. كما أن تحية وفى كثير من المواقف الحساسة التى كانت تواجهها كأم وربة منزل كانت تحاول التعامل مع المواقف دون إقحام جمال عبدالناصر فيما قد يكون من شأنه تشتيته أو التأثير على سير نشاطاته.

لقد كانت منازله المختلفة التى تنقلت بينها الأسرة فى مراحل مختلفة من حياة الرئيس جمال عبدالناصر مسرحاً نشطاً لما كان يخطط له والضباط زملاؤه فى مراحل مختلفة وتحت ظروف ومسميات كثيرة. لكن عمله السرى المهم هذا، لم يتقاطع بشكل سلبى ورعايته لأسرته واهتمامه بأدق تفاصيلها ما أمكنه ذلك. ففى مرحلة مبكرة من زواجهما بدأ جمال عبدالناصر باستخدام شقة الزوجية كمخزن للأسلحة، وتطور الموقف كما تسرده تحية من تخزين للطبنجات بأنواعها إلى أن وصل الأمر إلى وجود مدافع وقنابل داخل المنزل وفى غرفة مكتبه حرصت على الحفاظ عليها بما يتماشى وسرية المهمات والحفاظ على أمن الأطفال والمنزل.

وليس أدل على هذا السلوك اللافضولى المبهر، من أنها فقط ليلة 22 يوليو 1952 علمت من شقيقى جمال عبدالناصر اللذين كانا يبيتان عندهما فى المنزل بأن انقلاباً قد حدث فتقول « رأيت أخويه يقفزان من الفرح ويقبلان بعضهما وقالا: افرحى افرحى... فقلت: وأين جمال؟ والطلقات التى سمعناها؟ وأخذت أبكى وقلت: الآن فهمت... إنه انقلاب عسكرى».

جمال عبدالناصر رومانسى:

لم تصف تحية زوجها جمال عبدالناصر بالرومانسية بصريح القول، لكن كل ما سردته فيما خص علاقته بها كزوجة وشريكة حياة وأب لخمسة أطفال، كان يشير إلى أنه كان زوجاً لطيفاً ورجلاً ليناً حسن المعاملة معها ومع أطفالها، فى كل مراحل حياته وبغض النظر عن التقلبات المفصلية فى عمله وفى حالته الصحية. كان حريصاً أن يصطحب تحية للسينما وأن يقضى بعضاً من أيام عطل الصيف مع زوجته وأولاده.

ولعل أول اختبار لمودته ما واجهته تحية من حزن وخوف حين انتقل جمال عبدالناصر لفلسطين وتحديداً للفالوجة وقت حصارها فى أكتوبر من العام 1948، وما روته عن أن جمال عبدالناصر كان حريصاً دوماً على أن يراسلها أو يحادثها عبر الهاتف ما استطاع طيلة فترة تواجده على الجبهة فى فلسطين المحتلة. فمثلاً فى خطاب له فى 14 يناير من عام 1949 يقول جمال لتحية «... أرجو أن تفسحى هدى دائماً وتأخذيها جنينة الحيوان وجنينة الأسماك... أرجو أن تكونوا دائماً فى أسعد حال».

لم يكن اهتمام عبدالناصر بأسرته الصغيرة فقط، بل امتد لتمتاز علاقته بأواصر من الود مع أسرته الكبيرة وأسرة تحية. ومواضع ذكر هذا فى الكتاب كثيرة حيث تروى تحية عن «التصاقه» بأخيها الأكبر حين مرض وحرصه على التواجد المستمر إلى جانبه فى المستشفى، مما ترك أكبر الأثر فى نفس أخيها وأسرتها ككل. كما كان يحرص فى كافة المرات التى أنجبت فيها تحية أن يكون إلى جانبها قدر الإمكان.

تروى تحية كيف كان جمال عبدالناصر رجلاً بسيطاً فى كل ما يتعلق بأمور حياته، رفض بذخ السلطة حينما كانت على مرمى جرة قلم منه، رفض فى مواضع كثيرة الهدايا المبالغ بثمنها والتى أرسلت له من أثرياء العرب أو رؤساء من شتى أنحاء العالم حينها. فقد كان على الدوام حريصاً على أن يحيا أبناؤه حياة محورها الرئيسى هو تعليمهم وعصاميتهم فى شق طريق حياتهم، ويروى الكتاب الكثير من القصص والمواقف منها الجاد ومنها الطريف فى هذا السياق. أما هى شخصياً فهى امرأة شديدة البساطة، لم يؤثر دور زوجها ومكانته على شخصيتها المتواضعة. فهى تروى بفكاهة كيف أنها وفى كثير من المناسبات الرسمية التى كانت تناط بها كحرم لرئيس الجمهورية كانت تصاب بالإعياء والإغماء. وكان الأطباء يقومون بإعطائها بعض الأدوية فى بعض المناسبات لتستطيع التواجد إلى جانب الرئيس فى بعض مهامه الرسمية إلى أن اعتادت وأصبح حضور هذه المناسبات على قلتها أمراً يسيراً لها.

ولا يتعين علينا أن ننظر إلى هذه الذكريات باعتبارها تأريخاً مفصلاً لحياة الرئيس الراحل وللأحداث التاريخية المهمة التى مرت بها مصر فى عهده، بقدر ما يمكن أن ننظر إليها كومضات من حياة الرئيس الراحل، كتبت من أقرب إنسانة إليه على الإطلاق بشكل بسيط جداً وبتلقائية شديدة، تحمل القارئ لجو المنزل أو المنازل المختلفة التى تنقلت بينها هذه الزوجة تحمل معها عبء أسرة وتسير جنباً إلى جنب وإنجازات قائد ورئيس بقدر جمال عبدالناصر. رحم الله الرئيس الراحل الذى مرت منذ أيام ذكرى ميلاده الأولى بعد المائة ورحم الله زوجته السيدة الفاضلة تحية.

ألعقد الفريد لإبن عبد ربه
درة الأدب

من شذا عبير التراث العربى، طفت بين كنوزه الزاخرة، بشتى ألوان المعرفة والعلم، وتوقفت أمام إحدى جواهره الثرية، متأملاً لكى أســـتوعب جواهر متفردة، لتقديمها للأجيـــال المحبة لتراثها، فى صورة تتيح لشبابنا، المتعة، ومعايشـــة ذلك التراث القيم، بمناســـبة معرض الكتاب الخمسين الذى انتهت دورته فى الخامـــس من فبراير الحالى، ذلك العرس الثقافى المتميز الباعث للمعرفة والثقافة، وكان العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسى هو درة الأدب لأقدمه للقارئ، إحياء لتراثنا العربى والإسلامى.

عادل عبدالصمـــد

adelabdelsamed@yahoo.com

العقد الفريد موسوعة نادرة، تجسد عظمة الحضارة العربية والإســـلامية، ويشتق اسم الكتاب من جوهر ما احتواه من لآلئ وجواهر المعرفة، وتزداد قيمته تألقاً وتعلـــو وترتفع مكانتها مع مرور السنين.

صاحب الموسوعة العلمية والأدبية، الأديب الموسوعى أبوعمر شهاب الدين بن محمد بن عبدربه القرطبى الأندلسى، أحد علماء وأدبـــاء الأندلس المتفردين بأعمالهـــم التـــى أفـــادت الحضارة الإنسانية، ومازالت جسراً مضيئاً للعلوم والآداب وكل ألوان المعرفة.

نشأ ابن عبدربه فى قرطبة، الزاهرة بالعلوم والثقافـــة، المتميزة بنهضتها العلمية وحضارتها المتألقة، قرطبة ذات الطبيعة الســـاحرة، المتميزة بعلمائها وأدبائها.

عاش ابن عبدربه بقرطبة منذ مولده فى العاشـــر من رمضان ســـنة (246 هجرية) الموافق ســـنة 860م) إلى أن توفى فى 18 جمادى الأولى سنة 328 هجرية الموافق مارس ســـنة 940م، وظل بقرطبة طوال حياته متزوداً بعلوم عصره، ودرس الفقه والتفسير والحديث والآداب وعشـــق الموســـيقى والغناء والتواشيح.

وتلقـــى العلم عن عـــدد من علماء عصره المشـــهورين فى قرطبة، منهم بقى بن مخلد، محمد بن وضاح، عثمان بن المثنى، محمد بن عبدالسلام الخشنى وزرياب المطرب الموســـيقى وغيرهم من رجال العلـــم الذين ذاع صيتهم فى الأندلس وأقطار المغرب.

اشتهر ابن عبدربه بكتابه الموسوعى الفريـــد (العقد الفريد) وقســـمه إلى خمسة وعشرين كتاباً، سمى كل كتاب باســـم جوهرة من جواهر العقد، حيث تخيله على شكل عقد، والعقد يتألف من جانبين، فجعـــل فى كل جانب جوهرة، تقابلها فى الجانب الآخر جوهرة بنفس المسمى، لكنها تختلف عن الأولى بزيادة الثانية وفى مجالهـــا أيضاً، وفى العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وهكذا، أما واسطة العقد فأسماها الواسطة دون أن يميزها باســـم جوهرة ذلك أنها تتوسط العقد فجعلها متميزة عنه.

وتضمـــن كل كتاب من موســـوعة العقد الفريد عنوانـــاً متميزاً عن الآخر، حسب موضوعه ونفرد هنا نبذة عن تلك الكتب ومضمونها بإيجاز لتعم الفائدة:

1 ـ كتاب اللؤلؤة والســـلطان، يكثر فيه النقل عـــن الفرس والهند وقدم من خلاله رؤيتـــه الصفات الواجب توافرها فى من يتولى السلطة، حيث يقول:

الســـلطان زمام الأمـــور، ونظام الحقوق، وقوام الحدود، والقطب الذى عليه مدار الدين والدنيا، وهو حمى الله فى بلاده.

وتتوالـــى فصول الكتـــاب ليقدم الطاعـــة وآداب معاملـــة الســـلطان، ناصحاً الســـلطان بالتحرى فى اختيار حاشـــيته، وصفات الإمام العادل وركز على التواضـــع الذى يجب أن يتحلى به الســـلطان، والحلم الذى يجب أن يكون عليه السلطان مستشهداً بأمثلة متنوعة وحكم من التاريخ.

2ـ كتـــاب الفريدة فـــى الحروب، سجل من خلاله وصف القادة والشعراء للحروب، وكيف نظروا إليها، والشجاعة والذين اشـــتهروا بها كعنترة بن شداد وأشـــهر فرســـان العرب فى الجاهلية والإســـلام ووصف الخيل وأورد شعراً كثيراً فى وصف الخيل والسيف مسجلاً أشهر الرماة.

3 ـ كتـــاب الزبرجدة فـــى الأجواد والأصفاد والمقصود بالأصفاد الأعطيات، مدح الكرم وذم البخل وذكر قيمة الوفاء بالوعد مع طرائف أبـــى دلامة، وأجواد العرب فى الجاهلية والإســـلام، ويقول فى مقدمته:

قد مضى قولنا فـــى الحروب وما بداخلهـــا من النقـــص والكمال وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد والعـــدة والعدد ونحـــن قائلون بعون الله وتوفيقه فـــى الأجواد والأصفاد، إذ كان أشرف ملابس الدنيا وأزين حللها، وأجلها لحمد وأدفعها لذم، وأســـترها لعيب، كرم طبيعة يتحلى بها الســـمح السرى، والجواد السخى ولو لم يكن فى الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تســـمى بها، فهو الكريم عز وجل، ومن كان كريماً من خلقه، فقد تسمى باسمه.

4 ـ كتاب الجمانة فى الوفود وشمل

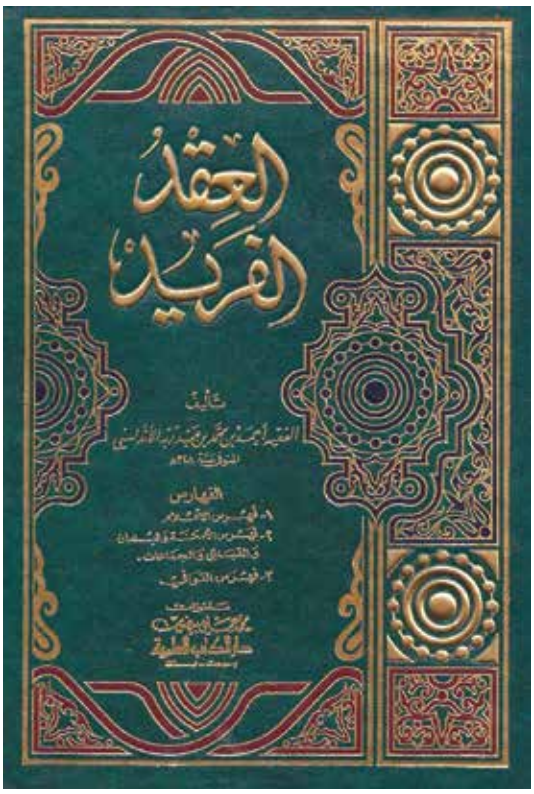

الحديث عن وفود العرب على كسرى والوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، مع ذكر القصص والحكايات المشوقة الجذابة.

5 ـ كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك وقد سبق أن تناول موضوعه فى الكتاب الأول (اللؤلؤة فى السلطان) ولكن فى هذا الكتاب تناوله بالتفصيل والشرح والحكم مع صور من مدح الملوك والاستعطاف والاستجداء مع روايات متعددة.

6 ـ كتاب الياقوتة فى العلم والأدب ويقدم من خلاله أهمية العلم ويبرهن على أهمية طلب العلم وفضله وآداب طالب العلم، وتحدث عن العقل وأورد فيه روايات متعددة وعن الحكمة والمروءة، والصداقة وأهميتها وكيفية اختيار الصديق وتفضيل الصداقة على القرابة وتكلم عن الحسد وعلاماته والغيبة والتسامح والتواضع.

7 ـ كتاب الجوهرة فى الأمثال وخير ما بدأ به أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تحدث عن أمثال وردت على ألسنة العلماء وأمثلة العرب فى مواقف متعددة مثل حفظ اللسان وإكثار الكلام والصمت والصدق وإنجاز الوعد وأورد أمثلة كثيرة فى مكارم الأمثال منها:

قيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قيل له فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم.

وقالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله. وقالوا أفضل البر الرحمة.

قال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها، ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب. وقالوا ثلاثة لا تكون إلا فى ثلاثة: الغنى فى النفس، والشرف فى التواضع، والكرم فى التقوى. وقالوا: ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله فيه العالم كله، فكان فيه بسالة الليث، وصبر الحمار، وحرص الخنزير، وحذر الغراب، وروغان الثعلب، وضرع السنور، وحكاية القرد، وجبن الصفرد.

8 ـ كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد، وبدايته مواعظ الأنبياء وضرب أمثلة متعددة منها، وتحدث عن مواعظ الحكماء ومواعظ الآباء ثم الزهد والخوف والتوبة والتهجد والقناعة والرضا بقضاء الله وقدره.

9 ـ كتاب الدرة فى النوادب والتعازى والمراثى.

10ـ كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب وتكلم عن أصول العرب وأنسابهم وقبائلهم وأخبارهم.

11ـ كتاب العسجدة فى كلام الإعراب وهو سجل وافٍ لأقوال العرب وفصاحتهم فى الدعاء ونوادرهم.

12ـ كتاب المجنبة فى الأجوبة ويتضمن محاورات بليغة بين الأدباء والحكماء وكبار رجال الدولة كمحاورة بين معاوية وعقيل بن أبى طالب ومعاوية وابن عباس.

13ـ كتاب الواسطة فى الخطب، وتضمن الخطب المشهورة وفرق بينها وبين الأجوبة فى الكتاب السابق وبدأ بخطب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل خطبة حجة الوداع وخطب الخلفاء ثم خطب مشهورة فى التاريخ كقطع أدبية ثرية مثل البتراء لزياد بن أبيه وغيرها.

14ـ كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة. وتحدث فيه عن الكتاب الذين يكتبون للخلفاء وتحدث عن صفات الكاتب وتوقيعات الخلفاء والأمراء.

15ـ كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم.

16ـ كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وكانت أيامهم حبلى بالأحداث والمشاكل وتم تسجيلها بما فيها من غرائب وفتن.

17ـ كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم، سجل أيام العرب فى الجاهلية وحروبهم فيما بينهم وبين الفرس أيضاً كيوم ذى قار.

18ـ كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه وهو كتاب أدبى فقط حيث سجل أفضل أشعار العرب ومنها المعلقات.

19 - كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى.

20ـ كتاب الياقوتة الثانية فى علم الألحان واختلاف الناس فيه، ويرجع تأليفه لهذا الكتاب لولعه بالغناء والفن.

21ـ كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن.

22ـ كتاب الجمانة الثانية فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين، تحدث عن شرائح متنوعة من الناس منهم أهل الشعوذة والمجانين وأهل الجهل وشعراء المجانين ونماذج من شعرهم وأخبار البخلاء.

23ـ كتاب الزبرجدة فى طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، وهو من الكتب الممتعة والشيقة بما فيه من ذخائر وخفايا الإنسان السوى والحيوانات وأنواعها ومهاراتها ومصائدها وتحدث عن البلدان والرقى والحجامة والتعويذة والكى والسم والسحر.

ألعقد الفريد لأبن عبد ربه درة الأدب

24ـ كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب، وهو من الكتب النادرة فى هذا الموضوع، نتعرف من خلاله أطعمة العرب وأسماءها وصفة الطعام وفضله وآداب الأكل وتناول الخمر وتحريمها.

25ـ كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح، وهو من الكتب الخفيفة على النفس لتناوله نوادر العرب وأصحاب النكت والفكاهات كأشعب والأعمش.

قيمة الكتاب ثقافياً وأدبياً:

يقول الكاتب أحمد أمين: احتوى الكتاب على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال، وأيضاً على ما يسميه صناعة الألحان والغناء والحديث عن النساء، ثم يعرج على مدعى النبوة والمجانين والبخلاء ولاينسى طبائع الإنسان والأمم والتفاضل بين صفاتها، ومزج بين الثقافات العربية والثقافات الأخرى. ولم يتأثر ابن عبدربه بالأدب اليونانى بقدر تأثره بالأدبين الفارسى والهندى، فضمن كتابه حكماً من أردشير وبزرجمهر أكثر من أفلاطون وأرسطو، وضمنه اقتباسات من نظام الحكم الفارسى وتصوره للعدل.

ويقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان:

كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس، وصنف كتابه العقد، وهو من الكتب الممتعة، حوى من كل شئ.

وأثنى عليه الذهبى فى العبر وقال: وكان موثقاً نبيلاً، بليغاً، شاعراً، عاش 82 سنة.

وقال عنه الثعالبى فى كتابه (يتيمة الدهر): إنه أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً وأدباً، وشعره عليه رونق البلاغة والطلاوة.

وقال عنه الحميدى فى كتابه (جذوة المقتبس): كان من أهل العلم والأدب وله شعر كثير.

ويكتب ابن عبدربه فى مقدمة كتابه عن المحتوى:

ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الأدب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب الألباب، وإنما لى فيه تأليف الأخبار، وفضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش فى صدر كل كتاب، وأما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور الحكماء والأدباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله، وقال الشاعر: إنا عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللبيب اختياره، وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم وظاهرة فى حسن اختيارهم.

وفى موضع آخر يقول فى بيان المحتوى:

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متصرفة فى فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً، جامعاً لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار فى معانيها وتوافقها فى مذاهبها، ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور.

ويضيف ابن عبدربه شارحاً سبب تسمية الكتاب:

سميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السبك وحسن النظام.

ويضيف: تطلبت نظام الكلام، وأشكال المعانى، وجواهر الحكم ودروب الأدب ونوادر الأمثال، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه، فجعلته باباً على حدته، ليستدل الطالب للخير على موضعه من الكتاب، ونظيره فى كل باب.

وجسدت كلماته هدفه من الكتاب، إنه من الموسوعات الأدبية التاريخية الاجتماعية، جمع فيه مجموعة من النصوص الأدبية فى الشعر والنثر، ما بين حكمة مأثورة أو قول مشهور أو مثل سائر، بالإضافة إلى طائفة من الأخبار التاريخية والاجتماعية وغيرها، وطبائع النفس والنوادر والملح.

وهو بذلك موسوعة ضخمة فى الثقافة العربية والإسلامية، بل يعتبر دائرة معارف، تكاد تكون مكتملة الحلقات من الأخبار والنصوص الأدبية، ويعد أول وأهم كتاب فى الأندلس من حيث الثراء والتنوع والتفرد وهو حجة ومصدر له أهميته لمعرفة حياة قدماء العرب وخاصة الأدبية والاجتماعية والسياسية، وصيغت مادة الكتاب بالأسلوب الأدبى بالإضافة إلى الأسلوب الشعرى الجذاب.

الرجوع إلى الله

الرحيل عن الدنيا بالموت أمر قدره الله لجميع الأحياء بلا استثناء، قال عز من قائل «كل نفس ذائقة الموت» (آل عمران 185) ويقول لرسوله «إنك ميت وإنهم ميتون» (الزمر 30) وذلك تمهيدًا للبعث يوم القيامة والرجوع إلى الله..

لم يقل جل شأنه الذهاب إلى الله، بل الرجوع إليه «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون» (البقرة 28).. وقال جل جلاله «إن إلى ربك الرجعى» (العلق 8) وفى سورة الأنبياء «ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» (الأنبياء 35) ولكن لماذا الرجوع؟ اقرأوا إن شئتم قوله تعالى «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (الأعراف 172) فسبحان من يعلم السر فى السماوات والأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير.

نحن إذًا ميتون، والموت صعب والفراق صعب. ولكن الدنيا لا بقاء فيها ولا بقاء لها، والآخرة هى المقر. فهنيئًا لمن يدخل الجنة بعمله وبرحمة خالقه، لأنه لا رحيل عن الجنة لمن دخلها، وهذا هو الفرق الأعظم - فى نظرى - بين الدنيا والآخرة، وليس نعيم الجنة وحسب، فالجنة أهلها مخلدون فيها، لا يخرجون منها ولا يريدون «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا» (الكهف 107 - 108) لا فراق للأحباب فيها أبدًا ولا وداع، بل صحبة لا

سفير د. فتحى مرعي

تنفض إلى أبد الآبدين، فإذا أضفنا إلى ذلك أن أهل الجنة لا يتقدم بهم العمر ولا يموتون ولا يمرضون، ولا يملون ما هم فيه من النعيم، ففى الحديث القدسى «إذ دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم

أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا» فالبقاء فى الجنة إلى ما لا نهاية مع الأهل والأحباب، والنعيم الذى لا أول له ولا آخر، وليس هناك شىء محرم عليهم، بل ينالون كل ما يشتهون وأكثر، لهو شىء يفوق الوصف، وإلى ذلك يقول رب العالمين لأهل الجنة «ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود. لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد» (ق 34 - 35)، وفى سورة النحل يقول عز من قائل «جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين» (النحل 31).

وكيف أهلوا أنفسهم لدخول الجنة؟ الأمر بسيط، هم اتقوا الله ما استطاعوا كما أمرهم ربهم «فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا» (التغابن 16) ثم إذا زلت أقدامهم استغفروا ربهم ثم تابوا إليه «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون» (العنكبوت 7) يؤكد لنا ربنا أنه غفور رحيم «فاعلموا أن الله غفور رحيم» (المائدة 34) وفى سورة الحج يقول جل جلاله «إن الله لعفو غفور» (الحج 60).

فالجنة فى متناول من يريدها وسعى لها سعيها وهو مؤمن «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا» (الإسراء 19).

تقدمها نادية الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

كانت بداية العام الجديد بلقاء من أعظم لقاءات الرابطة، لقاء مهم لم يحدث مثله منذ سنوات. الحقيقة هذه هى المرة الأولى التى لا أجد الكلمات المناسبة للكتابة عن لقاء للرابطة. فحرارة اللقاء وجمال الاستقبال فوق أى تصور. جميل هذا الشعور الإنسانى الذى وضح بجلاء فى استقبال عضوات الرابطة لضيفنا الكبير سعادة الأمين العام لجامعة الدول العربية معالى أحمد بك أبوالغيط والسيدة حرمه ليلى هانم أبوالغيط.

تطرق الحديث لموضوعات شتى منها ما يهم الدبلوماسيين فى حياتهم ومستقبلهم. ومنها ما يخص المنطقة العربية وما يحيط بها من صراعات. وقد أجاب سعادة الأمين العام على العديد من الأسئلة التى طرحتها العضوات.

من أنشطة الرابطة أيضاً كان المعرض السنوى للتصوير الضوئى لزوجات وأبناء الدبلوماسيين والذى أقيم فى الأسبوع الأخير من ديسمبر بالمركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى التابع لوزارة الثقافة. وقد شرفنا بالحضور العديد من الشخصيات. معالى وزير الخارجية الأسبق محمد العرابى والفنان المصور سعيد شيمى. والعديد من المهتمين بالحركة الفنية والأصدقاء.

وسوف نلقى مزيداً من الضوء على المعرض فى عدد الصيف إن شاء الله.

وكانت مسك ختام أنشطة شهر يناير محاضرة شيقة ومفيدة. مليئة بالمعلومات المفيدة والجديدة لكثير منا، إن لم تكن لنا جميعاً. كان لقاء سعادة السفيرة نيفين سميكة مع عضوات الرابطة فى لقاء بالنادى الدبلوماسى النهرى. امتد لأكثر من ساعتين من المناقشات المفيدة وتصحيح لمفاهيم كثيرة عودة لقواعد الدبلوماسية العريقة. حتى لا ننسى وحتى ينشأ الأجيال الجديدة عليها.

شكراً جميع عضوات الرابطة وشكرى لنيفين هانم سميكة على ما قدمته. ووعد بلقاء آخر فى المستقبل القريب إن شاء الله.

استقبلونى بفروع شجر الموز

السفيرة د.عبير بسيونى
abassiouny@hotmail.com

الجمال لدينا فى بلادنا الإفريقية له مظاهر ومعان كثيرة. والأشجار المثمرة هى رمز جمال بيئتنا الإفريقية بقيمتها التنسيقية العالية، فهى تلعب دوراً بارزاً فى منح أراضيها تفاصيل بديعة غاية فى الجمال والجاذبية، راسمة ملامح بيئة متميزة أكثر سحراً وجمالاً. وبالرغم من انتشار شجر الموز فى عدة قارات ودول أخرى إلا أن البيئة الاستوائية المميزة لقارتنا الإفريقية جعلت لشجر الموز منزلة خاصة فى ثقافة وقلوب الأفارقة.

زرع أبى شجرة موز أمام منزلنا فى الريف وكنت أرويها معه وأنا صغيرة وكان يحكى لى أن أنواع أشجار الموز تصل إلى 76 نوعاً، وتزيد عن 200 صنف، وهى بالإضافة إلى أنه يتم زراعتها كمصدر غذائى مهم، حيث تؤكل طازجة أو تغلى ثمار أنواعه النشوية أو تحمر كالبطاطس فإن أعناق أوراق بعض أنواعه تعد أليافاً ممتازة لصناعة الحبال والورق والأقمشة، لتتم الاستفادة منها وفقاً لثقافة شعوب هذه المناطق. أما قريتنا ونظراً لجمال شجرة الموز فإنها تستخدمها فى كثير من الحدائق كعنصر مهم للزينة.

والدى عمدة قريتنا وكبير متعلميها، ووالدتى من أصول سودانية عريقة. كان جدى لأمى يزورنا مرة كل عام وينطلق من بلدته فى غرب السودان على النيل الأزرق إلى قريتنا فى كوم أمبو على الجِمال قبل بداية موسم الأمطار الخريفى وبداية السنة القبطية بشهر توت. كانت أمى تجمع فروع أوراق شجر الموز وتوصينى، وإخوتى وأصدقاءنا، بحمل هذه الفروع وزراعتها على الطريق للترحيب بجدى فى مداخل قريتنا الصغيرة. هكذا اعتدنا وتعلمنا كلما زارنا عظيم استقبلناه وخرج أهل الصحراء بسعف النخيل وأهل القرى بفروع أوراق شجر الموز لنستقبله. سعف النخل وفروع شجر الموز متشابهان لحد كبير. كلاهما يُستخدم فى تغطية سقوف البيوت والأفران. كما نقوم بصنع المقشات الطويلة منها فى حين نصنع من أعواد الأرز والخيش المقشات الصغيرة.

أمى تحب جدى جداً وتنتظر زيارته كل عام بصحبة جدتى الغالية على محمل من الجِمال مراكب الصحراء بعد رحلة فى نهر النيل، وعندما تعلم بوصولهما لمدخل القرية تخرج لتتأكد من زراعتنا لفروع شجر الموز فى الطريق كأعمدة خضراء زاهية. وتقول لى: عندما يأتى جدك وجدتك يأتى الخير فى ركابهما. رضا الجدود هو نعيم للقلوب.

مراسم استقبال جدى وجدتى أهم حدث فى عائلتنا الصغيرة. ونقوم فيه بشوى الموز وتقطيعه قطعاً صغيرة وتحميصه فى الفرن مثل شيبسى البطاطس ولكنه أحلى ونهوى بفروع شجر الموز الحبيب.

تمـــر الســـنون وننتقل مـــن قريتنا الصغيرة إلى المدينة الكبيرة بعد أن ينتقل والـــدى للعمل فى إحدى الـــدول العربية. الغربة كانت ســـنينها طويلـــة، وافتقدت كثيراً ظلال أشجار قريتنا خاصة شجرتى، شجرة الموز. عشت أياماً طويلة أنظر فى السماء لعلى أرى ظلال موزى الجميل فى نجوم السماء المتلألئة بصفاء وجمال ترسم أشـــكالاً ملائكية وصوراً لفواكه وحيوانات لكنها لم ترسم موزى الحبيب. فقط القمر فى نشأته وهو هلال جميل كان ما يذكرنى بشجرتى الحبيبة.

كنا نزور جـــدى وقريتى كل عام فى أجازتنا الصيفية، وأرى شجرة الموز تطرح ثمارها الطيبـــة لجيراننا الأعـــزاء، الذين أوصاهم والدى برعايتها مع باقى أراضينا وبيتنا وكذلك عمى المريض.

ســـنواتنا تضيع، وعمى يرحل، وأبى يبكى. جدى ومن بعده جدتى يرحلان أيضاً، وأمى تبكى. تصر أمنا على العودة لتوديع أجدادنا فـــى الســـودان وتأخذنى معها. رحلة صعبة وشـــاقة يغلب عليها السواد فى الملابس والوجـــه والحزن فى القلوب. لا شىء يشـــيع البهجة فى هذه الرحلة إلا هلالى الموزى وشجرات الموز على ضفاف النيل الجميل. يجعلنى لا أشعر بالغربة رغم قسوة الظروف والأيام علىّ وعلى أمى.

نعود من رحلتنـــا الكئيبة وتُصر أمى على أن يبيع أبى أرضه فى قريتنا ويشترى لنا بيتاً فى المدينة بعد أن مات الأعزاء ولم تعـــد لنا أرض ولا جـــذور نتواصل معها. الغربة ليست فى المكان. الغربة فى الشعور بعدم الانتماء حتى لو كنت بين أهلك. قالت أمى لأبى: لا نزرع وليس لنا ســـوى شجرة الموز نعشقها. تشـــتت الأهل وتفرقوا بين الأمصار، وكبر الأولاد، فهل نتركهم يذهبون للجامعات وحدهم ويضيعون. لنعيش معاً فى المدينة حيث التعليم الأفضل والعيشة الأسهل.

يوافق والدى على مضض، ويشـــترى شقة جميلة فى أحد أحياء القاهرة يجهزها ويعدها لكى يســـتقر فيها بعد أن تنتهى ســـنوات الغربة وتعود أمـــى ونحن معها للدراســـة، ولا يستطيع أبى أن يبقى وحيداً فيأتى معنا وينشـــغل بالعبـــادة والزراعة داخل المنزل وسطحه. يزرع والدى أيضاً أمام عمارتنا التى أسكنا فيها شجرة موز، لعلها تذكرنا بتلك التى فى قريتنا الجميلة، ونتعاهد أنا ووالدى أن نسقيها معاً أنا وهو بعد عودتى من عملى الحكومى وعند عودته من صلاة العصر فى المسجد الصغير على ناصية مســـكننا. وتزيد الأيـــام فى البعد، فأسافر مع عملى، ويتوفى الوالد، وتنقطع زيارات الجدود، ويبقى فى الذكرى فروع شجر الموز وحلم أن أرى فروع شجر الموز علـــى جانبى الطريق والأطفـــال يحملون الفروع فى أيديهم فرحين مهللين.

تمر الأيام. ونرتقى وأخوتى فى مراتب العلم والوظائف. أجـــوب البلدان لكنى لم أعد أبداً لأرض الأجـــداد. اليوم، وبعد أكثر من أربعة عقود، أرى مشهد الأطفال حاملى فروع شجر الموز فى قرية، ليست بقريتنا ولكنها ليســـت بغريبة عنا، هى قرية على ضفاف النيل العظيم، الأهالى لا يتحدثون لغتى، ولكنهم يحملون عادات النيل وقلبه النابـــض بالعطاء. خـــرج الأهل والأطفال ليســـتقبلونى، عندما علموا بزيارتى لهم، زيارة لأحد أهاليهم مـــن بلاد مصب النيل لبـــلاد أعالـــى النيل. كنت أنـــا أحد هؤلاء الأطفال ممـــن ينتظرون جـــدى يوماً ما، وها أنا ذا يســـتقبلوننى كما تمنيت يوماً ما بفروع شجر الموز.

سفير
فخرى عثمان

عبرنا القناة ورفعنا العلم

احتفالاً بمناسبة مرور 40 عاماً على انتصار أكتوبر، أقام صندوق التنمية الثقافية التابع لوزارة الثقافة وبالتعاون مع مركز الهناجر للفنون معرضاً للأعمال الفنية التشكيلية فى قاعة عرض مركز الهناجر للفنون بساحة دار الأوبرا. وقد افتتحه السيد رئيس مجلس إدارة الصندوق. وقد شارك فى المعرض الجماعى 70 فناناً تشكيلياً يمثلون كافة مستويات الإبداع الفنى، ومنهم من القيادات على سبيل المثال السادة: السيد القماش. حمدى عبدالله. إبراهيم حنيط. سيد سعد الدين..إلخ. وقد غلفت جميع جدران القاعة الكبيرة المتميزة باللوحات التى تحتوى على أعلام مصر ورايتها وكأنها ترفرف كما كانت ترفرف وهى تغلف سماء ميدان التحرير، وكان مشهداً يفجر الحماس الوطنى والوحدة الوطنية المصرية، التى مثلت الإرادة الشعبية للتحرير والوقود الفعلى لانتفاضة شعب مصر فى 25 يناير. 30 يونيو. 3 يوليو. وهو الأمر الذى يؤكد صلابة الإنسان المصرى وأصالته وكرامته وشموخه وقدرته على التصدى لأشرس القوى المعادية وإسقاط نظم الحكم الفاسدة.

وفيما يلى صور لبعض الأعمال الفنية التى احتواها هذا المعرض، الإنجاز المضئ لصندوق التنمية الثقافية. أما أصداء إبداع فريق الفنانين مع اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الفنية فكانت سيمفونية لحنية مرئية ومسموعة تتسم بتعدد ألحان الآلات وأنغام الأوتار وتنوع الألوان بدرجاتها وظلالها. كما شكلت جرعه مكثفة من المتعة لحواس الإنسان الذى يحسن استقبالها ويضيفها إلى رصيد وجدانه الإنسانى، وهو الأمر الذى يدلل على مدى أبعاد القدرة الإبداعية وأعماق الطاقة التعبيرية للإنسان المصرى الفنان التشكيلى الذى غلف جدران المعابد منذ سبعة آلاف عام برسومات وتكوينات ولوحات لا تزال ألوانها باقية حتى الآن، والذى خلف تراثاً حضارياً يجذب الجماهير من كافة أنحاء العالم ليسعد برؤاها وتأملها ومحاولة فك رموزها وأسرارها .

كل التحية لصندوق التنمية ومركز الهناجر على هذا التعاون وهذا الإنجاز وكل التقدير لإبداع الفنان المصرى.

معرض كلية التربية الفنية بمناسبة مرور 92 سنة على إنشائها

بمناسبة مرور 92 سنة على إنشـــاء كلية التربية الفنية بالزمالك، أقامت الكلية معرضاً للفنون التشكيلية فى قصر الفنون بساحة دار الأوبرا، وشارك فى عرض الأعمـــال الفنية عدد كبير من خريجى الكلية القدامى والأســـاتذة بالإضافة إلى الأجيال الحديثة من الخريجين. وبعد أول جولة فى جميع قاعات القصر العديدة شعرت بحالة من الانبهار بالمســـتوى العالى للأداء والحس الفنى العميق المتميز، ورأيت حالة من تفوق المعرض ككل بالمقارنة بالعديد من الصالونات السنوية التى تقيمها وزارة الثقافة.

وأنشـــر على هذه الصفحة صوراً لبعض اللوحـــات الزيتية، لعلها تؤكد مـــدى التفوق فى التعبير والدقة فى الأداء وتمـــازج الألوان وتناغمها فى كل لوحة. وهكذا تواصل وزارة الثقافة المصرية وجميع الكليات والمعاهد الفنية والمؤسسات والهيئات والجمعيات الثقافية والفنية التشكيلية وقصور الثقافة، عطاءها وإنجازها الفعال المضئ الذى يضيف إلى التراث المصرى وما يحتويه من إبداع تاريخى وجمالى وفنى فـــى الآثار المصرية التى خلفها المصريون القدماء والتى انتشر صداها وامتد تأثيرها إلى جميع أنحاء العالم.

كل تقديرى واحترامى للإنجاز العظيم الذى قدمته كلية التربية الفنية.

الفن المعمارى
فى قلاع العرب، وحصونهم، وقصورهم (4)

شيّد العرب والمسلمون، قلاعًا وقصورًا بين تخوم الشام وأقصى الجزيرة العربية، حيث أقام الحمديّون ما يصدّ غارات البدو، ولاتزال بقاياها قائمة، وعلى مقربة من عدن اكتشف سنة 1834 أطلال حصن الغراب أوّل النقوش العربية التى اكتشـــفها الأوروبيون فى لغته العربية الجنوبية، ومطْلعه: «لقد قضينا دهورًا بين أفْنية هذه القلعة، فى عيشة راضية لا يشوبها ضيق أو عسْر...إلخ»، وحدّثنا الهمدانى، ومن بعده ياقوت، عن حصن غمدان فى صنعاء، وكانت القلعة تتألف من عشرين طابقًا كل طابق على عشرة أذرع. وشيّد الحصن بالجرانيت السّمانى، الرّخام، والمرمر.

د. يوسف نوفل

شاعر وناقد

أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس

youssfnofal@yahoo.com

من تاريخ القلاع:

كان النورمانديـــون أول من شـــيدوا القلاع، وقد ارتبطتْ القلاع بالوجود الآمن، والحياة المســـتقرّة، منذ أقـــدم العصور، واشـــتدتْ الحاجة إليهـــا على نحو خاص حين شـــهد المكان العربى خلال القرنين الحادى عشـــر والثانى عشـــر الميلاديين أخطاراً محْدقة تنوعـــتْ مصادرها ما بين الغزو التترى المغولى، والحروب الصليبية التى استمرتْ حتى وفاة البابا يبوس الثانى آخر المتحمســـين للحروب الصليبية فى الغرب سنة 1464م، وقد خلّفتْ ضراوة تلك الحروب قلاعاً شامخة البنيان، وأسواراً تضمّ فنون التحصين فى شكل متسلسل مترابط، يشـــترط، فى العلو والارتفاع، مواصفات معمارية تلائم السياق العسكرى والحربى من: أبراج مســـتديرة، وفنـــون متنوعة ما بين الأيوبيين، والصليبيين، وبلغت فنونها أوْجها فى القرن الثالث عشـــر الميلادى، جامعة بين العناصر المعمارية البيزنطية والنورماندية والإســـلامية والإنجليزية مثل قلعة ألتوبكوكونستره، والفرنسية مثل قلعة جايار على السين بفرنسا.

قلعة صلاح الدين بالقاهرة:

وتتعدد القلاع بمصـــر، وأهمها قلعة صلاح الديـــن بالقاهرة، وقلعـــة قايتباى

قلعة قايتباى بالاسكندرية

قلعة صلاح الدين الأيوبى (سوريا)

بالإسكندرية، وشيّدها الناصر صلاح الدين الأيوبى، وخطّط لربط الفسطاط بقاهرة المعز، وذلك بمدّ أسوار محيطة ترتبط بالقلعة، وشهدت القلعة سقوط دولة المماليك وسط جدرانها سنة 1811م، ومن آثارها الباقية بئر يوسف، ولا صلة له بسيدنا يوسف عليه السلام، وعرفتْ قلعة صلاح الدين بقلعة الجبل، أو القاهرة، وتضم آثارًا ثمينة، فهى متحف مفتوح منذ العصر الأيوبى حتى عصر محمد على، اختار الأيوبيون موقعها لأهميته بالنسبة للقاهرة، والفسطاط، والصحراء، أمر ببنائها صلاح الدين الأيوبى، وتضم مساجد وقصورًا، أشهرها قصر الجوهرة، القصر الرسمى للحكْم فى عهد محمد على، كما تضّم متحفًا حرْبيًا، يضم تحفًا منذ العصر الفرعونى حتى 1973م، ومن أهم مساجدها مساجد كلٍ من: محمد على، والناصر محمد بن قلاوون المملوكى، وغيرهما.

القلاع فى سوريا: قلعة صلاح الدين الأيوبى، وتبعد عن اللاذقية شرقًا 22 كم، بناها الصليبيون فى القرن الثانى عشر الميلادى حسب الفن القوطى، وحوْلها هوّة عميقة حاصرها صلاح الدين 1188م، واستخلصها، واستولى عليها الظاهر بيبرس سنة 1272، وفى سنة 1840 قام جيش إبراهيم باشا بقصفها حين كانت بيد الأتراك العثمانيين، وقلعة دمشق، وقلعة النمرود، وصافيتا، ويحمور، وعريمة، وسمعان، وشيزر، والمضيق، وجارم، وبصرى، ومصياف، وحمص، وطرطوس، والخوابى، والكهف، والعليقة، وفخر الدين، وجعبر، ونجم، ومالك بن طوق، وبانياسى. وحافظت دمشق على آثارها برغم هجمات الغزاة، فكانت أبوابها الأثرية السبعة، ذات البناء الرومانى، فى معظمها، وقد صوّرتْ عليها الكواكب، وكل باب منها يرمز لكوكب، فالباب الشرقى يرمز إلى الشمس، وباب توما إلى الزهرة، وباب الجابية إلى المشترى، والباب الصغير إلى المريخ، وباب كيسان إلى زحل، وباب السلام إلى القمر، وباب الفراديس إلى عطارد، وحمت الأبواب المدينة، واهتم بتلك الأبواب الملك العادل نور الدين زنكى الملقب بالشهيد الذى دخل دمشق عام 1154م، فأقام المآذن على تلك الأبواب، وجعل لكل منها سوقاً، وتعود شهرة الباب الشرقى إلى أيام فتح دمشق عام 14، ونزل عمرو بن العاص على باب توما، يوم الفتح، وينسب باب كيسان إلى مولى للخليفة معاوية، وأعيد بناء باب الفراديس وترميمه فى عهد الملك الصالح عماد الدين بن إسماعيل سنة 1241م، وأنشئ باب السلام فى عهد نور الدين زنكى سنة 1164م، ثم جدد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 1243م، وهو أجملها.

وقلعة حلب، وهى على تل مرتفع كان نواة مدينة قديمة، شهدت عهود: اليونانى، والرومانى، والحمدانى، والسلجوقى، والنورى، ثم الأيوبى، ثم المملوكى بين القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر الميلاديين، والعثمانى منذ القرن السادس عشر حتى سنة 1918.

وقلعة الحصن: تبعد عن مدينة حمص غربًا 61كم وعن دمشق 223كم، أنشئت 110م على الطراز القوطى، ولم تفْتح إلاّ على يد الظاهر بيبرس 1271م، بعد محاولات من نور الدين زنكى، ومن بعده صلاح الدين الأيوبى، وهى من أجمل القلاع، ومن الآثار الإسلامية، وبها جسر، وجامع، وبرج قلاوون، وبرج الظاهر بيبرس، وشغلتْها الإدارة الفرنسية أيام الانتداب، ورمّمتْ منذ سنة 1937.

وقلعة طرطوس: على الساحل السورى، حررها صلاح الدين سنة 1188م.

وقلعة صافيتا تبعد عن حمص غربًا 78كم، حررها الظاهر بيبرس 1271م.

وقلعة المرقب: تبعد عن مدينة بانياس مسافة 8كم وعن اللاذقية 60كم، استولى عليها الصليبيون سنة 1117م، ولها سور مزدوج، مع حفر فاصلة، ومن أشهر آثارها: الكنيسة، والجسر، والدرج، استعصت على صلاح الدين، ومن بعده ابْنيْه: الظاهر، وغازى؛ لمناعتها، حتى حررها قلاوون سنة 1285م.

وقلعة يحمور، واحتلّها قلاوون 1289م، وقلعة عريمة، وقلعة شيزر، وقلعة المضْيعة، وقلعة حارم، وقلعة الكهف، وقلعة الشعر، وقلعة النمرود، وقلعة بفراس، وقلعة بصرى.

وقلاع بفلسطين: قلعة عتليت، وقيسارية، وقلعة عكا، وحررها صلاح الدين 1187م.

وقلاع بلبنان: قلعة طرابلس، وقلعة عطار، وقلعة بعلبك، وقلعة شقيف، وقلعة جبيل، وقلعة صيدا.

وفى تركيا: طيركال.

وقلاع بالأردن: قلعة الكرك، وقلعة عجلون، وقلعة الشوبك.

الاهتمام الجغرافى، والاستشراقي

ارتبط الاهتمام بالرحلة وبالمكان بجهود الجغرافيين العرب بالجغرافيا على نحو ما فصل القول صبرى محمد حسن فى بحثه «الجغرافيون العرب»، مطبعة القضاء بالنجف 1958، وعلى نحو ما تحدث عباس

قلعة الحصن

حصن بابليون بالقاهرة

الفن المعمارى فى قلاع العرب، وحصونهم، وقصورهم

العـــزاوى المحامى فى ترجمته المنشـــئ البغدادى، بغداد 1948، وما كتبه لومبارد موريس بعنـــوان «الجغرافيـــا التاريخية للعالم الإســـلامى خلال القـــرون الأربعة الأولى»، ترجمة عبـــد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشـــق 1401هـ/ 1981،320 ص، مقســـماً كتابه إلى ثلاثة مباحث، أو أجزاء تضم تسعة فصول، فى الجزء الأول: أمصار الإســـلام: الرقع الأرضية وشبكات المواصـــلات، وفى الثانى: القـــوة النقدية والأنماط العربيـــة، وحركية المبادلات، مع خرائط ومخططات توضيحية.

وكان اهتمام المستشـــرقين الروس، وعلى رأســـهم: أغناطيوس كراتشوفسكى (4 مـــن آذار 1883 - 14/1/ 1951)، الذى اشتهر بكتابه «تاريخ الأدب الجغرافى العربى» ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة 1965، وكان فى طبعته الأولى فى لينجراد ســـنة 1957، من بين مصنفاته العديـــدة، وعددها 458 بحثـــاً فى ثمانية وستين عاماً، ومنها المستشفيات لجغرافية العربية، وتناول فيـــه الجغرافيا البحرية لدى العرب والأتـــراك، وابن ماجد، وتاريخ الشعر العربى ونقده منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديـــث، وتاريخ آداب اللغة العربيـــة بيـــن نصارى العـــرب، وتاريخ آداب اللغة العربية منـــذ نهضتها الأخيرة فى القرن التاسع عشـــر، والتراث وحركة الاستشراق الروسى 1950، وترجم القرآن الكريم إلى الروســـية، والأيام لطه حسين، ومختارات من أدب الكتاب العرب، ونشـــر الرسالة الثانية لأبى دلف الخزرجى (300. 191هـــ)، والأحبار الطـــوال للدينورى 1912، والمنازل والديار لأســـامة بن منقذ 1925، والبديع، وطبقات الشـــعراء لابن المعتز العباســـى (227هـــ - 296)، ومخطوطة ديوان ذى الرمة (ت 117هـ)، نشرها 1917، وغيرها، وكان قد بدأ حياته مستمعاً لنللينو (1862 - 1938)، وذلك ســـنة 1909، وحاضر فى موضوعاته فى العام 1936/1935، ودرس أصول كتابه الشهير الأدب الجغرافى. تخرج فى الكلية الشـــرقية بجامعة بطرســـبرج، وأفاد من مكتبة أســـرته، وخبرة أبيه فى المكتبات، ودرس اللغات الشـــرقية، وعلى رأســـها العربية، ودرس تاريخ الشـــرق الإسلامى، وعلم اللغات العـــام، واختلط بعلماء عرب، وقام برحلة إلى الشرق العربى بين 1908 و1910، واطلـــع على ما فـــى مكتباته، وبخاصة مكتبة الأزهـــر، وبدأ التأليف فى سن الحادية والعشرين سنة 1904. انظر محمـــد عبد المنعم خفاجـــى، هلال يناير 1976ص 52، وما بعدها.

ومن القصور الإسلامية:

ق قصر الوليد فى مينـــاء على بحيرة طبرية، وقصر الآخر فى جبل سيس، وقصر الحير الغربى(2) الذى بناه الخليفة هشام حوالـــى 727م، وقصر هشـــام فى خربة المفجر على بعد أربعة أميال شمال أريحا، وقصـــر الوليد الثانى فى مشـــتىَّ، وقصر الطوبة حوالى سنة 744م، وقصر الأخْيضر غربى كربلاء حوالى 720 - 800م.

ومن مكونات القصور: السلاملك، وهى بالتركية: مصطلـــح فى العمارة المملوكية والعثمانية، وهو القسم المخصص للرجال، والحرملـــك، وهى تعنى فـــى التركية: من حريم، أى مكان الحريـــم، والدركاه: وهو

قلعة جعبر

قلعة المرقب (سوريا)

قلعة صلاح الدين الايوبى بجزيرة فرعون

لفظ فارسى من مقطعين: در، بمعنى باب، وكاه، بمعنى محلّ، أى العتبة، أو الممر، أو الساحة الصغيرة المربعة، أو المستطيلة، تلى الباب، والأودة «الأوضة»: أى الغرفة، والكلار، وهى فى التركية، مشتقة من اليونانية، وهى غرفة التخزين، والعربخانات، وهى من مقطعين: عربة، وخانة، والخانة فارسية معناها المنزل، أو البيت. والإسطبلات للخيول.

ولعبد المنصف سالم نجم كتاب «قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر»، دراسة تاريخية وتوثيقية، زهراء الشرق، القاهرة 2002 فى 475 ص، وله أيضاً كتاب «حلوان مدينة القصور والسرايات»، دراسة أثرية وثائقية لعمران المدينة وآثارها الباقية والمندثرة، زهراء الشرق، القاهرة 2006، فى 557 ص، مع ملحق الأشكال والصور، وفى الفصل الأول تاريخ حلوان، وفى الثانى شوارعها، وفى الثالث مساجدها، وفى الرابع قصورها وسراياتها، وفى الخامس منازل الباشوات، وفى السادس منازل البكوات، وفى السابع منازل الأفندية، وفى الثامن منازل الهوانم، وفى التاسع منازل العامة، وفى العاشر منازل الأجانب، وفى الحادى عشر المبانى العامة، وفى الثانى عشر طرز العمائر، وفى الثالث عشر أهم شخصيات البنائين.

وتجلى ذلك فى المساكن والمنازل، بوجه عام، ومنها منزل الست وسيلة الذى أسسه الحاج عبد الحق وشقيقه لطفى، أولاد الحاج محمد الكنانى سنة 1664م، وكانت وسيلة آخر منْ تملّكه، وهو الكائن بجوار آثار: زينب خاتون، ومنزل الهرّاوى، وقاعة شاكر بن الغنام، ومدرسة العينى، وسبيل ووكالة السلطان قايتباى. وقد أفاضت المراجع فى وصف تلك المنازل والمساكن ومنها:

تطور المسكن الإسلامى من الفتح الإسلامى حتى العصر العثمانى، عباس حلمى كامل، جامعة القاهرة كلية الآثار، والقاهرة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، د.ن، لمؤمن عبد الجواد.

من الحصون الإسلامية

فى العصر العباسى تطور بناء الحصون؛ حيث بوابات الحصن الأربعة فى الرّقة، وشيد الطولونيون فى مصر والشام قلاعًا وحصونًا وفى شمالى أفريقيا، وأسسوا القاهرة بأسوارها، وأبراجها، وقصورها، وحين قضى الأيوبيون على الفواطم فى مصر شيّدوا الحصون والقلاع، وجدّدوا الأسوار، وحصّنوها. ومن أهم قلاعهم: قلعة صلاح الدين بالقاهرة، وعرفتْ بقلعة الجبل، بدأ وزيره قراقوش بناءها سنة 1173هـ، وانتهى منها سنة 1176هـ، كما هو ثابت على نقش تاريخى على أحد أبواب القلعة، وهو باب المدرج، وكانت مقرّاً للحكم أيام السلطان الكامل (1207م) وبها: الإيوان الكبير، والإصطبلات السلطانية، والأبراج، وخزانة الكتب... إلخ، وللأيوبيين قلاع بالشام، ومنها قلعة حلب، وقلعة عكاء المتصلة بتاريخ مصر القديمة، وحصن الأكراد، وقلاع شرقى الأردن، وقلعة الربض «عجلون»، وخلال تلك الرحلة تمّ تبادل الأساليب المعمارية بين الشرق والغرب تأثيرًا وتأثراً.

منارة الإسكندرية
أعجوبة العالم القديم

وضع المؤرخ الإغريقى هيرودوت قائمة بعجائب الدنيا السبع فى العالم القديم وهى: هرم خوفو وحدائق بابل وتمثال زيوس ومعبد أرتميس وضريح موسولوس وعملاق رودس ومنارة الإسكندرية، ولكن ما هى حقيقة منارة الإسكندرية؟ وهل كان الغرض منها مجرد هداية السفن إلى الميناء؟ وإذا كان هذا هو الغرض فلماذا بنيت بهذا الحجم الهائل والفخامة العظيمة؟

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

فكرة المنارة الهادية للسفن عرفها الإغريق قبل بناء منارة الإسكندرية بوقت طويل وبنوا العديد منها فى بحر إيجة على الجزر اليونانية قبل بناء منارة الإسكندرية بأكثر من مئة عام، لكنها كانت عبارة عن أبراج حجرية صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها خمسة أو ستة أمتار.

بدأت قصة منارة الإسكندرية بغزو الإسكندر الأكبر لمصر فى عام 332 ق.م، وعسكر بجيشه على ساحل البحر المتوسط، وفى المساء دخل خيمته لينام وأصبح ليقص على قواده أن هوميروس زاره فى المنام وطلب منه أن يبنى مدينة قبالة جزيرة فاروس. ولأن الإسكندر كان رجلاً مثقفاً تتلمذ فى صباه على الفيلسوف الكبير أرسطو فقد كان على اطلاع بأعمال شاعر الإلياذة العظيم هوميروس، الذى ذكر فى بعض ملاحمه عن زيارة البحارة والأبطال الإغريق لسواحل مصر ورسو سفنهم فى جزيرة أسموها فاروس.

أراد الإسكندر بحنكته السياسية أن يستغل هذه الأسطورة لترسيخ مكانته وسط جنوده وقواده فاصطحب بعض خلصائه فى جولة على الساحل حتى وجد جزيرة وقال إنها فاروس التى ذكرها هوميروس، وقرر أن يبنى مدينته قبلها وأطلق عليها اسم الإسكندرية. وبعد أن وطد الإسكندر حكمه فى مصر بزيارة معبد آمون فى واحة سيوة، حيث نصبه الكهنة فرعوناً وألبسوه تاج مصر المزدوج غادر مصر بجيوشه ليستأنف فتوحاته التى وصلت إلى الهند تاركاً حكم مصر فى يد قائده كليوميدس وعهد إلى المهندس المقرب إليه دينوقراتس مهمة بناء الإسكندرية. ولعلها من سخريات القدر أو لعلها من آيات الله أن يموت هذا القائد العظيم فى ريعان الشباب وهو لم يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره من لدغة بعوضة أصابته بالحمى بعد أن حقق فتوحات غير مسبوقة فى التاريخ.

وبموت الإسكندر يدب الخلاف بين قواده وقسمت الإمبراطورية بين الأربعة الكبار منهم. فحظى ليسمافوس بتراقيا وآسيا الصغرى، وحظى كاسندر بمقدونيا، وحظى سلوقس بفارس وما بين النهرين، أما بطليموس فكان نصيبه مصر وفلسطين وقبرص.

كان من المفترض أن القواد الأربعة يحكمون الإمبراطورية لصالح الجنين الذى تحمله روكسان حتى يولد ويستلم الإمبراطورية التى أنشأها أبوه الإسكندر، وأطلق على حقبة حكمهم الديادوكى أى الخلفاء إلا أن الطمع سرعان ما تملك منهم وسعى كل منهم إلى توطيد حكمه والتوسع على حساب غيره، فقام كاسندر باختطاف روكسان الحبلى وأرسلها إلى مقدونيا حيث وضعت غلاماً ما لبث كاسندر أن قتله لينفرد بالحكم. قام كاسندر أيضاً بتحنيط جثمان الإسكندر لإرساله إلى مقدونيا ليدفن فيها، إلا أن بطليموس لم يقف ساكناً أمام مناورات غريمه، فأرسل ثلة من جنوده اعترضت موكب جثمان الإسكندر واختطفته وأرسله إلى مصر حيث دفن مؤقتاً فى طيبة عاصمة الفراعنة، حتى أقام له مقبرة هائلة فى الإسكندرية دفن فيها داخل تابوت ذهبى تأكيداً لمكانة الإسكندرية فى العالم الهلنيستى. وفى ظل هذا المناخ الذى سيطر عليه الصراع والمنافسة أراد بطليموس إقامة رمز لمجده وعظمة دولته، وعادت به الذاكرة لحلم الإسكندر وأبيات هوميروس عن جزيرة فاروس فقرر أن يقيم عليها صرحاً هائلاً يهدى السفن ويتحدث عنه كل من يمر أمام سواحل الإسكندرية، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الدول الهلينية دول بحرية فى المقام الأول وأن جزءاً كبيراً من معارك خلفاء الإسكندر جرت فى البحر لأدركنا رجاحة فكرة بطليموس.

كلف بطليموس صديقه واسع الثراء سقراط القندى وهو مهندس ضليع ببناء هذا الصرح، وقد ساهم سقراط فى تمويل المشروع فضلاً عن بنائه. بدأ البناء فى عام 290 ق.م وكمل فى العام الثانى من عهد بطليموس الثانى الذى خلف أباه وسميه أى فى عام 281 ق.م وبذلك يكون قد استغرق إحدى عشرة سنة. خرج العمل إنجازاً هائلاً يستحق أن يكون ضمن عجائب العالم بارتفاع يتجاوز مئة وعشرين متراً، وظل لقرون عديدة يحتل المكانة الثالثة لأعلى الأبنية فى العالم بعد هرمى خوفو وخفرع.

وقد نجح سقراط القندى فى تخليد اسمه مهندساً لهذا الإنجاز الضخم بحيلة ماكرة. فلعلمه بغيرة الحكام من ذكر أسماء المنفذين الحقيقيين للصروح التى أقاموها بأسمائهم نقش سقراط اسمه على جسم المنارة الحجرى ثم وضع فوقه لوحة مضيئة باسم بطليموس سرعان ما تفتتت وظهر تحتها اسم سقراط.

وقد أبهرت المنارة كل من رآها

على مر العصور، فذكرها فى مذكراته يوليوس قيصر الذى حارب حولها فى معركة فاصلة للسيطرة على ميناء الإسكندرية فى الحرب التى ساند فيها كليوباترا للفوز بعرش مصر، وذكرها أيضاً الرحالة الرومان استرابو ويوسوفيوس ومن الرحالة العرب الإدريسى وابن بطوطة، كما وصفها الرحالة الصينى Zhan rugua فى القرن الثانى عشر الميلادى فى كتابه سجلات الشعوب الأجنبية، وقد ترك لنا هؤلاء الرحالة والمؤرخون وصفاً للمنارة التى أطلقوا عليها اسم فاروس نسبة إلى الجزيرة التى بنيت عليها، وكان أول معالم المشروع هو ربط الجزيرة بالبر بطريق طوله 1200 متر أطلق عليه اسم الهبتاستاديون والاستاديون هو مقياس يونانى يساوى 180 مترا أى أن اسم الطريق هو إشارة إلى طوله، الاستاديونات السبعة. ويقود الطريق إلى Ranp ارتفاعه عشرة أمتار يؤدى إلى بوابة عظيمة على جانبها تمثال عظيم لبطليموس فى زى الفراعنة على رأسه التاج المزدوج وعلى الجانب الآخر تمثال لزوجته الملكة أرسنوى فى شكل إيزيس.

وتتوسط البوابة الطابق الأول مربع الشكل الذى يبلغ طول ضلعه ثلاثين متراً وارتفاعه خمسين متراً، والطابق الثانى مثمن الأضلاع وارتفاعه أربعون متراً، أما الطابق الأخير فأسطوانى يبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً يعلوه تمثال لزيوس، ويلاحظ أن المماليك استوحوا شكل مآذن مساجدهم من المنارة، فنجد قاعدة المئذنة مربعة يعلوها طابق مثمن الأضلاع يعلوه قمة أسطوانية. ويحدثنا المؤرخون أن المنارة بنيت من الحجر الجيرى الأبيض الناصح، واستخدم الرصاص المصهور لتثبيت الحجارة، وأن جوانبها كانت عامرة بالنوافذ الكثيرة لتوفير الإضاءة داخلها.

وفى الطابق العلوى وضعت مرآة من البرونز المصقول لتعكس أشعة الشمس صباحاً وضوء شعلة كبيرة ليلاً، ويحدثنا الرحالة بأن نور المنارة كان يشاهد لمسافة مئة ميل فى عمق البحر.

وكما كانت منارة الإسكندرية ثالث أعلى مبنى فى العالم القديم بعد هرمى خوفو وخفرع، فإنها كانت ثالث عجائب الدنيا السبع تعميراً، فظلت صامدة شامخة أمام عوامل الدهر حتى انهارت تماماً فى عام 1340م على أثر زلزال عنيف ضرب مدينة الإسكندرية ودمر ثلثها بعد أن صمدت أمام سبعة زلازل مدمرة حدثنا عنها المؤرخون، وبذلك تكون قد صمدت لمدة تزيد على 1600 سنة.

واستخدم السلطان المملوكى قايتباى حجارة المنارة فى بناء قلعته المشهورة بالإسكندرية بعد أن ظلت سنينا مهملة إلا أن الجزء الأكبر من المنارة كان قد وقع فى البحر وابتلعه اليم وظل مجهولاً حتى عام 1960 عندما اكتشفها الغطاس المصرى الهاوى كامل أبوالسعادات، ونتيجة لهذا الكشف نظمت منظمة اليونسكو فى عام 1968 مشروع مسح موقع فاروس الذى أكد أن الحطام الغارق فى الميناء الشرقى هو لمنارة الإسكندرية. وفى السبعينيات من القرن الماضى تشكل مركز دراسات الإسكندرية بمشاركة فرنسية مع مصر، وقام بعمل عظيم فى انتشال الآثار الغارقة ومنها تمثال بطليموس وأرسنوى الضخمان اللذان كانا على جانبى بوابة المنارة، فضلاً عن العديد من تماثيل ضخمة لأبى الهول، كما قام المركز بتصوير الآثار الغارقة ووضع خرائط تفصيلية لأماكن تواجدها، وجارى التفكير فى إقامة متحف تحت سطح البحر لرعايتها ودراستها، كما عرضت بعض الآثار المنتشلة من البحر فى معارض جابت بعض الدول أثارت انبهار من شاهدها، وشجعت العديد على زيارة مصر لمشاهدة آثارنا الرائعة. وبذلك تظل المنارة بعد مرور ثلاثة وعشرين قرناً على بنائها تخدم مصر وتجلب التقدير لحضارتها والمال لخزانتها.

كلمـــة شـــــرف

مصطلح يثير التســـاؤل، سمعناه منذ الصبا إشـــارة إلى وعود نريدها أن تؤخذ على محمل الجد، ونلقيها إلى ســـامع متشـــكك لطمأنته إن أفلحنا، بل ربما تظاهر السامع بتصديقها لقضاء مصلحة له فى حين ينصب الفخاخ امتحاناً لما يسمعه قبل أن يحدث، وربما كان بدوره - إذا تشـــكك فى صدق القائل - يمنح كلمة هو أول من يعرف زيفها، ويبدو للطرفيـــن كما لو كانت لعبة ذكاء، يفوز فيها الأكثـــر خداعاً وكذباً، ليرضى بذلك الوحش بداخله الذى يملأ فراغه أو نقصه بكبرياء أو ثقة زائفة منبعها العدوان على الآخر إثباتاً للذات.

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

هى ممارســـة تكررت أنباؤها منذ الطفولـــة، حينما رأينا رجل الشـــارع يتفاخـــر بذكائه حين صدقه ســـائح، فاعتقد أن الأخير علـــى تفوقه العلمى والثقافى والمعنوى أقل منه ذكاء لمجرد أنه كعادتـــه فى التعامل مع بنى جلدته أخذ الحديث جاداً، لإيمانه بتمسكهم فى الغالـــب بجوهر الأخلاق، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بمعلومة بســـيطة أو بتعامل لاينتج عنه مكســـب مادى يستحق عناء الكذب.

ولم يلفت نظر المواطن البســـيط أن تصديـــق الآخر له احتـــرام لكيانه وتكريم لإنســـانيته، وأن السائح الذى جاء صديقاً محبـــاً لبلده وحضارته فى الأســـاس، لم يتعود الابتسام والترحيب نفاقاً، بل وربما فى حياته بين مواطنيه الصارميـــن المنصرفين إلـــى أعمالهم ومصالحهم يتوق إلـــى كرم وروحانية يتصورها فى أهل الشـــرق، فجاء إليهم ليمارس تلقائيته، وإن سمحت الظروف له بالبقاء والعمل فـــى بلد يتصور أن الشـــمس أدفأت قلوب أهله فقد يجزل العطـــاء لفقرائه أو يعامل مرؤوســـيه بأكرم ممـــا يعاملهم مواطنوهم الأغنياء معنوياً ومادياً.

أتذكر فى أيـــام الطفولة أن تلاميذ المدارس حين كانوا يمارســـون بعض ألعاب الخداع بغية المرح كانوا ينسبون أياً منها لبلد معين، اشتهر بتفوقه العلمى والاقتصادى والعســـكرى والسينمائى، وكأن التفـــوق لايأتى إلا بالخداع، وكأن الثراء والقوة لم تنتـــج عن عمل مضنٍ وإبداع ونظام وقانون، وبالتالى فليس علينا أن نجهد أنفسنا بأى من ذلك حتى وإن أردنا لنا رفعة ولبلدنا نهضة.

هى إذن ممارسات تعودناها وكبرنا معها، ظنناها شقاوة أو ذكاء أو مرحاً أو شطارة وقوة، ولكن ما هو الثمن؟

فى حين يكون التعامل سلســـاً فى دول أخرى، يلتـــزم مواطنوها بالجدية والمصداقية والاحترام المتبادل، نجهد عقولنا فـــى البحث عن النوايا الحقيقية والشكوك وفى نصب الشراك والانتقام والصراع فى مضيعـــة للوقت والطاقة، يشـــعر المرء - إن صـــدق - بوحدة لاتلهيه عنها مظاهر خادعة أو مجاملات مصلحية، ويتراجـــع الاحترام والتراحم فى مجتمـــع يضع القوة فـــوق الحق والمصلحة فوق المبدأ.

بذهنية كهـــذه إذا أراد الغرباء بنا خيراً بحثنا عن المؤامرة فيما يريدون، وإذا تحدثوا عن مثالبنا صراحة ظنناهم عنصريين كارهيـــن، وإذا صمتوا عما يرونه متباعدين تنتابنا الشـــكوك أنهم نافرون باردون وربما يستهينون بنا فى قرارة أنفسهم.

ومع كل ذلـــك غالباً لايرى المخادع أكثر من مصلحته المباشـــرة المؤقتة، ولايحسب ما يعانيه إذا تبادل الأدوار مع ضحاياه ولاتعقيدات حياته فى مجتمع يتسامح مع الخداع أو يسميه شطارة، وتضيع فيه مصالح الفرد بعيدة المدى بعد أن فقد مصداقيته.

فهل هى إذن كلمة شـــرف؟ أم أن الشـــرف كلمة قولاً وفعلاً، وجسر يعبر عن الشعور ويصدقه العمل؟

صورة قلمية

سفير محمود عزت

حوار الأجيال !

- ذهـــب الابن لأبيه قائـــلاً: أريد أن أتزوج!

- لا مانع هل اخترت من ترتبط بها؟

- لا ولكـــن أريـــدك أن توافق على الفكرة وسأقوم أنا بتنفيذها وقت أجد من أحبها !

ولكن يا أبى لقد قرأت لفيلسوف اسمه كيرجورد يقول :

تزوج سوف تندم

لا تتزوج سوف تندم

ما رأيك؟

- يا ابنى لاتســـمع لهؤلاء الفلاسفة إنهم لايفعلون شـــيئا إلا الكلام والتفلسف لمجرد خلق مشاكل للغير !

- حنانيك يا أبى أنت متحامل كثيراً على الفلاسفة، وعملهم الذى تستنكره هو ما يجعل الحياة أكثر جمالاً !

- إذن اذهب ولاتفعل شـــيئا وتأمل الحياة وضيع وقتك فى الأحلام والتفلسف !

أبطال القصة يتدخلون فى الأبداع !

جلس المؤلف يكتـــب قصة كعادته فوضع العنوان: إنما تؤخذ الدنيا غلابا !

وبدأ بأن الشاب ذهب يقابل صديقته التى ينوى الزواج بها ليفصح لها عن حبه وعزمـــه على زيارة والدهـــا ليطلب يدها رسمياً، فضربت له موعداً لمقابلة والدها .

وقد ظهر الغضب على الشـــاب عندما ذهب ولم يجد الأب موجوداً فى اســـتقباله حسب الموعد المتفق عليه، حيث اعتذرت له أمها أن أمراً خطيراً دفعه لترك المنزل. كما اشـــتد ضيقه عندما لـــم يجدها أى حبيبته! أين ذهبت ألم تبلغه هى شخصياً بالميعـــاد؟! وهنا نظر الشـــاب للمؤلف قائـــلاً: ما هذا الـــذى تفعله يا ســـيادة المبدع لقد وضعتنى فى موقف لا أحســـد عليه ولمـــاذا أردت أن يغيب الأب وتغيب الحبيبة؟ هذا شـــئ عجيب وغريب وأنت لا تصلح للتأليـــف ولا كتابة الروايات، انظر لتوفيـــق الحكيم فى «رصاصة فى القلب» كيف جعل الحبيـــب يقابل من رآها تأكل جلاس مصادفة فى عيادة صديقه طبيب الأسنان! وتعلم يا سيد من نجيب محفوظ الذى جمع بيـــن كمال عبدالجواد مع أخت صديقه بعدما دب الخلاف بينهما بســـبب وقيعـــة غريمه الذى وشـــى كذباً عنه لها أنه - أى كمال - قال إنها تحب أن تبدو محبوبة من الجميـــع! وأنت تجعلنى فى هذا الموقف السخيف! فاستجاب المؤلف وأعاد الأب فوراً من الخـــارج ليتم اللقاء المرتقب ثم أعاد الحبيبة من الكلية حيث تدرس الحقوق ولكن الأب لم يوافق ووعده بالتفكير فى طلبه!

فـــإذا بالحبيبة تصرخ فـــى المؤلف قائلة: مرة أخرى تعقد المســـألة يا سيادة المؤلف، وحدجته بنظرة ســـاخرة قائلة: يعنى عملت إيه؟ أحزنـــت حبيبى وربما يطفش ولا يعود!

فلاحت من المؤلف التفاتة لها قائلاً: يا سيدتى أنت السبب وأنا تخيلتك ستتمسكين بحبيبك وترفعين عقيرتك بالشكوى لأبيك ولكنك صمتِ ولم تنبسى ببنت شفة !

وأمعن المؤلـــف التفكير ثم صورها تشق عصا التمرد على والدها فإذا بوالدها يعلن أنه على اســـتعداد للاتفاق وإعلان الخطوبة.

توفيق عبد اللطيف وإثراء مسيرة المسرح المصرى

مر ربع قرن على رحيل «توفيق عبد اللطيف»، المخرج المسرحى الموهوب والمبدع وأستاذ الإخراج والتمثيل المتميز بالمعهد العالى للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون المصرية على مدار ثلاثة عقود تقريباً، وتمثل هذه المناسبة الحزينة فرصة لاستحضار عطاء الراحل لمسيرة المسرح المصرى على مدار ثلاثة عقود، وما يرتبط بذلك من محطات مثلت كل منها نقطة فارقة فى تطور المسرح المصرى، ومن ثم العربى، ما بين مطلع عقد السبعينيات والسنوات الثلاثة الأولى من عقد التسعينيات فى القرن العشرين.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

ومن الصحيح أن توفيق عبد اللطيف رحل عن عالمنا فى مرحلة مبكرة نسبياً من العمر وهو كان فى بدايات العقد السادس من العمر، كما من الصحيح أنه، ولسوء الحظ بالنسبة لنا ولكل محبى وعشاق فن المسرح، كان مقلاً فى ما أخرجه من أعمال مسرحية على صعيد أكثر من مسرح، وكانت أغلبها تجارب تنتمى إلى مسرح الدولة الجاد فى تلك المرحلة بأشكاله المختلفة وصوره المتنوعة، خلال فترة عمله وتوهجه وتألقه، وذلك فيما يتعلق بالمسرحيات التى أخرجها خارج صفوف المعهد العالى للفنون المسرحية، حيث أنه أخرج وأشرف على إخراج الكثير من الأعمال المسرحية داخل أسوار المعهد خلال عمله بالتدريس به لأجيال متعاقبة تخرجت على يديه ومنهم الكثيرون الذين بزغوا فى عالم الفنون على الصعيدين المصرى والعربى، ليس فقط فى مجال المسرح بل أيضاً فى مجال الفن السابع والدراما التليفزيونية.

ولا شك أن الفترة التى امتدت منذ منتصف عقد السبعينيات حتى وفاة الراحل توفيق عبداللطيف شهدت تعرض المسرح المصرى، خاصة المسرح الجاد وقتذاك، لحملة قوية مضادة ولقطع للعديد من مصادر التمويل المهمة والأساسية عنه مما جعل مجرد استمرار ذلك المسرح، وفى المقدمة منه مسرح الدولة، درباً من دروب المقامرة من جانب المؤمنين بهذا المسرح ورسالته، وكان فى طليعتهم توفيق عبداللطيف وزملاء وأصدقاء ورفاق مسيرة له. وبالرغم من ذلك، ضحى هؤلاء بالعائد المالى المغرى خارج المسرح الجاد وأكملوا المسيرة داخل أسواره بجهود أغلبها ذاتية، وكانوا يراهنون فى ذلك على وجود درجة متقدمة من الوعى لدى محبى الفنون المسرحية الجادة وعشاقها الحقيقيين.

وجاءت البداية الحقيقية والفرصة الأولى فى مسرح الدولة للراحل توفيق عبداللطيف بعد سنوات من تخرجه وتحديداً فى مطلع سبعينيات القرن الماضى، فقد كانت رائعة الشاعر والفنان الراحل الكبير «نجيب سرور» وهى «قولوا لعين الشمس» قد تحولت إلى نص مسرحى وكان من المفترض أن يخرجها أيضاً للمسرح المؤلف نجيب سرور لكى تعرض على خشبة المسرح القومى فى الأزبكية، فى أوج ريادة هذا المسرح، إلا أن الراحل الكبير نجيب سرور تعرض لظروف يعرفها جيداً كافة المعنيين بالشأن الوطنى والثقافى والفنى وقتها حالت بينه وبين إخراج المسرحية، وكان اقتراح نجمة المسرح المصرى والعربى السيدة/ سميحة أيوب، وهى كانت أيضاً قد تم اختيارها آنذاك لأداء دور البطولة النسائية فى هذه المسرحية، هو ترشيح المخرج الشاب الصاعد فى ذلك الوقت الراحل توفيق عبداللطيف لإخراج هذا العمل الرائع، وكان فى الأمر كثير من المراهنة على موهبة وتميز توفيق عبداللطيف، ولكن تم اتخاذ القرار بشجاعة وإقرار ترشيحه، وهو بدوره لم يخيب آمال من راهنوا عليه، بل تألق فى إخراج المسرحية بشكل ملفت وخرجت إلى النور بنجاح منقطع النظير وحازت على إعجاب واسع وعريض من كافة نقاد المسرح الجاد ومن جانب العديد من الكتاب والصحفيين المصريين والعرب المهمومين بأمور المسرح وقضاياه فى ذلك الوقت، وبالإضافة إلى ذلك حققت المسرحية أيضاً نجاحاً جماهيرياً كبيراً واستمرت يافطة «كامل العدد» على أبواب المسرح القومى طوال أيام الموسم المسرحى آنذاك.

ويجب التذكير أنه فى ذلك الزمن كانت لاتزال مسارح الدولة جميعاً تعمل بكامل طاقتها ونجومها من ممثلين وكتاب سيناريو وحوار ومخرجين، كما كان التأليف المسرحى مزدهراً والعديد من الروايات والقصص المهمة فى مسيرة الأدب العربى قد تحولت إلى مسرحيات تحظى باحترام النقاد ونقدهم البناء كما تحظى بإعجاب المشاهدين، وذلك بالطبع بالإضافة إلى نصوص تمت كتابتها للمسرح أصلاً من قبل كتاب كبار، بل وعمالقة، من المصريين والعرب بحجم الراحلين سعد الدين وهبة ونعمان عاشور وميخائيل رومان وغيرهم. وكانت المنافسة آنذاك بين مسارح الدولة على تحقيق وتقديم الجودة العالية والنوعية الرفيعة، بما شمل المسرح القومى ومسرح الطليعة ومسرح الغرفة والمسرح الكوميدى وغيرها، وذلك كله فى ظل أجواء ثقافية وحالة فكرية وواقع اجتماعى تسمح جميعها بالتنافس الشريف فيما بين تلك المسارح، وبينها وبين ما يستجد من تجارب للمسرح الجاد خارج حدود مسرح الدولة، بل وتشجع مثل هذا التنافس الشريف الذى يثرى فى نهاية الأمر

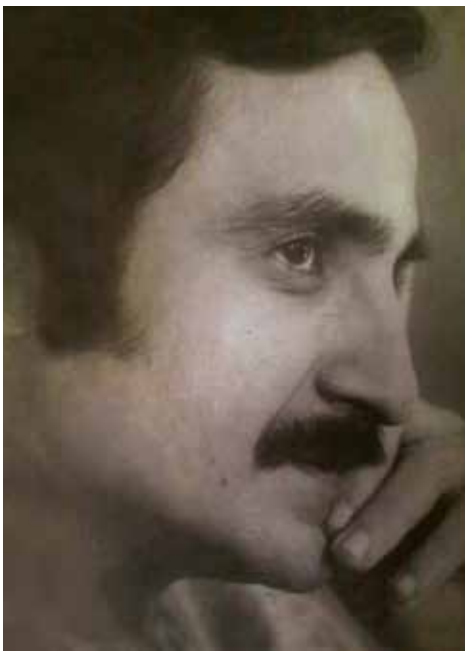

توفيق عبد اللطيف

فن المسرح من جهة والجمهور المشاهد والمتابع والمهتم من جهة ثانية والمجتمع ككل من جهة ثالثة.

وجاءت تجربة تالية أيضاً مع مسرح الدولة للراحل توفيق عبداللطيف وهى مشروع إخراجه لمسرحية «الأمير والأسيرة» التى كان من المخطط لها أن يقوم ببطولتها نجم المسرح والسينما والتليفزيون الراحل نور الشريف، وحدث تقدم فى إخراج هذه المسرحية وإن كان المشروع لم يكتمل فى نهاية المطاف لأسباب متعددة خارجة عن إرادة جميع الأطراف المعنية بالعمل آنذاك.

أما التجربة المهمة والعلامة البارزة الأخرى فى مسيرة المخرج المبدع الراحل توفيق عبداللطيف فى المسرح المصرى فقد كانت مع مسرح آخر من مسارح الدولة وكان فى تلك المرة هو «مسرح الهناجر» فى وقت تولى الدكتورة هدى وصفى مسئولية المسرح، وهو الذى جاء إنشاؤه كجزء من مركز الهناجر للفنون فى سياق ما بعد افتتاح دار الأوبرا المصرية الجديدة بدعم فنى وتمويل مالى يابانى فى النصف الثانى من عقد الثمانينات من القرن العشرين، وكانت الركائز التى قام عليها مركز الهناجر للفنون أن يكون مركز إشعاع للحرية والشباب والتجريب.

وجاءت تجربة توفيق عبداللطيف مع مسرح الهناجر فى إخراجه لمونودراما «ذكريات ممثلة»، وهى مأخوذة عن نص مهم للكاتب المسرحى والروائى والناقد والشاعر الأيرلندى العالمى الخجول «صمويل بيكيت»، وهى كانت تجربة رائدة فى الإخراج المسرحى وعلى الساحة العربية فى ذلك الوقت، وتحمست لها الدكتورة هدى وصفى بشدة ودافعت عن التجربة ودفعت بها، ولم يخذلها الراحل توفيق عبداللطيف، حيث خرجت المسرحية فى أبهى حالات النجاح والتألق، وقامت ببطولتها النجمة الكبيرة للمسرح والسينما والتليفزيون المصرى والعربى الفنانة صفية العمرى، وحازت المسرحية على تقدير واستحسان كبير من قبل الكثير من النقاد الجادين، كما نجحت أيضاً جماهيرياً، بالرغم من جدة التجربة وحداثة عهد جمهور المسرح المصرى والعربى بفن مسرح المونودراما فى ذلك الوقت.

ثم جاءت تجربة أخرى مع أول مهرجان دولى للمسرح التجريبى نظمته واستضافته وزارة الثقافة المصرية فى مطلع تسعينيات القرن العشرين، حيث كانت مساهمة الراحل توفيق عبداللطيف من خلال إخراج عمل تجريبى مصرى ذى مذاق خاص، وهو ما أثبت أن مخرجى المسرح المصرى، مثل توفيق عبداللطيف وجيله، والذين تخرجوا من المعهد العالى للفنون المسرحية فى أوج مجده وعنفوان عطائه وعندما كان يقوده ويقوم بالتدريس فيه عمالقة كبار من رواد المسرح المصرى وفى مقدمتهم الفنان الراحل زكى طليمات، أول عميد للمعهد، قادرون على مجاراة آخر التطورات فى فن المسرح العالمى بل والتفوق فيها، كما كانت التجربة مهمة بالنسبة للراحل توفيق عبداللطيف، لأنها كانت تجربة جديدة حقق فيها الريادة فى المسرح المصرى، وذلك بعد سنوات من تحقيقه السبق من خلال تقديم وإخراج مونودراما «ذكريات ممثلة».

وكان المهم فى مسيرة المخرج والأستاذ والفنان توفيق عبداللطيف رحمه الله أنه، بالإضافة إلى الموهبة والإبداع اللذين أظهرهما فى الأعمال المسرحية التى أخرجها، كان مجتهداً فى دراساته المتعلقة بفن المسرح، فلم يقتصر الأمر أو يقف عند حدود أنه كان من الأوائل ضمن خريجى دفعته فى المعهد العالى للفنون المسرحية، بل تابع دراساته العليا فى مجالات المسرح المختلفة، وخاصة الإخراج والتمثيل، بعد ذلك فى مراحل متتالية ما بين بولندا والاتحاد السوفيتى السابق، حيث درس فى أهم أكاديميات المسرح فى هذين البلدين، وشكلت رسائله العلمية فى هذا المجال إضافة ثرية ومثرية فى آن واحد للمعارف والدراسات والمراجع المصرية والعربية فى ميدان دراسات الفن المسرحى.

كذلك أضاف الراحل توفيق عبداللطيف إلى تلك الدراسات الأكاديمية التى قام بها الكثير من خلال القراءات الواسعة والمستمرة والتى أقبل عليها بنهم شديد بغرض التعلم للمزيد والجديد فى فنون المسرح من جهة وبهدف الإضافة لمسيرة المسرح المصرى والعربى من جهة أخرى، وتضمنت قراءاته مطبوعات وكتباً وإبداعات باللغات العربية والإنجليزية والبولندية والروسية. ولم يكتف بالاطلاع الواسع ومحاولة تنفيذ ما يقتنع به مما قرأه من مناهج ونظريات جديدة أو مطورة فى تدريس فنون المسرح وعلومه، بل تخطى ذلك إلى إسهام جديد له تمثل فى ترجمة العديد من الكتب والمراجع والدراسات الصادرة بتلك اللغات إلى اللغة العربية والسعى إلى نشرها على نطاق واسع فى مصر ومجمل الوطن العربى، وهو الأمر الذى كان بمثابة إثراء من نوع آخر للمكتبة المسرحية المصرية والعربية.

وكان التفانى والعطاء والإخلاص فى العمل هى العناوين العريضة التى ميزت مسيرة توفيق عبداللطيف كأستاذ فى أكاديمية الفنون وفى المعهد العالى للفنون المسرحية على مدى سنوات طويلة، والتى عاشها معه وعايشها وشعر بها وبصدقها عن قرب طلابه وتلاميذه من المصريين ومن مختلف الجنسيات العربية الدارسين بالمعهد وبالأكاديمية على يديه، حيث كان رحمه الله حريصاً على أن يتخرج طلابه وتلاميذه من المعهد وهم فى أفضل وأكمل حالة ممكنة، وذلك حتى يتمكنوا بدورهم من أن تكون لهم إضافاتهم فى مسيرة المسرح المصرى والعربى. ولهذه الأسباب كان من الطبيعى أن يبقى تلاميذه، بالإضافة إلى زملائه وأصدقائه وكافة المعنيين بالحالة المسرحية المصرية والعربية، يذكرونه ويحيون ذكراه ويتناولون سيرته بالإعزاز والعرفان حتى بعد هذه السنوات الطويلة التى مرت منذ رحيله عن عالمنا رحمه الله.

بنك مصر يفوز للمـرة الحادية عشـرة

جائزة أفضل بنك في إدارة صناديق أسواق النقد والاستثمارات قصيـــرة الأجـل في إفريقيـا و الشـرق الأوسط لعـــام 2019

للمرة

11

استمراراً لنجاح بنك مصر فقد فاز

بجائزة أفضل بنـــك لإدارة النقد والسيـولة وصناديق أسواق النقد في إفريقيا والشـــرق الأوسـط لعامي 2009 و 2010 وفي الشرق الأوسط للأعوام 2008، 2012، 2013، 2014، 2015 وأفضل بنك في إدارة صنـاديق أسـواق النقد والاستثمـارات قصيرة الأجل في الشرق الأوسط للأعوام 2015، 2016، 2017، 2018، وفي إفريقيا والشرق الأوسـط لعام 2019

BEST TREASURY AND CASH MANAGEMENT PROVIDER AWARD • 2019

GLOBAL FINANCE

بنك مصر
BANQUE MISR
نعمل معاً لخير بلدنا

BM Phone 19888
بي إم فون
www.banquemisr.com
/BanqueMisr.1920 YouTube /banquemisr1920

حســـاب "توفير" جولدن

بالجنيه المصرى والعملات الأجنبية

14%

ســـنويـاً

على الجنيه المصرى

استثمر مدخراتك بأعلى عائد

- عائد تنافسى يصل إلى ١٤٪ سنوياً على حسابك بالجنيه المصرى
- يُطبق نفس العائد على أى مبلغ بالحساب ابتداءً من الحد الأدنى للحساب ٥٠٠٠ جنيه مصرى
- حرية اختيار دورية صرف العائد (شهرى، ربع سنوى، نصف سنوى ، سنوى)
- إمكانية فتح الحساب بالدولار الأمريكى، يورو أو جنيه استرلينى بحد أدنى ٥٠٠ لكل عملة

*تطبق الشروط والأحكام

حساب توفير جولدن ... لأن القيمة تستحق

Golden
Account

aaib.com | اتصل على ١٩٥٥٥

البنك العربى الافريقى الدولى
arab african international bank
الثقة.. التميز

اختيارنا كأفضل بنك في مصر كل سنة كان مجرد البداية

أفـضـل بنـك في الأسـواق الناشئة على مستوى العالم

CIB

بنـك نثـق فيـه

/CIBEgypt | WWW.CIBEG.COM

١٩٧٧٧